٩

أعلام الهداية

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

«الكاظم»



الكاظم عليه السلام

المجمع العالمي لأهل البيت

أعلام الهداية

الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

الكاظم

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

«قم المقدسة»

اسم الكتاب: أعلام الهداية (ج ٩)

الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

المؤلف: لجنة التأليف

الموضوع: كلام وتاريخ

الناشر: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة الاولى: ١٤٢٢ هـ ق

الطبعة الثانية: ١٤٢٥ هـ ق

المطبعة: ليلى

الكمية: ٥٠٠٠

شابك: ٦-٢٥-٥٦٨٨-٩٦٤ ISBN: 964-5688-25-6

أهل البيت عليهم السلام في القرآن الكريم

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا

سورة الأحزاب / آية : ٣٣

أهل البيت عليهم السلام

في السنة النبوية

إني تارك فيكم الثقلين

كتاب الله وعترتي أهل بيتي

ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً

« الصحاح والمسانيد »

فهرس إجمالي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أعطى كلّ شيء خلقه ثم هدىٰ، ثم الصلاة والسلام على من اختارهم هداةً لعباده، لا سيما خاتم الأنبياء وسيّد الرسل والأصفياء أبو القاسم المصطفىٰ محمد (صلى الله عليه وآله) وعلىٰ آله الميامين النجباء.

لقد خلق الله الانسان وزوّده بعنصري العقل والإرادة، فبالعقل يبصر ويكتشف الحقّ ويميّزه عن الباطل، وبالإرادة يختار ما يراه صالحاً له ومحقّقاً لأغراضه وأهدافه.

وقد جعل الله العقل المميّز حجةً له على خلقه، وأعانه بما أفاض على العقول من معين هدايته؛ فإنّه هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، وأرشده إلى طريق كماله اللائق به، وعرّفه الغاية التي خلقه من أجلها، وجاء به إلى هذه الحياة الدنيا من أجل تحقيقها.

وأوضح القرآن الحكيم بنصوصه الصريحة معالم الهداية الربّانية وآفاقها ومستلزماتها وطرقها، كما بيّن لنا عللها وأسبابها من جهة، وأسفر عن ثمارها ونتائجها من جهةٍ أُخرىٰ.

قال تعالى:

﴿ قُل إنّ هُدى الله هو الهُدىٰ ﴾ [الأنعام (٦) : ٧١] .

﴿ والله يهدي من يشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم ﴾ [البقرة (٢): ٢١٣] .

﴿ والله يقول الحقّ وهو يهدي السبيل ﴾ [الأحزاب (٣٣) : ٤] .

﴿ ومن يعتصم بالله فقد هُدي إلى صراطٍ مستقيم ﴾ [آل عمران (٣) : ١٠١] .

﴿ قل الله يهدي للحقّ أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون﴾ [يونس (١٠) : ٣٥] .

﴿ ويرى الذين أُوتوا العلم الذي أُنزل اليك من ربّك هو الحقّ ويهدي إلى صراط العزيز الحميد ﴾ [سبأ (٣٤) : ٦] .

﴿ ومن أضلّ ممن اتّبع هواه بغير هدىً من الله ﴾ [القصص (٢٨) : ٥٠] .

فالله تعالى هو مصدر الهداية. وهدايته هي الهداية الحقيقية، وهو الذي يأخذ بيد الانسان إلى الصراط المستقيم وإلى الحقّ القويم.

وهذه الحقائق يؤيدها العلم ويدركها العلماء ويخضعون لها بملء وجودهم.

ولقد أودع الله في فطرة الانسان النزوع إلى الكمال والجمال ثمّ مَنّ عليه بإرشاده إلى الكمال اللائق به، وأسبغ عليه نعمة التعرّف على طريق الكمال، ومن هنا قال تعالىٰ : ﴿ وما خلقتُ الجنّ والإنس إلّا ليعبدونِ ﴾ [الذاريات (٥١): ٥٦]. وحيث لا تتحقّق العبادة الحقيقية من دون المعرفة، كانت المعرفة والعبادة طريقاً منحصراً وهدفاً وغايةً موصلةً إلى قمّة الكمال .

وبعد أن زوّد الله الانسان بطاقتي الغضب والشهوة ليحقّق له وقود الحركة نحو الكمال؛ لم يؤمَن عليه من سيطرة الغضب والشهوة؛ والهوى الناشئ منهما، والملازم لهما فمن هنا احتاج الانسان ـ بالإضافة إلى عقله وسائر

أدوات المعرفة ـ الى ما يضمن له سلامة البصيرة والرؤية؛ كي تتمّ عليه الحجّة، وتكمل نعمة الهداية، وتتوفّر لديه كلّ الأسباب التي تجعله يختار طريق الخير والسعادة، أو طريق الشرّ والشقاء بملء إرادته.

ومن هنا اقتضت سُنّة الهداية الربّانية أن يُسند عقل الانسان عن طريق الوحي الإلهي، ومن خلال الهداة الذين اختارهم الله لتولّي مسؤولية هداية العباد وذلك عن طريق توفير تفاصيل المعرفة وإعطاء الارشادات اللازمة لكلّ مرافق الحياة.

وقد حمل الأنبياء وأوصياؤهم مشعل الهداية الربّانية منذ فجر التاريخ وعلى مدىٰ العصور والقرون، ولم يترك الله عباده مهملين دون حجةٍ هاديةٍ وعلمٍ مرشدٍ ونورٍ مُضيء، كما أفصحت نصوص الوحي ـ مؤيّدةً لدلائل العقل ـ بأنّ الأرض لا تخلو من حجة لله على خلقه، لئلا يكون للناس على الله حجّة، فالحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، ولو لم يبق في الأرض إلّا اثنان لكان أحدهما الحجّة، وصرّح القرآن ـ بشكلٍ لا يقبل الريب ـ قائلاً: ﴿ إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد ﴾ [الرعد (١٣): ٧].

ويتولّى أنبياء الله ورسله وأوصياؤهم الهداة المهديّون مهمّة الهداية بجميع مراتبها، والتي تتلخّص في:

١ ـ تلقّي الوحي بشكلٍ كامل واستيعاب الرسالة الإلهية بصورة دقيقة. وهذه المرحلة تتطلّب الاستعداد التام لتلقّي الرسالة، ومن هنا يكون الاصطفاء الإلهي لرسله شأناً من شؤونه، كما أفصح بذلك الذكر الحكيم قائلاً: ﴿ الله أعلم حيث يجعل رسالته ﴾ [الأنعام (٦): ١٢٤] و ﴿ الله يجتبي من رسله من يشاء ﴾ [آل عمران (٣): ١٧٩].

٢ ـ إبلاغ الرسالة الإلهية الى البشرية ولمن أُرسلوا إليه، ويتوقّف الإبلاغ على الكفاءة التامّة التي تتمثّل في «الاستيعاب والإحاطة اللازمة» بتفاصيل الرسالة وأهدافها ومتطلّباتها، و «العصمة» عن الخطأ والانحراف معاً، قال تعالى : ﴿ كان الناسُ أُمّةً واحدةً فبعث الله النبيّين مبشّرين ومنذرين وأنزل معهم الكتابَ بالحقّ ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه ﴾ [البقرة (٢) : ٢١٣].

٣ ـ تكوين أُمةٍ مؤمنةٍ بالرسالة الإلهية، وإعدادها لدعم القيادة الهادية من أجل تحقيق أهدافها وتطبيق قوانينها في الحياة ، وقد صرّحت آيات الذكر الحكيم بهذه المهمّة مستخدمةً عنواني التزكية والتعليم، قال تعالى: ﴿ يزكّيهم ويعلّمهم الكتابَ والحكمة ﴾ [الجمعة (٦٢): ٢] والتزكية هي التربية باتجاه الكمال اللائق بالإنسان. وتتطلّب التربية القدوة الصالحة التي تتمتّع بكلّ عناصر الكمال، كما قال تعالى : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أُسوة حسنة ﴾ [الاحزاب (٣٣) : ٢١].

٤ ـ صيانة الرسالة من الزيغ والتحريف والضياع في الفترة المقرّرة لها ؛ وهذه المهمة أيضاً تتطلّب الكفاءة العلمية والنفسية، والتي تسمّىٰ بالعصمة.

٥ ـ العمل لتحقيق أهداف الرسالة المعنوية وتثبيت القيم الأخلاقية في نفوس الأفراد وأركان المجتمعات البشرية وذلك بتنفيذ الأُطروحة الربّانية، وتطبيق قوانين الدين الحنيف على المجتمع البشري من خلال تأسيس كيانٍ سياسيٍّ يتولّىٰ إدارة شؤون الأمة علىٰ أساس الرسالة الربّانية للبشرية، ويتطلّب التنفيذ قيادةً حكيمةً، وشجاعةً فائقةً، وثباتاً كبيراً، ومعرفةً تامةً بالنفوس وبطبقات المجتمع والتيارات الفكرية والسياسية والاجتماعية وقوانين الإدارة والتربية وسنن الحياة، ونلخصها في الكفاءة العلمية لإدارة دولةٍ عالميةٍ دينية، هذا فضلاً عن العصمة التي تعبّر عن الكفاءة النفسية التي تصون القيادة

الدينية من كلّ سلوكٍ منحرفٍ أو عملٍ خاطئٍ بإمكانه أن يؤثّر تأثيراً سلبياً على مسيرة القيادة وانقياد الأُمة لها بحيث يتنافى مع أهداف الرسالة وأغراضها.

وقد سلك الأنبياء السابقون وأوصياؤهم المصطفون طريق الهداية الدامي، واقتحموا سبيل التربية الشاقّ، وتحمّلوا في سبيل أداء المهامّ الرسالية كلّ صعب، وقدّموا في سبيل تحقيق أهداف الرسالات الإلهية كلّ ما يمكن أن يقدّمه الإنسان المتفاني في مبدئه وعقيدته، ولم يتراجعوا لحظة، ولم يتلكّأوا طرفة عين.

وقد توّج الله جهودهم وجهادهم المستمرّ على مدى العصور برسالة خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله (ﷺ) وحمّله الأمانة الكبرىٰ ومسؤولية الهداية بجميع مراتبها، طالباً منه تحقيق أهدافها. وقد خطا الرسول الأعظم (ﷺ) في هذا الطريق الوعر خطواتٍ مدهشة، وحقّق في أقصر فترةٍ زمنيةٍ أكبر نتاجٍ ممكنٍ في حساب الدعوات التغييرية والرسالات الثورية، وكانت حصيلة جهاده وكدحه ليل نهار خلال عقدين من الزمن ما يلي:

١ ـ تقديم رسالةٍ كاملةٍ للبشرية تحتوي على عناصر الديمومة والبقاء.

٢ ـ تزويدها بعناصر تصونها من الزيغ والانحراف.

٣ ـ تكوين أُمةٍ مسلمةٍ تؤمن بالإسلام مبدأً، وبالرسول قائداً، وبالشريعة قانوناً للحياة.

٤ ـ تأسيس دولةٍ إسلاميةٍ وكيانٍ سياسيٍّ يحمل لواء الإسلام ويطبّق شريعة السماء.

٥ ـ تقديم الوجه المشرق للقيادة الربانية الحكيمة المتمثلة في قيادته (ﷺ).

ولتحقيق أهداف الرسالة بشكلٍ كاملٍ كان من الضروري :

أ ـ أن تستمرّ القيادة الكفوءة في تطبيق الرسالة وصيانتها من أيدي العابثين الذين يتربصون بها الدوائر .

ب ـ أن تستمرّ عملية التربية الصحيحة باستمرار الأجيال؛ على يد مربٍّ كفوءٍ علمياً ونفسياً حيث يكون قدوة حسنة في الخلق والسلوك كالرسول(صلى الله عليه وآله)، يستوعب الرسالة ويجسّدها في كل حركاته وسكناته .

ومن هنا كان التخطيط الإلهيّ يحتّم على الرسول (صلى الله عليه وآله) إعداد الصفوة من أهل بيته، والتصريح بأسمائهم وأدوارهم؛ لتسلّم مقاليد الحركة النبويّة العظيمة والهداية الربّانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة للرسالة الإلهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وكيد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي تولّوا تبيين معالمها وكشف أسرارها وذخائرها على مرّ العصور، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

وتجلّى هذا التخطيط الربّاني في ما نصّ عليه الرسول(صلى الله عليه وآله) بقوله: **«إنّي تاركٌ فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا، كتاب الله وعترتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»** .

وكان أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرّفهم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) بأمر من الله تعالى لقيادة الأُمّة من بعده.

إنّ سيرة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت (عليهم السلام) تمثّل المسيرة الواقعية للاسلام بعد عصر الرسول (صلى الله عليه وآله) ، ودراسة حياتهم بشكلٍ مستوعبٍ تكشف لنا عن صورة مستوعبة لحركة الاسلام الأصيل الذي أخذ يشقّ طريقه إلى أعماق الأُمة بعد أن أخذت طاقتها الحرارية تتضاءل بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) .

فأخذ الأئمة المعصومون (عليهم السلام) يعملون على توعية الأُمـة وتـحريك طـاقتها باتجاه إيجاد وتصعيد الوعي الرساليّ للشريعة ولحركة الرسول (صلى الله عليه وآله) وثورته المباركة، غير خارجين عن مسار السنن الكونية التي تتحكّم في سلوك القيادة والأُمة جمعاء.

وتبلورت حياة الأئمة الراشدين في استمرارهم على نهج الرسول العظيم وانفتاح الأُمة عليهم والتفاعل معهم كأعلامٍ للهداية ومـصابيح لإنـارة الدرب للسالكين المؤمنين بقيادتهم، فكـانوا هـم الأدلّاء عـلى الله وعـلى مـرضاته، والمستقرّين في أمر الله، والتـامّين فـي مـحبّته، والذائـبين فـي الشـوق اليـه، والسابقين إلى تسلّق قمم الكمال الإنسانيّ المنشود.

وقد حفلت حياتهم بأنواع الجهاد والصبر على طاعة الله وتحمّل جفاء أهل الجفاء حتّى ضربوا أعلى أمثلة الصمود لتنفيذ أحكام الله تعالى، ثم اختاروا الشهادة مع العزّ على الحياة مع الذلّ، حتى فازوا بلقاء الله سبحانه بـعد كـفاحٍ عظيمٍ وجهادٍ كبير.

ولا يستطيع المؤرّخون والكتّاب أن يلمّوا بجميع زوايا حياتهم العطرة ويدّعوا دراستها بشكلٍ كامل، ومن هنا فإنّ مـحاولتنا هـذه إنّـما هـي إعـطاء قبساتٍ من حياتهم، ولقطاتٍ من سيرتهم وسلوكهم ومـواقـفهم التـي دوّنـها المؤرّخون واستطعنا اكتشافها من خلال مصادر الدراسة والتحقيق، عسى الله أن ينفع بها إنّه وليّ التوفيق.

إنّ دراستنا لحركة أهل البيت (عليهم السلام) الرسالية تبدأ برسول الإسلام وخاتم الأنبياء **محمد بن عبدالله** (صلى الله عليه وآله) وتنتهي بخاتم الأوصياء، **محمد بن الحسن العسكري المهدي المنتظر** عجّل الله تعالى فرجه وأنار الأرض بعدله.

ويختصّ هذا الكتاب بدراسة حياة الإمام موسى بن جعفر، التاسع من أعلام الهداية الذي جسّد الكمالات النبوية في العلم والهداية والعمل والتربية وتوسعت بجهوده العلمية الجبارة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) واتضحت معالمها وأينعت ثمارها ولا زلنا نتفيأ ظلالها حتى عصرنا هذا .

ولا بدَّ لنا من تقديم الشكر الى كلّ الاخوة الأعزّاء الذين بذلوا جهداً وافراً وشاركوا في إنجاز هذا المشروع المبارك وإخراجه إلى عالم النور، لا سيما أعضاء لجنة التأليف بإشراف سماحة السيد منذر الحكيم حفظه الله تعالى.

ولا يسعنا إلّا أن نبتهل الى الله تعالىٰ بالدعاء والشكر لتوفيقه على إنجاز هذه الموسوعة المباركة فإنه حسبنا ونعم النصير.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام)

قم المقدسة

الباب الأول

فيه فصول

الفصل الأول :

الإمام الكاظم (عليه السلام) في سطور

الفصل الثاني :

انطباعات عن شخصية الإمام الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثالث :

مظاهر من شخصية الإمام الكاظم (عليه السلام)

الفصل الأول

الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) في سطور

الإمام موسى بن جعفر المعروف بالكاظم الغيظ سابع أئمة المسلمين بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحد أعلام الهداية الربّانية في دنيا الاسلام وشمس من شموس المعرفة في دنيا البشرية التي لا زالت تشع نوراً وبهاءً في هذا الوجود.

إنه من العترة الطاهرة الذين قرنهم الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بمحكم التنزيل وجعلهم قدوة لاولي الألباب وسفناً للنجاة وأمناً للعباد وأركاناً للبلاد.

إنه من شجرة النبوة الباسقة والدوحة العلوية اليانعة ومحطّ علم الرسول وباب من أبواب الوحي والايمان ومعدن من معادن علم الله.

ولد الإمام موسى بن جعفر في نهاية العهد الأُموي سنة (١٢٨ هـ) وعاصر أيّام انهيار هذا البيت الذي عاث باسم الخلافة النبويّة في أرض الاسلام فساداً.

وعاصر أيضاً بدايات نشوء الحكم العبّاسي الذي استولى على مركز القيادة في العالم الإسلامي تحت شعار الدعوة الى الرّضى من آل محمد (صلى الله عليه وآله).

وعاش في ظلّ أبيه الصادق (عليه السلام) عقدين من عمره المبارك وتفيأ بظلال علوم والده الكريم ومدرسته الربّانية التي استقطبت بأشعتها النافذة العالم الإسلامي بل الإنساني أجمع.

فعاصر حكم السفّاح ثم حكم المنصور الذي اغتال أباه في الخامس والعشرين من شوال سنة (١٤٨ هـ) وتصدّى لمنصب الإمامة بعد أبيه الصادق(عليه السلام) في ظروف حرجة كان يخشىٰ فيها علىٰ حياته.

وقد أحكم الإمام الصادق(عليه السلام) التدبير للحفاظ علىٰ ولده موسىٰ ليضمن استمرار حركة الرسالة الإلهية في أقسىٰ الظروف السياسية حتى أينعت ثمار هذه الشجرة الباسقة خلال ثلاثة عقود من عمره العامر بالهدى، وتنفّس هواء الحرية بشكل نسبي في أيّام المهدي العبّاسي وما يقرب من عقد في أيام حكم الرشيد.

لقد عاش الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) ثلاثة عقود من عمره المبارك والحكم العبّاسي لمّا يستفحل، ولكنه قد عانىٰ من الضغوط في عقده الأخير ضغوطاً قلّما عاناها أحد من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) من الأمويين وممن سبق الرشيد من العباسيين من حيث السجن المستمر والاغتيالات المتتالية حتىٰ القتل في سبيل الله علىٰ يدي عملاء السلطة الحاكمة باسم الله ورسوله. وقد روي أنّ الرشيد خاطب الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) معتذراً منه في اعتقال سبطه موسىٰ بن جعفر(عليه السلام). زاعماً أنّ وجوده بين ظهراني الأُمة سبب للفرقة ... وهكذا تحكم القبضة علىٰ رقاب المسلمين بل وأئمة المسلمين ..فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد سار الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) علىٰ منهاج جدّه رسول الله(صلى الله عليه وآله) وآبائه المعصومين علي أمير المؤمنين والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر ... في الاهتمام بشؤون الرسالة الالهيّة وصيانتها من الضياع والتحريف، والجدّ في صيانة الأُمّة من الانهيار والاضمحلال ومقارعة الظالمين وتأييد الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر للصدّ من تمادي

الحكام في الظلم والاستبداد .

وقد كانت مدرسته العلمية الزاخرة بالعلماء وطلّاب المعرفة تشكّل تحدّياً اسلامياً حضارياً وتقف أمام تراث كل الحضارات الوافدة وتربي الفطاحل من العلماء والمجتهدين وتبلور المنهج المعرفي للعلوم الإسلامية والإنسانية معاً.

كما كانت نشاطاته التربوية والتنظيمية تكشف عن عنايته الفائقة بالجماعة الصالحة وتخطيطه لمستقبل الأمّة الإسلامية الزاهر والزاخر بالطليعة الواعية التي حفظت لنا تراث ذلك العصر الذهبي العامر بمعارف أهل البيت(عليهم السلام) وعلوم مدرستهم التي فاقت كل المدارس العلمية في ذلك العصر وأخذت تزهر وتزدهر يوماً بعد يوم حتى عصرنا هذا.

لقد اشتهر الإمام موسى بالكاظم الغيظ لشدّة حلمه وبالعابد والتقي وباب الحوائج الى الله، ولم يستسلم لضغوط الحكّام العباسيين ولألوان تعسفهم من أجل تحجيم نشاطه الربّاني الذي كانت تفرضه عليه ظروف المرحلة صيانة للرسالة والدولة الإسلامية من الانهيار وتحقيقاً لهوية الأُمة ومحافظة على الجماعة الصالحة من التحديات المستمرّة والمتزايدة يوماً بعد يوم.

لقد بقي هذا الإمام العظيم ثابتاً مقاوماً على خط الرسالة والعقيدة لا تأخذه في الله لومة لائم حتى قضى نحبه مسموماً شهيداً محتسباً حياته مضحّياً بكل ما يملك في سبيل الله وإعلاءاً لكلمة الله ودين جدّه المصطفى محمد(صلى الله عليه وآله) في الخامس والعشرين من رجب سنة (١٨٣) أو (١٨٤ هـ).

فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد في سبيل الله ويوم استشهد ويوم يبعث حيّاً.

الفصل الثاني

انطباعات عن شخصية الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)

أجمع المسلمون - على اختلاف نحلهم ومذاهبهم - على أفضلية أئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، وأعلميّتهم، وسمو مقامهم، ورفعة منزلتهم، وقدسيّة ذواتهم وقرب مكانتهم من الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) حتّى تنافسوا في الكتابة عنهم، وذكر أحاديث الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) فيهم، وبيان سيرهم، وأخلاقهم، وذكر ما ورد من حكمهم وتعاليمهم.

ولا غرو في ذلك بعد أن قرنهم الرسول الأعظم(صلى الله عليه وآله) بالقرآن الكريم - كما ورد في حديث الثقلين - ووصفهم النبي(صلى الله عليه وآله) بسفينة نوح التي من ركبها نجا، ومن تخلّف عنها غرق وهوى، ومثّلهم بباب حطّة الذي من دخله كان آمناً. الى كثير من أحاديثه(صلى الله عليه وآله) في بيان فضلهم، والتنويه بعظمة مقامهم.

ونقدّم في هذا الفصل بعض الانطباعات ممّن عاصر الإمام الكاظم(عليه السلام) عنه وممّن تلا عصره.

١ - قال عنه الإمام الصادق(عليه السلام): **«فيه علم الحكم، والفهم والسخاء والمعرفة فيما يحتاج الناس إليه فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم، وفيه حسن الخلق، وحسن الجوار، وهو باب من أبواب الله عزّ وجلّ»**[1].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٢ عن عيون أخبار الرضا(عليه السلام).

٢ ـ قال هارون الرشيد لإبنه المأمون وقد سأله عنه : هذا إمام الناس، وحجّة الله على خلقه، وخليفته على عباده(١).

وقال له أيضاً : يا بنيّ هذا وارث علم النبيين، هذا موسى بن جعفر، إن أردت العلم الصحيح فعند هذا(٢).

٣ ـ قال المأمون العباسي في وصفه : قد أنهكته العبادة، كأنه شنّ بال، قد كلم السجود وجهه وأنفه(٣).

٤ ـ كتب عيسى بن جعفر للرشيد : لقد طال أمر موسى بن جعفر ومقامه في حبسي، وقد اختبرت حاله ووضعت عليه العيون طول هذه المدّة، فما وجدته يفتر عن العبادة، ووضعت من يسمع منه مايقوله في دعائه فما دعا عليك ولا عليّ، ولا ذكرنا بسوء، وما يدعو لنفسه إلاّ بالمغفرة والرحمة، فإن أنت انفذت اليّ من يتسلّمه منّي وإلاّ خليت سبيله، فإني متحرج من حبسه(٤).

٥ ـ قال أبو علي الخلال ـ شيخ الحنابلة ـ : ما همّني أمر فقصدت قبر موسى بن جعفر فتوسّلت به، إلاّ وسهّل الله تعالى لي ما أحبّ(٥).

٦ ـ قال أبو حاتم : ثقة صدوق، إمام من ائمّة المسلمين(٦).

٧ ـ قال الخطيب البغدادي: كان سخياً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنّه يؤذيه، فيبعث إليه بصُرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر: ثلاثمائة دينار، وأربعمائة دينار، ومائتي دينار ثم يقسّمها بالمدينة، وكان مثل صرر

(١) أئمتنا : ٢ / ٦٥ عن أعيان الشيعة.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق : ٣٠٧ والمناقب : ٤ / ٣١٠.

(٣) الأنوار البهية : ١٩٣ عن عيون أخبار الرضا(عليه السلام): ٨٨/١ ح ١١ ب ٧.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب : ٤ / ٣٥٢.

(٥) تاريخ بغداد : ١ / ١٢٠.

(٦) تهذيب التهذيب : ١٠ / ٢٤٠.

موسىٰ بن جعفر إذا جاءت الإنسان الصرة فقد استغنىٰ[١].

٨ ـ قال ابن الصبّاغ المالكي: وأمّا مناقبه وكراماته الظاهرة، وفضائله وصفاته الباهرة، تشهد له بأنّه افترع قبّة الشرف وعلاها، وسما الىٰ أوج المزايا فبلغ علاها، وذلّلت له كواهل السيادة وامتطاها، وحكم في غنائم المجد فاختار صفاياها فأصطفاها...[٢]

٩ ـ قال سبط ابن الجوزي: موسىٰ بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)، ويلقّب بالكاظم والمأمون والطيّب والسيّد، وكنيته أبو الحسن، ويدعى بالعبد الصالح لعبادته، واجتهاده وقيامه بالليل[٣].

١٠ ـ قال كمال الدين محمد بن طلحة الشافعي: هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكبير المجتهد الجادّ في الاجتهاد، المشهور بالعبادة، المواظب علىٰ الطاعات، المشهور بالكرامات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً، ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دعي (كاظماً). كان يجازي المسيء باحسانه إليه، ويقابل الجاني بعفوه عنه، ولكثرة عبادته كان يسمّى بـ(العبد الصالح) ويعرف في العراق بـ (باب الحوائج الىٰ الله) لنجح مطالب المتوسّلين الىٰ الله تعالىٰ به. كراماته تحار منها العقول، وتقضي بان له عند الله قدم صدق لا تزال ولا تزول[٤].

١١ ـ قال أحمد بن يوسف الدمشقي القرماني: هوالإمام الكبير القدر،

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣ / ٢٧ ومقاتل الطالبيين: ٤٩٩.

(٢) الفصول المهمة: ٢١٧ وكشف الغمة: ٤٦/٣.

(٣) تذكرة الخواص: ٣١٢.

(٤) مطالب السؤول: ٨٣.

الأوحد، الحجّة، الساهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما،المسمّى لفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين (كاظماً) وهو المعروف عند أهل العراق بـ (باب الحوائج) لأنه ما خاب المتوسّل به في قضاء حاجة قط... له كرامات ظاهرة، ومناقب باهرة، افترع قمة الشرف وعلاها، وسما الىٰ اوج المزايا فبلغ علاها[١].

١٢ ـ قال محمد بن أحمد الذهبي :كان موسىٰ من أجود الحكماء، ومن عبادالله الاتقياء، وله مشهد معروف ببغداد ، مات سنة ثلاث وثمانين وله خمس وخمسون سنة[٢].

١٣ ـ قال ابن الساعي : الإمام الكاظم : فهو صاحب الشأن العظيم، والفخر الجسيم، كثير التهجد، الجادّ في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادات، المواظب علىٰ الطاعات، يبيت الليل ساجدا وقائما، ويقطع النهار متصدّقاً وصائماً[٣].

١٤ - قال عبدالمؤمن الشبلنجي :كان موسىٰ الكاظم رضي الله عنه أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، واسخاهم كفّاً، وأكرمهم نفساً، وكان يتفقّد فقراء المدينة فيحمل إليهم الدراهم والدنانير الىٰ بيوتهم ليلاً، وكذلك النفقات، ولا يعلمون من أيّ جهة وصلهم ذلك، ولم يعلموا بذلك إلّا بعد موته. وكان كثيراً ما يدعو : « **اللّهم إني أسألك الراحة عند الموت، والعفو عند الحساب** »[٤].

١٥ - قال عبد الوهاب الشعراني: احد الأئمة الاثني عشر، وهو ابن جعفر

(١) اخبار الدول : ١١٢.

(٢) ميزان الاعتدال : ٣ / ٢٠٩.

(٣) مختصر تاريخ الخلفاء : ٣٩.

(٤) نور الأبصار : ٢١٨.

ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، كان يكنّى بـ (العبد الصالح) لكثرة عبادته واجتهاده وقيامه الليل، وكان إذا بلغه عن احد يؤذيه يبعث إليه بمال[١].

١٦ ـ قال عبد الله الشبراوي الشافعي :كان من العظماء الاسخياء، وكان والده جعفر يحبه حباً شديداً، قيل له: ما بلغ من حبك لموسى؟

قال : وددت أن ليس لي ولد غيره، لئلا يشرك في حبي أحد.

ثم تحدث عن الإمام(عليه السلام) ونقل بعض كلامه[٢].

١٧ ـ قال محمد خواجه البخاري: ومن أئمة أهل البيت: أبو الحسن موسى الكاظم بن جعفر الصادق رضي الله عنهما،كان رضي الله عنه صالحاً، عابداً، جواداً، حليماً، كبير القدر، كثير العلم، كان يدعى بـ (العبد الصالح) وفي كل يوم يسجد لله سجدة طويلة بعد ارتفاع الشمس الى الزوال.

وبعث الى رجل يؤذيه صرة فيها ألف دينار.

طلبه المهدي بن المنصور من المدينة الى بغداد فحبسه، فرأى المهدي في النوم علياً كرّم الله وجهه يقول: يا مهدي « **فهل عسيتم أن تولّيتم أن تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم** » فأطلقه..[٣].

١٨ ـ قال محمد أمين السويدي: هوالإمام الكبير القدر، الكثير الخير،كان يقوم ليله، ويصوم نهاره، وسمّي (كاظماً) لفرط تجاوزه عن المعتدين ... له كرامات ظاهرة، ومناقب لا يسع مثل هذا الموضع ذكرها[٤].

---

(١) الكامل في التاريخ: ١٦٤/٦، وتذكرة الخواص: ٣٤٨.

(٢) الأتحاف بحب الأشراف : ٥٤.

(٣) ينابيع المودة : ٤٥٩.

(٤) سبائك الذهب : ٧٣.

١٩ ـ قال محمود بن وهيب القراغولي البغدادي الحنفي: هو موسىٰ بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وكنيته أبو الحسن، والقابه أربعة: الكاظم، والصابر، والصالح، والامين، الأول هو الاشهر، وصفته معتدل القامة أسمر، وهو الوارث لأبيه رضي الله عنهما علماً ومعرفة وكمالاً وفضلاً سمي بـ (الكاظم) لكظمه الغيظ، وكثرة تجاوزه وحلمه. وكان معروفاً عند أهل العراق بـ (باب قضاء الحوائج عند الله) وكان أعبد أهل زمانه، وأعلمهم، واسخاهم[1].

٢٠ ـ قال محمد أمين غالب الطويل: وكان العلويون يقتدون بالرجل العظيم، الإمام موسىٰ الكاظم، والمشهور بالتقوى، وكثرة العبادة، حتى سماه المسلمون (العبد الصالح) وكان يلقب أيضاً بـ (الرجل الصالح) تشبيها له بصاحب موسىٰ بن عمران، المذكور في القرآن، وكان الإمام الكاظم كريماً وسخياً[2].

(١) جوهرة الكلام: ١٣٩.
(٢) تاريخ العلويين: ١٥٨.

الفصل الثالث

مظاهر من شخصية الإمام الكاظم (عليه السلام)

١ ـ وفور علمه :

لقد شهد للإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بوفور علمه أبوه الإمام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) إذ قال عنه:

«إنّ ابني هذا لو سألته عمّا بين دفتي المصحف لأجابك فيه بعلم».

وقال أيضاً: **«وعنده علم الحكمة، والفهم، والسخاء، والمعرفة بما يحتاج إليه الناس فيما اختلفوا فيه من أمر دينهم».**

ويكفي لمعرفة وفور علومه رواية العلماء عنه جميع الفنون من علوم الدين وغيرها مما ملأوا به الكتب، وألّفوا المؤلّفات الكثيرة، حتى عرف بين الرواة بالعالم.

وقال الشيخ المفيد: وقد روى الناس عن أبي الحسن موسىٰ فأكثروا، وكان أفقه أهل زمانه[١].

---

(١) الارشاد: ٢٢٥/٢ .

٢ - عبادته وتقواه:

نشأ الإمام موسىٰ (عليه السلام) في بيت القداسة والتقوى، وترعرع في معهد العبادة والطاعة، بالاضافة الىٰ أنه قد ورث من آبائه حب الله والايمان به والاخلاص له فقد قدموا نفوسهم قرابين في سبيله، وبذلوا جميع إمكانياتهم في نشر دينه والقضاء علىٰ كلمة الشرك والضلال فأهل البيت أساس التقوى ومعدن الايمان والعقيدة، فلولاهم ماعبد الله عابد ولا وحّده موحّد. وما تحققت فريضة، ولا أقيمت سنة، ولا ساغت في الاسلام شريعة.

لقد رأى الإمام(عليه السلام) جميع صور التقوى ماثلة في بيته، فصارت من مقوّمات ذاته ومن عناصر شخصيته، وحدّث المؤرخون أنه كان أعبد أهل زمانه[1] حتى لقّب بالعبد الصالح، وبزين المجتهدين إذ لم تر عين انسان نظيراً له قط في الطاعة والعبادة. ونعرض انموذجاً من مظاهر طاعته وعبادته:

أ ـ صلاته: إنّ أجمل الساعات وأثمنها عند الإمام(عليه السلام) هي الساعات التي يخلو بها مع الله عزّ اسمه فكان يقبل عليه بجميع مشاعره وعواطفه وقد ورد: أنه إذا وقف بين يدي الله تعالىٰ مصلّياً أو مناجياً أو داعياً ارسل ما في عينيه من دموع، وخفق قلبه، واضطرب موجدة وخوفاً منه، وقد شغل أغلب أوقاته في الصلاة «فكان يصلّي نوافل الليل ويصلها بصلاة الصبح، ثم يعقب حتى تطلع الشمس، ويخرّ لله ساجداً فلا يرفع رأسه من الدعاء والتمجيد حتى يقرب زوال الشمس»[2]، من مظاهر طاعته أنه دخل مسجد النبي(صلى الله عليه وآله) في أول الليل فسجد سجدة واحدة وهو يقول بنبرات تقطر إخلاصاً وخوفا منه:

---

(١) جوهرة الكلام: ١٣٩.

(٢) الارشاد: ٢/٢٣١ وعنه في كشف الغمة: ٣/١٨.

«عظم الذنب من عبدك، فليحسن العفو من عندك»[١].

ولمّا أودعه طاغية زمانه الملك هارون الرشيد في ظلمات السجون تفرغ للطاعة والعبادة حتى بهر بذلك العقول وحير الالباب، فقد شكر الله على تفرغه لطاعته قائلاً:

«اللّهم انّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك، اللهمّ وقد فعلت فلك الحمد»[٢].

لقد ضرب الإمام المثل الأعلى للعبادة فلم يضارعه أحد في طاعته واقباله على الله، فقد هامت نفسه بحبه تعالى، واتطبع في قلبه الايمان العميق.

وحدّث الشيباني[٣] عن مدى عبادته، فقال: كانت لأبي الحسن موسى (عليه السلام) في بضع عشر سنة سجدة في كل يوم بعد ابيضاض الشمس الى وقت الزوال[٤]، وقد اعترف عدوه هارون الرشيد بأنه المثل الأعلى للانابة والايمان، وذلك حينما أودعه في سجن الربيع[٥] فكان يطل من أعلى القصر فيرى ثوباً مطروحاً فيمكان خاص من البيت لم يتغير عن موضعه فيتعجب

---

(١) وفيات الأعيان: ٤ / ٢٩٣؛ وكنز اللغة: ٧٦٦، وتاريخ بغداد: ٢٧/١٣ وعنه في الأنوار البهية: ١٩٠.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٤٣/٤، ووفيات الأعيان: ٢٩٣/٤.

(٣) الشيباني: هو أبو عبدالله محمد بن الحسن مولى لبني شيبان حضر مجلس أبي حنيفة سنين، وتفقه على أبي يوسف، وصنف الكتب الكثيرة ونشر علم أبي حنيفة وقال الشافعي: حملت من علم محمد بن حسن وقر بعير وقال أيضاً: ما رأيت أحداً يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت فيوجهه الكراهة الا محمد بن الحسن. توفيبالري سنة (١٨٧ هـ) وهو ابن ثمان وخمسين سنة كما جاء في طبقات الفقهاء: ص ١١٤.

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): ١ / ١٤٠ عن بحار الأنوار.

(٥) الربيع بن يونس كان حاجباً للمنصور ثم صار وزيراً له بعد أبي أيوب، وكان المنصور كثير الميل إليه حسن الاعتماد عليه قال له يوماً: ويحك ياربيع ما أطيب الدنيا لولا الموت، فقال له الربيع: ما طابت الدنيا إلاّ بالموت، قال له: وكيف ذلك؟ فأجابه لولا الموت لم تقعد هذا المقعد، فقاله له: صدقت، وقال له المنصور لمّا حضرته الوفاة: بعنا الآخرة بنومة، ويقال إن الربيع لم يكن له أب يعرف، وان بعض الهاشميين وفد على المنصور فجعل يحدثه ويقول له: كان أبي رحمه الله، وكان، وكان، وأكثر من الترحم عليه، فقال له الربيع: كم تترحم على أبيك بحضرة أمير المؤمنين؟ فقال له الهاشمي: أنت معذور لانك لاتعرف مقدار الآباء فخجل أشدّ الخجل. توفي الربيع سنة (١٧٠ هـ) جاء ذلك في وفيات الأعيان: (ج ١ / ص ٢٣١ ـ ٢٣٣) ط. بولاق.

من ذلك ويقول للربيع:

«ما ذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع» ؟ !

ـ يا أمير المؤمنين: ما ذاك بثوب، وإنما هو موسى بن جعفر، له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس الى وقت الزوال.

فبهر هارون وانطلق يبدي إعجابه.

ـ أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم !!

والتفت إليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بزهدالإمام وعزوفه عن الدنيا طالباً أن يطلق سراحه ولا يضيق عليه قائلاً:

يا أمير المؤمنين: ما لك قد ضيقت عليه فيالحبس !! ؟

فأجابه هارون بما انطوت عليه نفسه من عدم الرحمة والرأفة قائلاً:

«هيهات: لابد من ذلك !»[1].

ب ـ صومه: كان الإمام(عليه السلام) يصوم في النهار ويقوم مصلّياً فيالليل، خصوصاً لمّا سجنه هارون فإنه لم يبارح العبادة الاستحبابية بجميع أنواعها من صوم وغيره، وهو يشكر الله ويحمده على هذا الفراغ الذي قضاه في عبادته.

ج ـ حجّه: وما من شيء يحبه الله وندب إليه إلّا فعله الإمام عن رغبة واخلاص، فمن ذلك أنه حج بيت الله ماشياً على قدميه، والنجائب تقاد بين يديه، وقد حج معه أخوه علي بن جعفر وجميع عياله أربع مرات، وحدّث عليبن جعفر عن الوقت الذي قطعوا به طريقهم فقال: كانت السفرة الأُولى ستاً وعشرين يوماً، والثانية كانت خمساً وعشرين يوماً، والثالثة كانت أربعاً وعشرين يوماً، والرابعة كانت إحدى وعشرين يوماً[2].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١/٩٥ ح ١٤ وعنه في الأنوار البهية: ١٨٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/١٠٠ ح ٢ عن قرب الاسناد.

د ـ تلاوته للقرآن: كان الذكر الحكيم رفيق الإمام في خلواته، وصاحبه في وحشته وكان يتلوه بامعان وتدبر، وكان من أحسن الناس صوتا به، فاذا قرأ يحزن، ويبكي السامعون لتلاوته[١].

وحدّث حفص عن كيفية تلاوته للقرآن فقال: وكان قراءته حزناً فاذا قرأ فكأنه يخاطب إنساناً[٢] بهذه الكيفية كان يتلو آيات الذكر الحكيم فكان يمعن في تعاليمه ويمعن في آدابه، ويتبصر في أوامره ونواهيه وأحكامه.

هـ ـ عتقه للعبيد: ومن مظاهر طاعة الإمام(عليه السلام) عطفه واحسانه على الرقيق فقد أعتق الف مملوك[٣] كل ذلك لوجه الله، وابتغاء مرضاته، والتقرب إليه.

٣ ـ زهده:

كان الإمام في طليعة الزاهدين في الدنيا والمعرضين عن نعيمها وزخارفها فقد اتجه الىٰ الله ورغب فيما أعدّه له في دار الخلود من النعيم والكرامة، وقد حدثنا عن مدى زهده ابراهيم بن عبد الحميد فقال: دخلت عليه في بيته الذي كان يصلي فيه، فاذا ليس في البيت شيء سوى خصفة، وسيف معلق، ومصحف[٤]، لقد كان عيشه زهيداً، وبيته بسيطاً فلم يحتو علىٰ شيء حتى من الأمتعة البسيطة التي تضمها بيوت الفقراء الأمر الذي دل علىٰ تجرده من الدنيا، وإعراضه عنها. علىٰ أنه كانت تجبى له الأموال الطائلة، والحقوق الشرعية من العالم الشيعي، بالاضافة الىٰ أنه كان يملك البسرية وغيرها من

---

(١) المناقب: ٤ / ٣٤٨.

(٢) أصول الكافي: ٢/٦٠٦ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١١١.

(٣) عن الدر النظيم، في مناقب الأئمة اللهاميم ليوسف بن حاتم الشامي، مخطوط في مكتبة الإمام الحكيم العامة (النجف الاشرف).

(٤) بحار الأنوار: ٤٨/١٠٠، ح١ عن قرب الاسناد.

الأراضي الزراعية التي تدر عليه بالاموال الخطيرة، وقد أنفق جميع ذلك بسخاء على البائسين والمحرومين في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وكان (عليه السلام) دوماً يتلو على أصحابه سيرة أبي ذر الصحابي العظيم الذي ضرب المثل الاعلى لنكران الذات والتجرد عن الدنيا والزهد في ملاذها، فقال (عليه السلام):

«رحم الله أبا ذر. فلقد كان يقول: جزى الله الدنيا عني مذمة بعد رغيفين من الشعير، أتغدى بأحدهما، وأتعشى بالآخر، وبعد شملتي الصوف أئتزر باحدهما وارتدي بالأخرى...»[1].

٤ ـ جوده وسخاؤه:

لقد تجلّى الكرم الواقعي، والسخاء الحقيقي في الإمام فكان مضرب المثل في الكرم والمعروف، فقد فزع إليه البائسون والمحرومون لينقذهم من كابوس الفقر وجحيم البؤس وقد أجمع المؤرخون أنه أنفق (عليه السلام) جميع ما عنده عليهم كل ذلك في سبيل الله لم يبتغ من أحد جزاءاً أو شكوراً، وكان (عليه السلام) في صِلاته يتطلب الكتمان وعدم الذيوع لئلا يشاهد على الآخذ ذلة الحاجة، وكان يلتمس في ذلك وجه الله ورضاه، ولهذا كان يخرج في غلس الليل البهيم فيصل الطبقة الضعيفة ببرّه وإحسانه وهي لا تعلم من أيّ جهة تصلها تلك المبرة، وكان يوصلهم بصراره التي تتراوح ما بين المائتي دينار الى الاربعمائة دينار[2] وكان يضرب المثل بتلك الصرار فكان أهله يقولون:

«عجباً لمن جاءته صرار موسى وهو يشتكي القلة والفقر!!»[3].

---

(١) اصول الكافي: ٢ / ١٣٤.

(٢) تأريخ بغداد: ١٣ / ٢٨.

(٣) عمدة الطالب: ١٨٥.

وبلغ من عطفه المستفيض أنه إذا بلغه عن شخص يؤذيه ويسيء إليه بعث له بصرّة فيها ألف دينار[١] . وقد قامت هباته السرية وصلاته الخفية بإعاشة فقراء يثرب، فكانوا جميعاً يرتعون بنعمته ويعيشون من عطاياه.

وحدّث عيسى بن محمّد القرطي قال : «زرعت بطيخاً وقثاءً وقرعاً[٢] في موضع بالجوانيّة[٣] على بئر يقال لها أُم عضام.

فلمّا استوى الزرع بغتني الجراد، فأتى على الزرع كلّه، وكنت قد غرمت عليه مع ثمن جملين مائة وعشرين ديناراً. فبينما أنا جالس إذ طلع عليّ الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) فسلّم ثم قال لي: **كيف حالك؟**

فقلت: أصبحت كالصريم بغتني الجراد فأكل كل زرعي .

فقال: **كم غرمت فيه؟**

فقلت: مائة وعشرين ديناراً مع ثمن الجملين.

فالتفت (عليه السلام) لعرفة وقال له: **زن لابن المغيث مائة وخمسين ديناراً**. ثم قال لعيسى: **فربحك ثلاثون ديناراً مع الجملين**»[٤].

٥ ـ حلمه :

وكان الحلم من أبرز صفات الإمام موسى (عليه السلام) فقد كان مضرب المثل في حلمه وكظمه للغيظ، وكان يعفو عمن أساء إليه، ويصفح عمن اعتدى عليه، ولم يكتف بذلك وانما كان يحسن لهم ويغدق عليهم بالمعروف ليمحو بذلك روح الشر والانانية من نفوسهم، وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة من حلمه

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ / ٢٧.

(٢) القرع : نوع من اليقطين ، الواحدة قرعة .

(٣) منطقة قرب المدينة.

(٤) تاريخ بغداد: ٢٩/١٣، وكشف الغمة: ٢ / ٢١٧.

فقد رووا: «أن شخصاً من احفاد عمر بن الخطاب كان يسيء للامام، ويكيل السب والشتم لجده أمير المؤمنين(عليه السلام) فأراد بعض شيعة الإمام اغتياله فنهاهم (عليه السلام) عن ذلك ورأى أن يعالجه بغير ذلك فسأل عن مكانه فقيل: أنه يزرع في بعض نواحي المدينة، فركب(عليه السلام) بغلته ومضى إليه متنكراً، فوجده في مزرعته فأقبل نحوه، فصاح به: لا تطأ زرعنا واستمر الإمام حتى وصل إليه، ولمّا انتهى إليه جلس الىٰ جنبه وأخذ يلاطفه ويحدّثه بأطيب الحديث، وقال له بلطف ولين:

-كم غرمت في زرعك هذا؟

- مائة دينار.

-كم ترجو أن تصيب منه؟.

- أنا لا أعلم الغيب!!

- انما قلت لك: كم ترجو أن يجيئك منه؟

- أرجو أن يجيئني منه مئتا دينار.

فأعطاه (عليه السلام) ثلاثمائة دينار، وقال: **هذه لك وزرعك علىٰ حاله** فتغير العمري، وخجل من نفسه علىٰ ما فرط من قبل في حق الامام، وتركه (عليه السلام) ومضى الىٰ الجامع النبوي، فوجد العمري قد سبقه، فلما رأى الإمام مقبلاً قام إليه تكريماً وانطلق يهتف:

﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ في من يشاء».

فبادر إليه اصحابه منكرين عليه هذا الانقلاب، فأخذ يخاصمهم، ويتلو عليهم مناقب الإمام ومآثره، ويدعو له، فالتفت(عليه السلام) إلى أصحابه قائلاً:

أيّما كان خيراً؟ ما أردتم أو ما أردت أن أصلح أمره بهذا المقدار؟»(١).

---

(١) تأريخ بغداد: ١٣ / ٢٨ ـ ٢٩، والارشاد: ٢٣٣/٢ وعنه في اعلام الورى: ٢٦/٢، ٢٧، وكشف الغمة: ١٨/٣، ١٩ واختصر في مناقب آل أبي طالب: ٣٤٤/٤.

ومن آيات حلمه(عليه السلام) أنه اجتاز على جماعة من حسّاده وأعدائه، وكان فيهم ابن هياج فأمر بعض اتباعه أن يتعلق بلجام بغلةالإمام ويدّعيها فمضى الرجل الى الإمام وتعلق بزمام بغلته فادعاها له فعرفالإمام غايته فنزل عن بغلته وأعطاها له[1]. لقد أقام(عليه السلام) بذلك أسمى مثل للانسانية الفذّة والحلم الرفيع.

وكان(عليه السلام) يوصي أبناءه بالتحلّي بهذه الصفة الرفيعة ويأمرهم بالصفح عمن أساء إليهم فقد جمعهم وأوصاهم بذلك فقال:

«يا بُنيّ: إني أوصيكم بوصية من حفظها انتفع بها، إذا أتاكم آت فأسمع أحدكم في الاذن اليمنى مكروهاً ثم تحوّل الى اليسرى فاعتذر لكم، وقال: إني لم أقل شيئاً فاقبلوا عذره»[2].

٦ ـ ارشاده وتوجيهه:

إنّ إرشاد الناس الى الحق وهدايتهم الى الصواب من أهم الأمور الاصلاحية التي كان الإمام يعنى بها، فقد قام بدور مهم في انقاذ جماعة ممن أغرّتهم الدنيا وجرفتهم بتياراتها. وببركة ارشاده ووعظه لهم تركوا ما هم فيه من الغيّ والضلال وصاروا من عيون المؤمنين. وقد ذكر المؤرخون بوادر كثيرة له في هذا المجال فقد رووا قصته مع بشر الحافي، إذ كان في بداية أمره ـ فيما يقول الرواة ـ يتعاطى الشراب ويقضي لياليه وأيامه في المجون والدعارة فتاب ببركة إرشاد الإمام(عليه السلام) وتوجيهه كما سوف نشير الى قصّته مع الإمام (عليه السلام) فيما سيأتي[3].

(١) بحار الأنوار: ١٤٨/٤٨ عن فروع الكافي: ٨٦/٨

(٢) كشف الغمة: ٨/٣ عن الجنابذي، والفصول المهمة لابن الصباغ: ٢٣٥.

(٣) راجع تمام القصة في الفصل الثاني من الباب الثالث: ٨٠.

وممن أرشدهم الإمام (عليه السلام) الى طريق الحق: الحسن بن عبدالله، فقد كان شخصية مرموقة عند الملوك زاهداً في الدنيا، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا تأخذه في الله لومة لائم، فاجتمع بالامام فقال (عليه السلام) له:

يا أبا علي ، ما أحب اليّ ما أنت عليه، وأسرني به، إلا أنه ليست لك معرفة فاطلب المعرفة.

قال: وما المعرفة ؟

فقال له: **تفقّه واطلب الحديث .**

فذهب الرجل فكتب الحديث عن مالك وعن فقهاء أهل المدينة، وعرضه على الإمام فلم يرض (عليه السلام)، وأرشده الى فقه أهل البيت وأخذ الأحكام منهم، والاعتراف لهم بالامامة فانصاع الرجل لذلك واهتدى(١).

لقد كان (عليه السلام) يدعو الناس الى فعل الخير ويدلّهم على العمل الصالح ويحذرهم لقاء الله واليوم الآخر، فقد سمع رجلاً يتمنى الموت فانبرى (عليه السلام) له قائلاً : «**هل بينك وبين الله قرابة يحابيك لها ؟**

فقال: لا .

فقال له (عليه السلام): **فأنت إذن تتمنّى هلاك الأبد**»(٢).

٧ – احسانه الى الناس :

وكان الإمام باراً بالمسلمين محسناً إليهم، فما قصده أحد في حاجة إلّا قام بقضائها، فلا ينصرف منه إلاّ وهو ناعم الفكر مثلوج القلب، وكان (عليه السلام) يرى أن إدخال الغبطة على الناس وقضاء حوائجهم من أهم أفعال الخير فلذا لم

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب: ٤ / ٣١٢.

(٢) الاتحاف بحب الأشراف : ٥٥.

يتوان قط في إجابة المضطر، ورفع الظلم عن المظلوم، وقد أباح لعلي بن يقطين الدخول في حكومة هارون وجعل كفارة عمل السلطان الاحسان الىٰ الاخوان مبرّراً له، وقد فزع إليه جماعة من المنكوبين فكشف آلامهم وملأ قلوبهم رجاءاً ورحمة.

ومن هؤلاء الذين أغاثهم الامام(عليه السلام) شخص من أهالي الري[1] كانت عليه أموال طائلة لحكومة الري فلم يتمكّن من أدائها، وخاف علىٰ نعمته أن تسلب منه، فأخذ يطيل الفكر فيما يعمل، فسأل عن حاكم الري، فأخبر أنه من الشيعة، فطوىٰ نيته علىٰ السفر الىٰ الإمام ليستجير به فسافر الىٰ المدينة فلما انتهى اليها تشرف بمقابلة الإمام فشكىٰ إليه حاله، فزوده(عليه السلام) برسالة الىٰ والي الري جاء فيها بعد البسملة:

إعلم أنّ لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلّا من أسدى الى أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل علىٰ قلبه سروراً، وهذا أخوك والسلام.

وأخذ الرسالة، وبعد أدائه لفريضة الحج، اتّجه الىٰ وطنه، فلما وصل، مضى الىٰ الحاكم ليلاً، فطرق عليه باب بيته فخرج غلامه، فقال له: من أنت؟

فقال: رسول الصابر موسى؟

فهرع الىٰ مولاه فأخبره بذلك فخرج حافي القدمين مستقبلاً له، فعانقه وقبّل ما بين عينيه، وجعل يكرر ذلك، ويسأله بلهفة عن حال الامام، ثم إنه ناوله رسالة الإمام فقبّلها وقام لها تكريماً، فلما قرأها أحضر أمواله وثيابه فقاسمه في جميعها وأعطاه قيمة ما لا يقبل القسمة وهو يقول له: يا أخي هل سررتك؟

فقال له: أي والله وزدت علىٰ ذلك!!

---

(١) كان يُدعى: علي بن طاهر الصوري كما في مصدر الخبر.

ثم استدعى السجل فشطب على جميع الديون التي عليه وأعطاه براءة منها، وخرج الرجل وقد طار قلبه فرحاً وسروراً، ورأى أن يجازيه على إحسانه ومعروفه فيمضي الى بيت الله الحرام فيدعو له، ويخبرالإمام بما أسداه إليه من البر والمعروف، ولمّا أقبل موسم الحج مضى إليه ثم اتّجه الى يثرب فواجه الإمام وأخبره بحديثه، فسرّ (عليه السلام) بذلك سروراً بالغاً، فقال له الرجل: يا مولاي : هل سرّك ذلك ؟

فقال الإمام(عليه السلام): **إي ، والله ! لقد سرّني، وسرّ أمير المؤمنين، والله لقد سرّ جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ولقد سرّ الله تعالى..»**[1].

وقد دلّ ذلك على اهتمامه البالغ بشؤون المسلمين ورغبته الملحة في قضاء حوائج الناس.

(١) اعتمدنا في هذا الفصل على ما كتبه الاستاذ باقر شريف القرشي ، راجع حياة الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام): ١ / ١٣٨ ـ ١٦٢. وخبر الصوريّ من أهل الريّ رواه المجلسي في بحار الأنوار: ١٧٤/٤٨ ح ١٦ عن كتاب قضاء حقوق المؤمنين المنشور في نشرة تراثنا: ١٨٦/٣٤ ح ٢٤.

الباب الثاني

فيه فصول:

الفصل الأوّل:

نشأة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثاني:

مراحل حياة الإمام الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثالث:

الإمام الكاظم في ظلّ أبيه (عليهما السلام)

الفصل الأول

نشأة الإمام موسىٰ الكاظم (عليه السلام)

هو سابع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، الكبير القدر العظيم الشأن، الجاد في العبادة المشهور بالكرامات، الكاظم الغيظ والعافي عن الناس، العبد الصالح وباب الحوائج الىٰ الله كما هو المعروف عند أهل العراق.

١ ـ الأب : هو سادس أئمة أهل البيت بعد الرسول(صلى الله عليه وآله) أبو عبدالله جعفر ابن محمد الصادق معجزة الاسلام ومفخرة الإنسانية علىٰ مرّ العصور وعبر الأجيال، لم تسمع الدنيا بمثله فضلاً ونبلاً وعلماً وكمالاً.

٢ ـ الأُم : لقد كانت أُم الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) من تلكم النسوة اللاتي جلبن لأسواق يثرب وقد خصّها الله بالفضل وعناها بالشرف فصارت وعاءً للإمامة والكرامة وتزوّج بها أبو عبدالله، فكانت من أعزّ نسائه واحبّهن إليه، وآثرهن عنده.

واختلف المؤرخون اختلافاً كثيراً في نسبها فقيل انّها اندلسية، وتكنّىٰ لؤلؤة[١] وقيل إنّها رومية[٢]، وقيل انّها من أجلّ بيوت الأعاجم[٣]، وكانت

---

(١) مرآة العقول: ٤٥١/١، معالم العترة.

(٢) تحفة الأزهار وزلال الأنهار، للسيد ضامن ابن شدقم، مخطوط، يوجد في قسم المخطوطات، من مكتبة الإمام كاشف الغطاء في النجف الأشرف.

(٣) الأنوار البهية: ١٥٢.

السيدة حميدة تعامل في بيتها معاملة كريمة، فكانت موضع عناية وتقدير عند جميع العلويات، كما انّ الإمام الصادق(عليه السلام) كان يغدق عليها بمعروفه، وقد رأى فيها وفور العقل والكمال، وحسن الايمان وأثنى عليها ثناءاً عاطراً، فقال فيها: «**حميدة مصفاة من الأدناس كسبيكة الذهب، مازالت الأملاك تحرسها حتى اديت إليّ كرامة من الله وللحجة من بعدي...**»[1]، وقد غذّاها الإمام الصادق بعلومه حتى أصبحت في طليعة نساء عصرها علماً وورعاً وايماناً، وعهد إليها بتفقيه النساء المسلمات وتعليمهن الأحكام الشرعية[2]، واجدر بها أن تحتل هذه المكانة، وان تكون من ألمع نساء عصرها في العفّة والفقه والكمال.

٣ ـ **الوليد المبارك**: وامتدّ الزمن بعد زواج الإمام بها، وسافر الإمام أبو عبدالله الى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، فحملها معه، وبعد الانتهاء من مراسيمه قفلوا راجعين الى يثرب، فلمّا انتهوا الى «الأبواء»[3]. أحسّت حميدة بالطلق فأرسلت خلف الإمام تخبره بالأمر، لأنه قد عهد اليها أن لا تسبقه بشأن وليده، وكان أبو عبدالله يتناول طعام الغداء مع جماعة من أصحابه، فلما وافاه النبأ المسرّ قام مبادراً اليها فلم يلبث قليلاً حتى وضعت حميدة سيداً من سادات المسلمين، وإماماً من أئمة أهل البيت(عليهم السلام).

لقد أشرقت الدنيا بهذا المولود المبارك الذي ما ولد ـ في عصره ـ أيمن، ولا أكثر عائدة ولطفاً على الاسلام منه.

لقد ولد أبرّ الناس، وأعطفهم على الفقراء، وأكثرهم عناءاً ومحنة في

(١) بحار الأنوار: ٤٨/٦، أصول الكافي: ١ / ٤٧٧، أعيان الشيعة: ٢/٥.

(٢) الأنوار الإلهية: ١٥٣.

(٣) الأبواء: بالفتح ثم السكون، وواو وألف ممدودة، قرية من أعمال الفرع بالمدينة، وبه قبر الزاكية آمنة بنت وهب أم النبي العظيم(صلى الله عليه وآله).

سبيل الله وأعظمهم عبادة وخوفاً من الله.

وبادر الإمام أبو عبدالله فتناول وليده فأجرى عليه مراسيم الولادة الشرعية فأذّن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى.

وانطلق الإمام أبو عبد الله عائداً الى أصحابه، وقد علت على ثغره ابتسامة فبادره أصحابه قائلين:

أسرّك الله، وجعلنا فداك ،يا سيدنا ما فعلت حميدة ؟

فبشرهم بمولوده المبارك، وعرّفهم عظيم أمره قائلاً :

«قد وهب الله لي غلاماً، وهو خير من برأ الله».

أجل انه خير من برأ الله علماً وتقوىً وصلاحاً، وتحرّجاً في الدين وأحاط الإمام أصحابه علماً بأن وليده من أئمة أهل البيت(عليهم السلام) الذين فرض الله طاعتهم على عباده قائلاً لهم:

«فدونكم، فوالله هو صاحبكم»[1].

وكانت ولادته في سنة (١٢٨ هـ)[2] وقيل سنة (١٢٩ هـ)[3] وذلك في أيام حكم عبد الملك بن مروان.

٤ ـ حب وتكريم : وقطع الإمام موسى شوطاً من طفولته وهو ناعم البال يستقبل الحياة كل يوم بحفاوة وتكريم؛ فأبوه يغدق عليه بعطفه المستفيض . وجماهير المسلمين تقابله بالعناية والتكريم ، وقد قدمه الإمام الصادق(عليه السلام) على بقية ولده، وحمل له من الحب ما لا يحمله لغيره، فمن مظاهر ودّه

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ / ٢ ، عن بصائر الدرجات: ١٢٩، ب ١٢، ح٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٤٩/٤، وتهذيب التهذيب : ١٠ / ٣٤.

(٣) اعيان الشيعة : ٢ / ٥ ، وعن تحفة الأزهار أنه ولد قبل طلوع فجر يوم الثلاثاء من صفر سنة (١٢٧ هـ) وعن بحر الانساب أنه ولد يوم الاحد لسبع ليال خلون من صفر.

أنه وهب له قطعة من أرض تسمى البسرية، كان قد اشتراها بست وعشرين ألف دينار[١].

وتكلّم الإمام موسىٰ وهو طفل بكلام أثار أعجاب أبيه فاندفع أبوه قائلاً: **«الحمد لله الذي جعلك خلفاً من الآباء، وسروراً من الأبناء، وعوضاً عن الأصدقاء»**[٢].

٥ـ صفته : كان أسمر شديد السمرة[٣]، ربع القامة، كث اللحية[٤] ووصفه شقيق البلخي فقال: كان حسن الوجه ، شديد السمرة، نحيف الجسم.

وحاكىٰ الإمام موسىٰ في هيبته هيبة الانبياء، وبدت في ملامح شكله سيماء الأئمة الطاهرين من آبائه، فما رآه أحد إلّا هابه وأكبره.

٦ـ نقش خاتمه : « **الملك لله وحده** »[٥].

٧ ـ كناه : أبو الحسن الأول ، أبو الحسن الماضي، أبو ابراهيم، أبو علي، أبو اسماعيل.

٨ ـ ألقابه : أمّا القابه فتدل علىٰ بعض مظاهر شخصيته، وجملة من جوانب عظمته، وهي كما يلي:

الصابر : لأنه صبر علىٰ الآلام والخطوب التي تلقاها من حكام الجور، الذين قابلوه بجميع ألوان الاسائة والمكروه.

الزاهر : لأنه زهر بأخلاقه الشريفة وكرمه المضيء الذي مثل به خلق جده الرسول (صلى الله عليه وآله).

(١) دلائل الإمامة : ٤٩ ـ ٥٠ .

(٢) بحار الأنوار: ٢٤/٤٨، عن عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ٢٩/١.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي : ٢٢٢، أخبار الدول : ١١٢.

(٤) مناقب آل أبي طالب : ٤ / ٣٤٨.

(٥) أخبار الدول : ١١٢.

العبد الصالح : ولقب بالعبد الصالح لعبادته، واجتهاده في الطاعة، حتى صار مضرب المثل في عبادته على ممرّ العصور والاجيال وقد عرف بهذا اللقب عند رواة الحديث فكان الراوي عنه يقول: حدثني «العبد الصالح».

السيد : لأنه من سادات المسلمين ، وإمام من أئمتهم، وقد مدحه بهذا اللقب الشاعر الشهير أبو الفتح بقوله:

أنا للسيد الشريف غلام حيثما كنت فليبلغ سلامي
وإذا كنت للشريف غلاما فأنا الحر والزمان غلامي[1]

الوفي : لأنه أوفى إنسان خلق في عصره، فقد كان وفياً باراً باخوانه وشيعته وباراً حتى باعدائه والحاقدين عليه.

الأمين : وكل ما للفظ الأمانة من معنى قد مثل في شخصيته العظيمة فقد كان أمينا على شؤون الدين وأحكامه، وأميناً على أُمور المسلمين وقد حاز هذا اللقب كما حازه جده الرسول الأعظم من قبل، ونال به ثقة الناس جميعاً.

الكاظم : وانما لقّب بذلك لماكظمه من الغيظ عما فعل به الظالمون من التنكيل والارهاق حتى قضى شهيداً مسموماً في ظلمات السجون لم يبد لاحد آلامه وأشجانه بل قابل ذلك بالشكر لله والثناء عليه، ويقول ابن الاثير: «انه عرف بهذا اللقب لصبره، ودماثة خلقه، ومقابلته الشر بالاحسان»[2].

ذو النفس الزكية : وذلك لصفاء ذاته التي لم تتلوّث بمآثم الحياة ولا بأقذار المادة حتى سمت، وانبتلت عن النظير.

باب الحوائج : وهذا أكثر ألقابه ذكراً، وأشهرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد اشتهر بين العام والخاص أنه ما قصده مكروب أو حزين إلا فرّج الله آلامه

---

(١) أخبار الدول : ١١٣ .

(٢) مختصر تأريخ العرب : ٢٠٩ .

وأحزانه وما استجار أحد بضريحه المقدس إلا قضيت حوائجه، ورجع الىٰ أهله مثلوج القلب مستريح الفكر مما ألم به من طوارق الزمن وفجائع الايام، وقد آمن بذلك جمهور شيعته بل عموم المسلمين علىٰ اختلاف طبقاتهم ونزعاتهم، فهذا شيخ الحنابلة وعميدهم الروحي أبو علي الخلال يقول:

« ما همّني أمر فقصدت قبر موسىٰ بن جعفر الآ سهّل الله تعالىٰ لي ما أحب»[1].

وقال الإمام الشافعي: «قبر موسىٰ الكاظم الترياق المجرَّب»[2].

لقد كان الإمام موسىٰ في حياته مفزعاً وملجأ لعموم المسلمين وكذلك كان بعد وفاته حصناً منيعاً لمن استجار به[3].

---

(١) تأريخ بغداد: ١ / ١٣٣ طبعة دار الكتب العلمية بيروت.

(٢) تحفة العالم: ٢ / ٢٠.

(٣) لقد اعتقد أغلب المسلمين أن الله يكشف البلاء، ويدفع الضر بالالتجاء الى ضريح الامام(عليه السلام)، وقال ابن شهر آشوب في مناقبه: رؤي في بغداد امرأة تهرول فقيل: الى أين؟ قالت: الى موسى بن جعفر فانّه حُبس ابني، فقال لها حنبلي: انّه قد مات في الحبس، فقالت: بحقّ المقتول في الحبس ان تريني القدرة، فاذا بابنها قد أُطلق وأُخذ ابن المستهزئ بجنايته. المناقب: ٤ / ٣٠٥.

الفصل الثاني

مراحل حياة الإمام الكاظم (عليه السلام)

تبعاً لطبيعة الظروف التي مرّ بها الإمام الكاظم (عليه السلام) في حياته تنقسم الدراسة عن حياته الى ثلاث مراحل متميزة:

المرحلة الأُولى : إذا اعتبرنا المرحلة الأُولى من حياة الإمام (عليه السلام) هي مرحلة ما قبل التصدي للامامة الشرعية أي منذ ولادته في سنة (١٢٨) أو (١٢٩ هـ) حتى استشهاد أبيه الصادق (عليه السلام) سنة (١٤٨ هـ).

فالمرحلة الأُولى : هي مرحلة نشأته وحياته في ظلّ أبيه (عليه السلام) وهي تناهز العقدين من عمره الشريف. وقد تميزت هذه المرحلة بظهور علمه الرباني وقدرته الفائقة على الحوار والحجاج حتى أفحم مثل أبي حنيفة وهو صبي لم يتجاوز نصف العقد الواحد من عمره المبارك.

المرحلة الثانية : وتبدأ بتسلّمه لزمام الامور الدينية (العلمية والسياسية والتربوية) بعد استشهاد أبيه في ظروف سياسيّة قاسية كان يخشى فيها على حياته المباركة حتى اضطر الإمام الصادق (عليه السلام) لان يجعله واحداً من خمسة أوصياء في وصيته المشهورة التي بدّد فيها تخطيط المنصور لاغتيال وصي الإمام الصادق (عليه السلام).

واستمرت هذه المرحلة حتى مات المنصور سنة (١٥٨ هـ) واستولى

المهدي ثم الهادي سنة (١٦٩ هـ) على مركز السلطة فهي تبلغ حوالي عقدين أو مايزيد عليهما بقليل وكانت مرحلة انفراج نسبي لأهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم سيما في عهد المهدي العباسي.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة معاصرته لحكم الرشيد حيث استولى على زمام الحكم سنة (١٧٠ هـ) وهو المعروف بحقده للعلويين بعد أخيه الهادي وأبيه المهدي. واستمرت هذه المرحلة حتى سنة (١٨٣ هـ) وهي سنة استشهاد الإمام الكاظم بيد أحد عمّال الرشيد. وهذه المرحلة هي من أحرج مراحل حياة الإمام (عليه السلام) وأدقّها من حيث تشديد التضييق عليه، ولم ينته العقد الأول من حكم الرشيد إلّا والإمام في مطامير سجونه، تارة في البصرة وأُخرى في بغداد. وتميزت هذه السنوات العجاف بالتخطيط المستمر من قبل الرشيد لادانة الإمام (عليه السلام) والسعي المتواصل لسجنه واغتياله.

وقد أخذ الإمام يكثّف نشاطه ضد الحكم القائم. فيما إذا قيس الى مواقفه من المنصور والمهدي وانتهت هذه المرحلة بالتضييق والتشديد على أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم والإمام الكاظم بشكل خاص بالرغم من عدم قيام العلويين بالثورة ضد هارون الرشيد. ولكن الإمام قد استثمر كل طاقاته لبلوغ أهدافه رغم حراجة الظرف وتشديد القبضة على العلويين. وكان الإمام فيها يعلم بسياسة هارون وقراره النهائي باغتيال الإمام (عليه السلام) مهما كلّف الأمر حتى انه لم يتقبل وساطة أيّ واحد من مقربي بلاطه.

وانتهت هذه المرحلة بمقاومة الإمام (عليه السلام) وثباته على مواقفه وعدم تنازله عند رغبات الرشيد ومحاولاته لاستذلال الإمام (عليه السلام) بشكل وآخر ليركع أمام جبروته لقاء تنفّسه هواء الحرية خارج السجن.

ولكن الإمام باشر مهامه بكل إحكام واتقان وأوصى الى ابنه الرضا وضمن للجماعة الصالحة استمرار المسيرة، وقضى مسموماً صابراً محتسباً. مكللاً جهاده بالشهادة في سبيل الله تعالى.

تأريخ الاستشهاد: استشهد مظلوماً في حبس السندي بن شاهك في ٢٥ من رجب سنة (١٨٣ هـ) ودفن في مقابر قريش في بغداد.

الفصل الثالث

الإمام موسى الكاظم في ظلّ أبيه (عليهما السلام)

لقد تميّزت المرحلة التي نشأ فيها الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) وعاصرها مع أبيه ـ منذ ولادته سنة (١٢٨ هـ) حتى وفاة أبيه سنة (١٤٨ هـ) بعدّة منعطفات تاريخيّة ونشاطات نوعية من قبل الإمام الصادق (عليه السلام) حيث استطاع بقدراته الإلهيّة وحنكته الربانيّة أن يتجاوز تلك التحدّيات، ويرسم الخط الإلهي الأصيل ويُنجز مهامّ الإمامة ويهيئ لولده الإمام الكاظم(عليه السلام) الطريق لكي يمارس دوره المستقبلي.

ولمّا كنّا بصدد إلقاء الضوء على أهم ما امتازت به حياة الإمام الكاظم مع أبيه (عليهما السلام) لنتصوّر من خلالها الأدوار المقبلة له أثناء تصدّيه للإمامة كان من الأهميّة أن نلخّص الظواهر البارزة في هذه المرحلة من حياته مع أبيه (عليهما السلام) كما يلي:

١ ـ ظاهرة التمرّد على السلطة والاعتقاد بأهميّة الثورة، والندم على موقف السكوت أمام الباطل، والدعوة للعلويين الذين يشكّلون الخط المناهض للحكم الأموي، فظاهرة التمرّد أفقدت المركزية للسلطة وانتهت الى عدم الطاعة للأمراء، حتى أصبح شعار الدعوة الى الرّضى من آل محمد(صلى الله عليه وآله) في هذه المرحلة حديث الساعة الذي كان يتداوله الناس هنا وهناك.

وهذه الظاهرة أتاحت للإمام الصادق (عليه السلام) أن ينفذ من خلالها لتطبيق برنامجه ما دامت السلطة مشغولة بالاضطرابات التي خلّفتها الثورة الحسينية .

٢ ـ في هذه الفترة ظهرت على المسرح السياسي مقدمات نشوء الدولة العبّاسية ، حيث استغلّ العبّاسيون هذه الأجواء وعقدوا اجتماعهم بالأبواء وقرّروا في ظاهر الأمر أن يكون الخليفة محمداً ذا النفس الزكية وروّجوا الدعوة للرّضى من آل محمّد (صلى الله عليه وآله) لكنهم دعوا الناس الى البيعة للعبّاسيين سرّاً، وعيّن إبراهيم الإمام في حينها غلامه أبا مسلم الخراساني قائداً عسكرياً على خراسان وأوصاه بالقتل والإبادة الجماعية والأخذ على الظِنّة والتهمة لخصومه الأمويين .

وكان موقف الإمام الصادق (عليه السلام) من هذه الحركة العبّاسية هو الحياد وعدم المشاركة فيها وعدم دعمها وإخباره وتنبّؤه بنتائجها، مع عدم توفر الظرف الملائم للثورة العلوية وذلك لفقدان الشروط الموضوعية لها ، وقد تجلى ذلك بوضوح من خلال مواقفه (عليه السلام) من العروض التي تقدّم بها قادة الدعوة العبّاسية للإمام (عليه السلام) أمثال أبي سلمة وأبي مسلم الخراساني حيث صرّح لهم مرّة بأن الزمان ليس بزمانه، ومرّة أُخرى أحرق الرسالة التي وصلته من أحدهم. لقد كانت عروضاً سياسيّة مصلحية وكان الإمام (عليه السلام) يدرك خلفيّاتها. وبهذا تخلّص الإمام (عليه السلام) من هذه المنزلقات وخلّص شيعته ليفتح لهم آفاقاً أرحب للعمل والجهاد في سبيل الله تعالى .

٣ ـ تركّزت نشاطات الإمام الصادق (عليه السلام) نحو البناء الخاص ومعالجة التحدّيات التي كانت تعصف بالوجود الشيعي ضمن عدّة اتّجاهات :

أ ـ التغيير الثقافي والفكري : حين قرّر الإمام (عليه السلام) لزوم الحياد السياسي كان قد أعدّ برنامجه الذي يستوعب عن طريقه طاقات الأُمة ويلبّي حاجاتها

الاجتماعية والأخلاقية من خلال جامعة أهل البيت(عليهم السلام) والتي أسسها وطوّرها كي يتمكّن عن طريقها من مواجهة المدّ الفكري المنحرف الذي روّج له الامويون. وبسبب عجز التيّار السياسي عن معالجة الانحرافات استقطب مختلف الشرائح والاتجاهات، وتشكّلت لهذه الجامعة فروع في البلاد الإسلامية وأصبحت تياراً ثقافياً يروّج للاتجاه الجعفري الذي كان يمثّل خطّ أهل بيت الرسالة، وكان للإمام الكاظم(عليه السلام) دور بارز في مدرسة أبيه (عليه السلام) في هذا الظرف بالذات .

ب ـ وفي الوقت الذي كان الإمام(عليه السلام) يطور هذا التيار الفكري كان يهيّء الأذهان الخاصّة لقبول قيادة الإمام الكاظم(عليه السلام) والإيمان بإمامته فقد جاء عن المفضّل بن عمر أ نّه قال: كنت عند أبي عبدالله (عليه السلام) فدخل أبو ابراهيم موسى وهو غلام فقال لي أبو عبدالله (عليه السلام): **استوص به وضع أمره عند من تثق به من أصحابك**[1].

ج ـ وتحرّك الإمام الصادق (عليه السلام) لقطع الطريق أمام الدعوات المشبوهة التي كانت تهدف إلى تمزيق وحدة الصفّ الشيعي وتطرح نفسها كبديل للإمام (عليه السلام)، فمن أساليبه (عليه السلام) خلال مواجهته للتيار الإسماعيلي إخباره الشيعة بأنّ إسماعيل ليس هو الإمام من بعده، وعندما توفي إسماعيل أحضر الإمام الصادق (عليه السلام) حشداً من الشيعة ليخبرهم بحقيقة موت إسماعيل لئلا يستغلّ المنحرفون موت إسماعيل لتمزيق الكيان الشيعي بالتدريج .

٤ ـ عاصر الإمام الكاظم (عليه السلام) معاناة أبيه الصادق(عليه السلام) وشاهد الاستدعاءات المتكرّرة له من قبل المنصور حتى استشهاده(عليه السلام) بعد الوصية

(١) أصول الكافي: ١ / ٣٠٨، ح ٤، والارشاد: ٢١٦/٢.

لابنه الإمام الكاظم(عليه السلام) وإبلاغها لخواصّ شيعته وربط عامّة الشيعة بإمامته.

٥ ـ الإمامة منصب ربّاني يتقوّم بجدارة الإنسان المرشّح للإمامة وقابليته لتحمّل أعباء هذه المسؤولية الكبرى، ولهذا يعتبر فيها الاجتباء الربّاني والاصطفاء الإلهي، ومن هنا كان النصّ على كل واحد من الأئمة ضرورة لابدّ منها.

والنصوص العامّة والخاصّة قد بلّغها الرسول(صلى الله عليه وآله) الى صحابته وأهل بيته وتناقلتها كتب الحديث والأخبار. ولكن النصوص المباشرة من كل امام على الذي يليه من أبنائه لها ظروفها الخاصّة التي تكتنفها فتؤثر في كيفية التنصيص وأساليب التعبير ودلالاتها التي تتراوح بين الإشارة تارة والتصريح تارة أُخرى.

ومن يتابع نصوص الإمام الصادق(عليه السلام) على إمامة ابنه أبي الحسن موسى الكاظم(عليه السلام) ويلاحظها بتسلسلها التاريخي يكتشف جانباً من أساليب الإمام الصادق وإضاءاته المكثّفة تجاه تقرير إمامة ابنه أبي الحسن موسى من بعده مراعياً فيها تقلّبات وتطوّرات الواقع الاجتماعي الذي عاشه الإمام(عليه السلام) خلال عقدين من الزمن قبل وفاته أي من حين ولادة ابنه موسى والذي ولد من أُمّ ولد أندلسيّة في الوقت الذي كان قد ولد له أبناء آخرون من زوجته فاطمة بنت الحسين الأصغر (الأثرم) عمّ الإمام الصادق(عليه السلام) فكان أكبرهم اسماعيل والذي كان يحبّه أبو عبدالله حبّاً شديداً، وكان قوم من شيعته يظنون أنّه القائم بعد أبيه.

وقد توفّي اسماعيل سنة (١٤٢ هـ) وكان عبدالله بن جعفر المعروف بالأفطح أكبر أولاد الصادق بعد أخيه اسماعيل.

ومن هنا كان النصّ على إمامة موسى تكتنفه ملابسات عديدة بعضها

تعود الى أبناء الإمام وبعضها الى أصحابه وجملة منها ترتبط بالوضع السياسي القائم آنذاك.

من هنا نقف قليلاً عند نصوص الإمام الصادق على إمامة ابنه موسى (عليه السلام) مراعين تسلسل صدورها قدر الإمكان.

نصوص الإمام الصادق (عليه السلام) على إمامة موسى الكاظم (عليه السلام)

١ ـ عن يعقوب السراج قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) وهو واقف على رأس أبي الحسن موسى وهو في المهد، فجعل يسارّه طويلاً، فجلست حتى فرغ، فقمت إليه فقال لي: «**ادن من مولاك فسلّم**، فدنوت فسلمت عليه فردّ عليّ السلام بلسان فصيح، ثم قال لي: **اذهب فغيّر اسم ابنتك التي سميتها أمس، فانه اسم يبغضه الله**، وكان ولدت لي ابنة سمّيتها بالحميراء. فقال أبو عبدالله: **انته الى أمره ترشد، فغيّرت اسمها**»[1].

٢ ـ عن سليمان بن خالد قال: دعا أبو عبد الله (عليه السلام) أبا الحسن (عليه السلام) يوماً ونحن عنده فقال لنا: «**عليكم بهذا، فهو والله صاحبكم بعدي**»[2].

٣ ـ عن فيض بن المختار قال: «اني لعند أبي عبد الله (عليه السلام) اذ أقبل أبو الحسن موسى (عليه السلام) ـ وهو غلام ـ فالتزمته وقبّلته فقال أبو عبد الله (عليه السلام): **أنتم السفينة وهذا ملاّحها**، قال: فحججت من قابل ومعي ألفا دينار فبعثت بألف الى أبي عبدالله (عليه السلام) وألف إليه، فلمّا دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) قال: **يا فيض عدلته بي ؟** قلت: انّما فعلت ذلك لقولك، فقال: **أما والله ما أنا فعلت ذلك. بل الله عزّ**

(١) أُصول الكافي: ١ / ٣١٠، ح ١١.
(٢) أُصول الكافي: ١ / ٣١٠، ح ١٢.

وجلّ فعله به»[1].

٤ ـ عن الفيض بن المختار قال: قلت لابي عبدالله(عليه السلام): خذ بيدي من النار من لنا بعدك؟ فدخل عليه أبو ابراهيم(عليه السلام)، وهو يومئذٍ غلام، فقال: «هذا صاحبكم، فتمسك به»[2].

٥ ـ عن معاذ بن كثير، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: قلت له: اسأل الله الذي رزق أباك منك هذه المنزلة أن يرزقك من عقبك قبل الممات مثلها، فقال: «قد فعل الله ذلك». قال: قلت من هو جعلتُ فداك ؟ فاشار الى العبد الصالح وهو راقد فقال(عليه السلام): «هذا الراقد وهو غلام»[3].

٦ ـ عن عبدالرحمن بن الحجاج قال: سألت عبد الرحمن في السنة التي أخذ فيها أبو الحسن الماضي(عليه السلام) فقلت له: إنّ هذا الرجل قد صار في يد هذا وما ندري الى ما يصير؟ فهل بلغك عنه في أحد من ولده شيء ؟ فقال لي : ما ظننت ان أحداً يسألني عن هذه المسألة، دخلت على جعفر بن محمد في منزله فاذا هو في بيت كذا في داره في مسجد له وهو يدعو، وعلى يمينه موسى بن جعفر(عليه السلام) يؤمّن على دعائه، فقلت له: جعلني الله فداك قد عرفت انقطاعي اليك وخدمتي لك، فمن وليّ الناس بعدك ؟ فقال: «إنّ موسى قد لبس الدرع وساوى عليه» فقلت له: لا أحتاج بعد هذا الى شيء[4].

٧ ـ عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال: حدّثني اسحاق بن جعفر قال: كنت عند أبي يوماً، فسأله علي بن عمر بن علي فقال: جعلت فداك الى من

---

(١) أصول الكافي : ١ / ٣١١، ح ١٦.
(٢) أصول الكافي: ١ / ٣٠٧، ح ١، والارشاد: ٢١٧/٢.
(٣) أصول الكافي ١ : ٣٠٨، ح٢، والارشاد: ٢١٧/٢.
(٤) أصول الكافي: ٣٠٨/١، ح ٣، والارشاد: ٢١٧/٢.

تفزع ويفزع الناس بعدك؟ فقال: «الى صاحب الثوبين الاصفرين والغديرين ـ يعني الذؤابتين ـ وهو الطالع عليك من هذا الباب، يفتح البابين بيده جميعاً»، فما لبثنا ان طلعت علينا كفّان آخذة بالبابين ففتحهما ثم دخل علينا ابو ابراهيم[1].

٨ ـ عن صفوان الجمّال، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: قال له منصور بن حازم: بأبي أنت وأُمي إنّ الانفس يُغدا عليها ويراح، فاذاكان ذلك، فمن؟ فقال أبو عبدالله (عليه السلام): «إذاكان ذلك فهو صاحبكم»، وضرب بيده على منكب أبي الحسن (عليه السلام) الأيمن ـ في ما أعلم ـ وهو يومئذٍ خماسي وعبدالله بن جعفر جالس معنا[2].

٩ ـ عن المفضل بن عمر قال: ذكر أبو عبدالله(عليه السلام) أبا الحسن(عليه السلام) ـ وهو يومئذٍ غلام ـ فقال: «هذا المولود الذي لم يولد فينا مولود أعظم بركة على شيعتنا منه ثم قال لي: لا تجفوا اسماعيل»[3].

١٠ ـ عن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب(عليه السلام)، عن أبي عبدالله(عليه السلام) قال: قلت له: «ان كان كون ـ ولا أراني الله ذلك ـ فبمن أئتم؟ قال: فأومأ الى ابنه موسى (عليه السلام). قلت : فان حدث بموسى حدث فبمن أئتم؟ قال: بولده. قلت: فإن حدث وترك أخاً كبيراً وابناً صغيراً فبمَن أئتم؟ قال: بولده، ثم قال: هكذا ابداً، قلت: فإن لم أعرفه ولا أعرف موضعه ؟ قال: تقول: اللهم إني أتولى من بقي من حججك من ولد الإمام الماضي، فانّ ذلك يجزيك ان شاء الله»[4].

---

(١) أصول الكافي: ٣٠٨/١، ح ٥، والارشاد: ٢٢٠/٢.

(٢) أصول الكافي : ١ / ٣٠٩، ح ٦، والارشاد: ٢١٨/٢.

(٣) أصول الكافي : ١ / ٣٠٩، ح ٨.

(٤) أصول الكافي : ٣٠٩/١، ح ٧، والارشاد: ٢١٨/٢.

١١ ـ عن فيض بن المختار في حديث طويل في أمر أبي الحسن (عليه السلام) حتى قال له أبو عبدالله (عليه السلام): «**هو صاحبك الذي سألت عنه، فقم إليه فاقرّ له بحقه**، فقمت حتى قبلت رأسه ويده ودعوت الله عزّ وجلّ له، فقال أبو عبدالله (عليه السلام): **أما انه لم يؤذن لنا في أوّل منك**، قال: قلت: جعلت فداك فأخبر به احداً ؟ فقال: **نعم أهلك وولدك**، وكان معي أهلي وولدي ورفقائي وكان يونس بن ظبيان من رفقائي، فلمّا اخبرتهم حمدوا الله عزّ وجلّ وقال يونس: لا والله حتى أسمع ذلك منه وكانت به عجلة، فخرج فاتبعته، فلما انتهيت الى الباب، سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول له: ـ وقد سبقني إليه ـ **يا يونس الأمر كما قال لك فيض**. قال: فقال: سمعت وأطعت، فقال لي أبو عبدالله (عليه السلام): **خذه اليك يا فيض**»(١).

١٢ ـ عن صفوان الجمال قال: سألت أبا عبدالله (عليه السلام) عن صاحب هذا الأمر فقال: «**إنّ صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب**، وأقبل أبو الحسن موسىٰ وهو صغير ومعه عناق مكّية وهو يقول لها: **اسجدي لربك**، فأخذه أبو عبدالله (عليه السلام) وضمه إليه وقال: **بأبي وأُمي من لا يلهو ولا يلعب**»(٢).

١٣ ـ روى زيد النرسي، عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنّه قال: «**اني ناجيت الله ونازلته في اسماعيل ابني أن يكون بعدي فأبى ربي إلّا أن يكون موسىٰ ابني**»(٣).

١٤ ـ عن يزيد بن أسباط قال: دخلت على أبي عبدالله (عليه السلام) في مرضته التي مات فيها، قال (عليه السلام):

«**يا يزيد أترى هذا الصبي؟** ـ وأشار لولده موسى ـ **إذا رأيت الناس قد اختلفوا**

---

(١) أُصول الكافي: ١ / ٣٠٩، ح ٩.

(٢) أُصول الكافي: ١ / ٣١١، ح ١٥، والارشاد: ٢ / ٢١٩.

(٣) أصل زيد النرسي: ق ٣٩.

فيه، فاشهد عليَّ بأني أخبرتك أن يوسف إنّما كان ذنبه عند اخوته حتى طرحوه في الجب، الحسد له، حين أخبرهم أنه رأى أحد عشر كوكباً والشمس والقمر وهم له ساجدين، وكـذا لابد لهذا الغلام من أن يحسد، ثم دعا موسى وعبدالله واسحاق ومحمد والعباس، وقال لهم: هذا وصيُّ الأوصياء وعالم علم العلماء وشهيدٌ على الأموات والأحياء، ثمّ قال: يا يزيد ﴿ستكتب شهادتهم ويسألون﴾[1][2].

---

(١) الزخرف (٤٣): ١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨/٢٠، ح ٣١، نقلاً عن مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب.

الباب الثالث

فيه فصول:

الفصل الأوّل :

ملامح عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)

الفصل الثاني :

مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد المنصور

الفصل الثالث :

الإمام الكاظم (عليه السلام) وحكومة المهدي

الفصل الأول

ملامح عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)

لم يغيّر المنصور من سياسته ضد العلويين بعد قتله للإمام الصادق(عليه السلام)، وبعد قضائه على الثورات العلوية في زمانه، بل بقي هاجس الخوف والقلق يلاحقه، ولم تهدأ ذاته المليئة بالحقد عليهم، فاستمر في اضطهادهم، فزجّ الابرياء في السجون المظلمة وهدمها عليهم، ودفن البعض وهم أحياء في اسطوانات البناء، وبث الجواسيس، لأجل أن يحيط علماً بكل نشاطهم، وأخذت عيونه ترصد كل حركة بعد تحويرها وتحريفها بالكذب لتنسجم مع رغبات الخليفة فكانوا يرفعونها له مكتوبة كما سمح للتيارات الالحادية كالغلاة والزنادقة في أن تأخذ طريقها بين عامة الناس لاضلالهم. كما استعمل بعض العلماء واستغلّهم لتأييد سياسته واسباغ الطابع الشرعي على حكمه.

ويمكن استجلاء هذا الوضع ضمن عدة نقاط :

النقطة الأولى :

إنّ وصية الإمام الصادق(عليه السلام) التي عهد بها أمام الناس لخمسة أشخاص، هم أبو جعفر المنصور، محمد بن سليمان، وعبدالله، وموسى، وحميدة، مع كتابة المنصور لعامله في المدينة بأن يقتل وصيّ الإمام الصادق(عليه السلام) ان كان

معيناً، يتضح ـ من هذه الوصية مع أوامر المنصور بقتل الوصيّ ـ نوع الطريقة التي كان يتحرك بها المنصور تجاه الإمام موسى(عليه السلام) ثم يتضح أيضاً حجم النشاط وحجم الاهتمام الذي كان يعطيه المنصور للإمام(عليه السلام) لمراقبة حركته.

ولكن الإمام الصادق(عليه السلام) كان يستشف من وراء الغيب ما تحمله الأيّام المقبلة من أخطار لابنه موسى(عليه السلام) ومن هنا فقد خاطب شيعته بلغة خاصة ضمّنها الحقيقة التي اراد ايصالها اليهم وان كان ذلك يستلزم الالتباس عند بعض ، والتحيّر في معرفة ولي الأمر من بعده لفترة تقصر أو تطول ؛ لأن حفظ الوصي وولي عهده والإمام المفترض الطاعة في تلك الظروف العصيبة كان أمراً ضرورياً بلا ريب لأن استمرار الخط لا يمكن ضمانه إلّا بحفظ الإمام المعصوم بما يتناسب مع طبيعة تلك الظروف.

ولكن الواعين والنابهين من صحابة الإمام الصادق(عليه السلام) لم تلتبس عليهم حقيقة وصية الإمام(عليه السلام) التي تضمّنت الوصية للإمام الكاظم(عليه السلام).

قال داود بن كثير الرقي: وفد من خراسان وافد يكنّى أبا جعفر، اجتمع إليه جماعة من أهل خراسان، فسألوه أن يحمل لهم أموالاً ومتاعاً ومسائلهم في الفتاوىٰ والمشاورة، فورد الكوفة ونزل وزار قبر أمير المؤمنين(عليه السلام)، ورأىٰ في ناحية المسجد رجلاً حوله جماعة.

فلما فرغ من زيارته قصدهم فوجدهم شيعة فقهاء يسمعون من الشيخ، فقالوا: هو أبو حمزة الثمالي .

قال: فبينما نحن جلوس اذ أقبل اعرابي، فقال: جئت من المدينة، وقد مات جعفر بن محمد(عليه السلام) فشهق أبو حمزة ثم ضرب بيده الارض، ثم سأل الاعرابي:

هل سمعت له بوصية ؟

قال: أوصىٰ الىٰ ابنه عبدالله والىٰ ابنه موسىٰ، والىٰ المنصور.

فقال: الحمد لله الذي لم يُضلّنا، دلّ علىٰ الصغير وبيّن علىٰ الكبير، وستر الأمر العظيم. ووثب الىٰ قبر أمير المؤمنين(عليه السلام) فصلىٰ وصلّينا.

ثم أقبلت عليه وقلت له: فسّر لي ما قلته ؟

قال: بيّن أن الكبير ذو عاهة ودلّ علىٰ الصغير أن أدخل يده مع الكبير، وستر الأمر العظيم بالمنصور حتى إذا سأل المنصور: من وصيه؟ قيل أنت.

قال الخراساني: فلم أفهم جواب ما قاله[1].

فذهب بعد ذلك الىٰ المدينة ليطّلع بنفسه علىٰ الوصي من بعدالإمام جعفر بن محمد(عليه السلام).

النقطة الثانية:

لقد شدّدت السلطات في المراقبة علىٰ الشيعة بعد استشهادالإمام الصادق(عليه السلام) وعمّ الارتباك أوساطهم وشحنت الأجواء بالحذر والتحسّب.

وعن هذه الفترة الزمنية المهمة فيالتاريخ الشيعي يحدّثنا هشام بن سالم أحد رموز الشيعة قائلاً:

كنا في المدينة بعد وفاة أبي عبد الله (عليه السلام) أنا ومؤمن الطاق (أبو جعفر) والناس مجتمعون علىٰ أنّ عبدالله (الافطح) صاحب (الامام) بعد أبيه، فدخلنا عليه أنا وصاحب الطاق، والناس مجتمعون عند عبدالله وذلك انهم رووا عن أبي عبدالله(عليه السلام): **أن الأمر في الكبير مالم يكن به عاهة** فدخلنا نسأله عمّا كنا نسأل عنه أباه، فسألناه عن الزكاة في كم تجب ؟ قال: في مائتين خمسة، قلنا:

(١) عوالم العلوم، الإمام الكاظم: ١٧٥.

ففي مائة ؟ قال: درهمان ونصف درهم[١].

قلنا له : والله ما تقول المرجئة هذا. فرفع (الافطح) يده الىٰ السماء، فقال : لا ، والله ما أدري ما تقول المرجئة !

قال : فخرجنا من عنده ضُلاّلاً، لا ندري الىٰ أين نتوجه أنا وأبو جعفر الأحول[٢] فقعدنا في بعض أزقة المدينة باكين حيارىٰ لا ندري الىٰ من نقصد والىٰ أين نتوجّه ؟!

نقول: (نذهب) الىٰ المرجئة ؟ الىٰ القدرية؟ الىٰ الزيدية؟ الىٰ المعتزلة؟ الىٰ الخوارج[٣] ؟

قال : فنحن كذلك اذ رأيت رجلاً شيخاً لا أعرفه يومئ اليّ بيده، فخفت أن يكون عيناً (جاسوساً) من عيون أبي جعفر (المنصور الدوانيقي). وذلك أنه كان له بالمدينة جواسيس ينظرون علىٰ من اتفق شيعة جعفر (الصادق) فيضربون عنقه، فخفت أن يكون (الرجل الشيخ) منهم .

فقلت لأبي جعفر (مؤمن الطاق): تنح فإني خائف علىٰ نفسي وعليك، وانما يريدني (الشيخ) ليس يريدك، فتنحّ عنّي ، لا تهلك وتعين علىٰ نفسك.

فتنحّى غير بعيد، وتبعت الشيخ، وذلك اني ظننت أني لا أقدر علىٰ التخلص منه، فما زلت أتبعه حتى ورد بي علىٰ باب أبي الحسن موسىٰ (الكاظم)(عليه السلام) ثم خلاّني ومضىٰ، فاذا خادم بالباب فقال لي : أُدخل، رحمك الله. قال: فدخلت فاذا أبو الحسن (الكاظم) (عليه السلام) فقال لي ابتداءً : لا الىٰ المرجئة ، ولا

(١) من الثابت عند المسلمين أن لا زكاة في أقل من مائتي درهم، ولكن الافطح كان يجهل هذا الحكم.

(٢) مؤمن الطاق، أبو جعفر، صاحب الطاق والأحول، كلها ألقاب لرجل واحد (محمد بن علي بن النعمان)، اختيار معرفة الرجال: ٢/٤٢٥ .

(٣) الإرشاد للمفيد: ٢/٢٢١ ، مدينة المعاجز: ٦/٢٠٨ .

الى القدرية، ولا الى الزيدية، (ولا الى المعتزلة)، ولا الى الخوارج، اليّ اليّ اليّ.

قال (هشام): فقلت له: جعلت فداك مضى أبوك ؟ قال: نعم.

قلت: جعلت فداك مضى في موت؟ قال: نعم، قلت: جعلت فداك فمن لنا بعده؟ فقال: ان شاء الله يهديك هداك.

قلت: جعلت فداك، إنّ عبدالله (الافطح) يزعم أنه (إمام) من بعد أبيه فقال: يريد عبدالله ـ الافطح ـ أن لا يعبد الله.

قال: قلت له: جعلت فداك، فمن لنا بعده؟ فقال: ان شاء الله أن يهديك هداك أيضاً.

قلت: جعلت فداك، أنت هو (الامام) ؟ قال: ما أقول ذلك

قلت ـ في نفسي ـ لم أُصب طريق المسألة (أي أخطأت في كيفية السؤال).

قال (هشام): قلت: جعلت فداك، عليك إمام ؟ قال: لا. فدخلني (دخل قلبي) شيء لا يعلمه إلّا الله اعظاماً له وهيبة، أكثر ما كان يحلّ بي من (هيبة) أبيه (الإمام الصادق) إذا دخلت عليه.

قلت: جعلت فداك، أسألك عمّا كان يُسأل أبوك؟ قال: سل تُخبر، ولا تُذِع (اي لا تنشر الخبر) فان أذعت فهو الذبح.

قال (هشام): فسألته فاذا هو بحر !

قال (هشام): قلت جعلت فداك، شيعتك وشيعة أبيك ضُلّال، فالقي إليهم (اخبرهم) وأدعوهم إليك؟ فقد أخذت عليّ بالكتمان.

فقال (الإمام): من آنست منهم رشداً، فألق عليهم ـ أخبرهم ـ وخذ عليهم

بالكتمان، فان اذاعوا فهو الذبح ـ وأشار بيده الى حلقه ـ» [١].

إنّ هذا الحديث الذي أدلى به هشام يكشف لنا عدة حقائق:

١ ـ كثرة انتشار الجواسيس، وجو الرعب، والحذر، والخوف، وفقدان الأمن الذي عمّ أبناء الأُمة واخيارها خصوصاً سكان المدينة.

٢ ـ كما يكشف لنا عن أنّ اعلان الإمامة لموسى (عليه السلام) وإخبار الشيعة بإمامته، لم يكن ظاهراً لعامة الناس بل كان محدوداً ببعض الخواص من الشيعة [٢] بحيث تجد حتى مثل هشام لا يعلم أن الأمر لمن، إلّا بعد حين، وقد حصل عليه بالطرق الشرعية والعقلية، وهذه الممارسات وغيرها جعلت الشيعة تتدرب وتتمرّس على الاساليب التي تقيها من سيف الظالمين مثل السرّية والتقية، لذا نجد الرواة عند نقلهم لاخبار الإمام موسى (عليه السلام) لا يصرّحون باسمه الصريح بل كانوا يقولون: «قال العبد الصالح»، أو «قال السيد»، أو «قال العالم» ونحو ذلك.

٣ ـ إنّ الخنق الظالم والممنوعات السلطانية والحبس الفكري وملاحقة من يخالف، وبثّ الاشاعات المضادّة والكاذبة، كل هذه الأُمور خلقت مناخاً يتنفّس فيه الأدعياء وهواة الرذيلة والذين زاد نشاطهم وشاع صيتهم وتعددت فرقهم في هذه الفترة فطرحوا أنفسهم قادة للأُمة في الفكر والفقه والحديث بتشجيع من الخليفة. لذا نجد هشام بن سالم في حديثه يعدد لنا الفرق في زمانه حيث يقول: نذهب الى المرجئة؟ الى القدرية؟ الى الزيدية؟ الى المعتزلة؟ الى الخوارج؟

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢ / ٥٦٥، ح ٥٠٢، والارشاد: ٢/٢٢١ ـ ٢٢٢ وعنه في إعلام الورى: ٢/١٦ ـ ١٧، وكشف الغمة: ٣/١٢ و ١٣، وبحار الأنوار: ٤٨ / ٥٠.

(٢) منهم زرارة وداود بن كثير الرقي، وحمران، وأبي بصير، والمفضل بن عمر وغيرهم.

٤ ـ مارس الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) أُسلوباً في هذا الحديث يُميزه عن غيره من مدّعي الإمامة (مثل عبدالله الافطح) وذلك باخباره عن الكلام الذي دار بين هشام ومؤمن الطاق في أحد أزقّة المدينة المنورة حيث قال الإمام لهما: «لا الى المرجئة ولا الى القدرية .... اليّ اليّ اليّ» .

النقطة الثالثة :

من الحقائق التأريخية التي تكشف سياسة المنصور القائمة على الخنق والإبادة والقتل للعلويين هو حديث الخزانة .

حيث يكشف لنا هذا الحديث التاريخي عن سياسة المنصور الخشنة مع العلويين، والتي أراد بها الايحاء لابنه المهدي بأن الخلافة لا تستقيم الاّ بهذه الطريقة، ثم تكشف لنا هذه الرواية عن معاناة الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) لانه كان بالتأكيد على علم بهذه الاعداد المؤمنة الخيّرة من أبناء الشيعة وهي تساق الى السجون لتقتل بعد ذلك صبراً، وهذا الحديث مليء بالشجون والأسى فقد ملأ خزانة برؤوس العلويين شيوخاً وشباباً وأطفالاً وأوصى ريطة زوج المهدي أن لا تفتحها للمهدي ولا يطلع عليها إلاّ بعد هلاكه، وقد دوّنها الطبري في تاريخه وهذا نصها :

«لمّا عزم المنصور على الحج دعا ريطة بنت أبي العباس امرأة المهدي وكان المهدي بالري قبل شخوص أبي جعفر فأوصاها بما أراد»، وعهد اليها ودفع اليها مفاتيح الخزائن، وتقدّم اليها وأحلفها ووكّد الايمان أن لا تفتح بعض تلك الخزائن، ولا تطلع عليها أحداً إلاّ المهدي، ولا هي إلاّ أن يصح عندها موته، فاذا صح ذلك اجتمعت هي والمهدي وليس معهما ثالث حتى

يفتحا الخزانة، فلمّا قدم المهدي من الري الىٰ مدينة السلام دفعت إليه المفاتيح وأخبرته أنه تقدم إليها أن لا تفتحه ولا تُطلع عليه أحداً حتى يصح عندها موته فلما انتهى الىٰ المهدي موت المنصور وولي الخلافة فتح الباب ومعه ريطة، فاذا أزج كبير فيه جماعة من قتلى الطالبيين، وفي آذانهم رقاع فيها أنسابهم وإذا فيهم أطفال، ورجال شباب، ومشايخ عدة كثيرة، فلما رأى ذلك المهدي ارتاع لما رأى وأمر فحفرت لهم حفيرة فدفنوا فيها، وعمل عليهم دكاناً»[1].

النقطة الرابعة :

ومن المشاكل التي اثيرت في مطلع تسلّم الإمام موسى (عليه السلام) لمسؤولية الإمامة ، والتي كانت تهدف لتمزيق الطائفة الشيعية وإثارة البلبلة والتخريب في صفوفها، هي التشكيك في مسألة القيادة فانها لمن تكون بعد الإمام الصادق (عليه السلام) بسبب ما ادّعاه (عبدالله الافطح) أخو الإمام موسىٰ الاكبر بعد اسماعيل، وهذا بطبيعة الحال يُضيف معاناة أُخرى للامام، لان أجهزة المنصور العدوانية كانت تعدّ عليه الانفاس وتشك في أيّ حركة تصدر منه[2].

النقطة الخامسة :

ومن الاساليب التي استخدمتها السلطات العبّاسية عامة والمنصور بشكل خاص، سياسة اتّخاذ (وعّاظ السلاطين) بعد أن غيّب الإمام

(١) الطبري: ٦ / ٣٤٣ و ٣٤٤ مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

(٢) سيرة الأئمة الاثني عشر: ٣٢٥/٢ فصل حياة الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم (عليهما السلام) ط دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، والارشاد: ٢٠٩/٢ ذكر أولاد أبي عبدالله (عليه السلام) وعددهم واسمائهم وطرف من أخبارهم، ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ـ قم المقدسة.

موسىٰ الكاظم (عليه السلام) عن المسرح السياسي والفكري، وظاهرة وعّاظ السلاطين هي بديل يرعاه الخليفة ويدعمه بما أوتي من قوة ليغطّي له الفراغ من جانب وتؤيد له سياسته من جانب آخر اذ يوحي للأُمة بأنه مع الخط الإسلامي السائر علىٰ نهج السنة النبوية، ووجد من (مالك بن أنس) وأمثاله ممن تناغم معه في الاختيار العقائدي الذي لا يصطدم مع سياسته، ووجد من تجاوب مع رغبته وكال له ولاسرته المديح والثناء، الأمر الذي دفع بالمنصور أن يفرض (الموطأ) علىٰ الناس بالسيف ثم جعل لمالك السلطة في الحجاز علىٰ الولاة وجميع موظّفي الدولة فازدحم الناس علىٰ بابه وهابته الولاة والحكّام وحينما وفد الشافعي عليه فشفّع بالوالي لكي يسهّل له أمر الدخول عليه فقال له الوالي: اني أمشي من المدينة الىٰ مكة حافياً راجلاً أهون عليّ من أن أمشي الىٰ باب مالك. ولست أرىٰ الذل حتى أقف علىٰ باب داره[1].

النقطة السادسة:

انتشرت في هذه المرحلة عقائد خاطئة وتأسست فرق منحرفة من الالحاد والزندقة والغلوّ، والجبرية، والارجاء عقائد خاطئة ذات اصحاب تدافع عنها ولم تكن كل هذه الإعتقادات وليدة هذا الظرف بالذات، وانما نشطت في هذا الجوّ المساعد لنموها، حيث كان بعض الخلفاء يتبنىٰ بعضاً منها ويسمح لانتشار البعض الآخر.

فالغلاة يعتقدون بنبوّة الأئمة، وبعده بالهية جعفر بن محمد الصادق

---

(١) الأئمة الأربعة لمصطفى الشكعة: ١٠٠/٢، حياة مالك بن أنس، الفصل الخامس، باب ٦ مهابة مالك، سيرة الأئمة الاثني عشر، هاشم معروف الحسني: ٣٢٦/٢، حياة الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم (عليهما السلام).

والهية آبائه، وهؤلاء قد تبرّأ منهم الإمام الصادق ولعنهم لعناً مشدداً.

لكن السلطات شجعت من جانب، والصقت التهمة بهم من جانب آخر بهدف التشويه لحقيقة الشيعة، كما استخدموا هذه التهمة فيما بعد ذريعة ومادّة حكم تبرر لهم اضطهاد الشيعة تحت هذا الاسم فأطلقوا على الشيعة اسم زنادقة ويحق للدولة أن تطاردهم.

لقد عاصر الإمام الكاظم (عليه السلام) تياراً آخر كان خطيراً على الأُمة حاضراً ومستقبلاً وكان قد وقف بوجهه الإمام الصادق (عليه السلام) وحذّر منه الشباب خاصة ألا وهم المرجئة الذين يقولون بتأخير وارجاء صاحب المعصية الكبيرة الى يوم القيامة فلا يحكمون عليه بحكم ما في الدنيا من كونه من أهل الجنة أو من أهل النار.

ويحاول أصحاب هذا الإعتقاد أن يخلطوا الأوراق ويدمجوا بين سلوك الخير وسلوك الشر فلا يفرق بين سلوك الإمام علي (عليه السلام) وسلوك معاوية ولا بين موقف الحسين (عليه السلام) وموقف يزيد؛ لان الحكم عليهم في الدنيا ليس من شؤوننا وانما يترك الأمر ليوم القيامة.

ثم تبنّت هذه الفرقة اعتقاداً آخر لا يقلّ خطورة عن سابقه اذ تكمن خطورته على الشباب خاصة لان هذا الإعتقاد يفسّر معنى الايمان المراد عند الله بأنه الايمان القلبي لا السلوك الخارجي، لان السلوك الخارجي قد يخادع به الانسان فالايمان الذي ينظر إليه الله تعالى هو الايمان القلبي أمّا الممارسات الخارجية فلا اعتبار لها، فإذا زنا الانسان أو شرب الخمر أو قتل نفساً فهذه تصرفات خارجية والمهم أن الانسان يعتقد قلبياً بالله تعالى.

كما روّج في هذه الفترة لفكرة الجبر والتي نشأت في زمن معاوية

واستفاد منها بنو العبّاس حيث تقول بأنا لسنا مخيّرين في أفعالنا فإذا شاء الله أن نصلّي صلّينا وإذا شاء أن نشرب الخمر شربنا وهكذا.

الملاحظ في كل هذه العقائد والافكار وأصحابها أنّها تخدم السلطة كل واحدة بطريقتها حيث تبرّر للحكّام تصرفاتهم البعيدة عن الاسلام بأفكار وأحكام اعتقادية وتهدّئ الجمهور الإسلامي حين توجّهه بهذه الافكار.

من هنا ندرك السبب الذي جعل من الحكام أن يسمحوا بالانتشار لهذه التيارات الناشئة من أفكار منحرفة جاء بها اليهود وغيرهم الى العالم الإسلامي.

هذا هو عرض مختصر للظواهر والاحداث السياسية والثقافية والفكرية، التي برزت في عصر المنصور وكان الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) معاصراً لها.

أمّا ما هو منهج الإمام وأساليبه ومواقفه في خضم هذه الاجواء المملوءة بالشبهات والتهم والتضييق ؟!

هذا ما سوف نتناوله في الفصل الثاني ان شاء الله تعالى.

الفصل الثاني

مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) في عهد المنصور

إنّ حركة الإمام موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) ونشاطه إزاء هذه الظروف التي تحدثنا عنها لم يسعفنا التاريخ بتفاصيلها ولم يحدّد لنا بالأرقام بشكل واضح حركة الإمام فيها، إلّا أنّ بعض الروايات التاريخية تشير إلىٰ ان الإمام(عليه السلام) قد مارس أُموراً في سنوات حكم المنصور العشرة بعد استشهاد الإمام الصادق(عليه السلام) .

وقد انتقينا بعض ممارسات الإمام(عليه السلام) التي لا تتعارض مع هذه الفترة وتنسجم مع ظروفها. ثم حاولنا بعد ذلك التركيز علىٰ الخط الذي سلكه الإمام بشكل عام تاركين التعرض للتفاصيل.

كما أنّ الخط العام والنهج الذي اتّخذه الإمام في هذه الفترة يتضمّن ما كان يهدف إليه من أُسلوب علاجي لبعض الظواهر الانحرافية، كما يتضمّن ما كان يريد أن يؤسّس فيه لثوابت مستقبلية. من هنا يقع الكلام في هذا البحث ضمن عدّة اتجاهات:

الاتّجاه الأوّل: الإمام الكاظم (عليه السلام) وإحكام المواقع

ونتناول في هذا الاتجاه دور الإمام(عليه السلام) في إبرازه للقدرات الغيبية التي تميّز الإمام عن غيره من الادعياء وزعماء الفرق والطوائف الضالّة في زمانه، وبهذا قد لفت أنظار الأُمة وأعطاها حسّاً تقارن وتحاكم به هذه التيّارات وتفرز بين الحق والباطل بماامتلكته من مقاييس مستلهمة من مشاهد مثيرة حسية كان قد حققها الإمام(عليه السلام).

وهذا ينبئ عن محاولات إسقاط الحيرة الفكرية السائدة في هذه الفترة. والنشاطات التي قام بها الإمام (عليه السلام) في هذا الاتجاه هي كما يلي:

النشاط الأول: إخبار الإمام موسى(عليه السلام) لعامة الناس ببعض الغيبيات التي لا يمكن للانسان العادي أن يتوصّل اليها، والروايات التي تتضمّن هذا النوع من الإخبار كثيرة جداً نتقل بعضاً منها:

المثال الأول: عن أسحاق بن عمار قال: «سمعت العبد الصالح(عليه السلام) ينعى الى رجل من شيعته نفسه، فقلت في نفسي: وإنه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته! فالتفت اليّ شبه المغضَب فقال: **يا اسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا والإمام أولى بعلم ذلك**، ثم قال: **يا اسحاق اصنع ما أنت صانع فإنّ عمرك قد فني وقد بقي منه دون سنتين**... فلم يلبث اسحاق بعد هذا المجلس إلّا يسيراً حتى مات»[1].

المثال الثاني: قال خالد بن نجيح: قلت لموسى(عليه السلام) إنّ أصحابنا قدموا من الكوفة وذكروا أنّ المفضَّل شديد الوجع، فادع الله له. فقال(عليه السلام): «**قد استراح**»،

---

(١) أُصول الكافي: ٤٨٤/١، ح ٧، وفي الخرائج والجرائح: ٣١٠/١، ح ٣: اسحاق بن منصور، وفي اثبات الهداة: ٥٤١/٥، ح ٧٨: اسماعيل بن منصور عن أبيه. وفي بحار الأنوار: ٦٨/٤٨، ح ٩٠ ـ ٩١ عن الكافي والخرائج.

وكان هذا الكلام بعد موته بثلاثة أيام(١).

المثال الثالث: قال ابن نافع التفليسي: خلّفت والدي مع الحرم في الموسم وقصدت موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) فلما أن قربت منه هممت بالسلام عليه فأقبل عليّ بوجهه وقال: «**برّ حجك يابن نافع، آجرك الله في أبيك فإنّه قد قبضه إليه في هذه الساعة، فارجع فخذ في جهازه**، فبقيت متحيراً عند قوله، وقد كنت خلّفته وما به علّة، فقال: **يابن نافع أفلا تؤمن؟** فرجعت فاذا أنا بالجواري يلطمن خدودهنّ فقلت: ما وراكنّ؟ قلن: أبوك فارق الدنيا، قال ابن نافع: فجئت إليه أسأله عمّا أخفاه ورائي فقال لي: **أبداً ما أخفاه وراءك**، ثم قال: **يا ابن نافع ان كان في أُمنيتك كذا وكذا أن تسأل عنه فأنا جنب الله وكلمته الباقية وحجته البالغة**»(٢).

النشاط الثاني: ومن قدرات الإمام(عليه السلام) الخارقة للعادة والتي تميّزه أيضاً عن غيره هي تكلّمه بعدّة لغات من غير أن يتعلّمها بالطرق الطبيعية للتعلّم، وإنّما بالالهام. وفي هذا المجال تطالعنا مجموعة من الشواهد:

الشاهد الأول: عن أبي بصير قال: دخلت علىٰ أبي الحسن الماضي(عليه السلام)، ما لبثت أن دخل علينا رجل من أهل خراسان فتكلّم الخراساني بالعربية، فأجابه هو بالفارسية.

فقال له الخراساني: أصلحك الله ما منعني أن اكلّمك بكلامي إلّا أنني ظننت أنك لا تحسن فقال: «**سبحان الله! إذا كنت لا أحسن أن أجيبك فما فضلي عليك؟!**»

ثم قال: «**يا أبا محمد إنّ الإمام لا يخفىٰ عليه كلام أحد من الناس ولا طير ولا بهيمة**

(١) بصائر الدرجات: ٢٦٤ ح ١٠، واختيار معرفة الرجال: ٣٢٩ ح ٥٩٧، والخرائج والجرائح: ٢/٧١٥ ح ١٣، وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ٧٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣١٦/٤ وعنه في بحار الأنوار: ٧٢/٤٨.

ولا شيء فيه روح. بهذا يعرف الامام، فاذا لم تكن فيه هذه الخصال فليس هو بإمام»[1].

الشاهد الثاني: روي عن أبي حمزة أنه قال: كنت عند أبي الحسن موسى(عليه السلام) اذ دخل عليه ثلاثون مملوكاً من الحبشة اُشتروا له، فتكلم غلام منهم ـ وكان جميلاً ـ بكلام فأجابه موسى (عليه السلام) بلغته فتعجّب الغلام وتعجّبوا جميعاً وظنوا أنه لا يفهم كلامهم.

فقال له موسى(عليه السلام): «اني أدفع اليك مالاً، فادفع الىٰ كل (واحدٍ) منهم ثلاثين درهماً».

فخرجوا وبعضهم يقول لبعض: «إنّه أفصح منا بلغتنا، وهذه نعمة من الله علينا.

قال علي بن أبي حمزة: فلما خرجوا قلت: يا ابن رسول الله! رأيتك تكلم هؤلاء الحبشيين بلغاتهم! قال: نعم. وأمرت ذلك الغلام من بينهم بشيء دونهم؟

قال: نعم أمرته أن يستوصي بأصحابه خيراً وأن يُعطي كل واحدٍ منهم في كل شهر ثلاثين درهماً، لأنّه لمّا تكلم كان أعلمهم، فانه من أبناء ملوكهم، فجعلته عليهم، وأوصيته بما يحتاجون إليه، وهو مع هذا غلام صدق.

ثم قال: لعلك عجبت من كلامي اياهم الحبشية ؟ قلت: اي والله.

قال(عليه السلام): لا تعجب فما خفي عليك من أمري أعجب وأعجب»[2].

الشاهد الثالث: قال بدر ـ مولى الإمام الرضا(عليه السلام) ـ: «إنّ اسحاق بن عمار دخل علىٰ موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) فجلس عنده اذ استأذن عليه رجل خراساني

(١) قرب الاسناد: ٢٦٥، ح ١٢٦٣ وعنه في بحار الأنوار: ١٢٣/٢٥، ح ٥، واثبات الهداة: ٥٣٥/٥ ح ٧٢.

(٢) قرب الاسناد: ٢٦٢، ح ١٢٥٧ وعنه في بحار الأنوار: ١٩٠/٢٦ و ٤٨ / ١٠٠، ودلائل الإمامة: ١٦٩، والخرائج والجرائح: ٣١٢/١، ح ٥ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ٧٠.

يكلّمه بكلام لم يسمع مثله قطّ كأنه كلام الطير.

قال اسحاق : فأجابه موسى(عليه السلام) بمثله وبلغته الى أن قضى وطره في مساءلته، فخرج من عنده، فقلت: ما سمعت بمثل هذا الكلام.

قال: **هذا كلام قوم من أهل الصين وليس كل كلام أهل الصين مثله .**

ثم قال: **أتعجب من كلامي بلغته؟** قلت: هو موضع التعجب.

قال(عليه السلام): **أُخبرك بما هو أعجب منه انّ الإمام يعلم منطق الطير، ومنطق كلّ ذي روح، وما يخفى على الإمام شيء»**[1].

الاتّجاه الثاني : الإمام الكاظم (عليه السلام) ومعالجة الانهيار الاخلاقي

لقد أصاب القيم الإسلامية ـ بفعل الاسباب التي ذكرناها ـ اهتزاز كبير وتعرّضت الأُمة الى هبوط معنوي وتميّع مشهود، تغذّيه وتحركه أيدٍ سلطانية هادفة، هنا سلك الإمام الكاظم(عليه السلام) سبيلين من أجل أن يحدّ من هذا الانهيار الذي تعرّضت له الأُمة.

الأول عام. والثاني يختص بالجماعة الصالحة.

وقد اتّخذ الإمام(عليه السلام) أساليب عديدة للموعظة والإرشاد ومعالجة الانهيار الأخلاقي الذي أخذ ينتشر ويستحكم في أعظم الحواضر الإسلامية التي كان الإمام(عليه السلام) يتواجد فيها.

واستطاع الإمام(عليه السلام) من خلال توجيهه لمجموعة من طلّاب الحقيقة وتأثيره عليهم أن يربّي في المجتمع الإسلامي نماذج حيّة تكون قدوة للناس في كبح جماح الشهوات الهائجة وإطفاء نيران الهوى المشتعلة بسبب

---

(١) دلائل الإمامة: ١٧١ وعنه في مدينة المعاجز: ٤٣٨ ح ٣٨، والخرائج والجرائح : ١ / ٣١٣، ح ٦ وعنه في كشف الغمة: ٢٤٧/٢ وبحار الأنوار: ٤٨/ ٧٠، ح ٩٤.

المغريات المتنوّعة والتي كان يؤججها انسياب الحكّام في وادي الهوى نتيجة للثروات التي كانوا يحرصون على جمعها ويقترون في إنفاقها إلّا على شهواتهم الى جانب اقتدارهم السياسي والعسكري .

وممّن تأثّر بالإمام الكاظم(عليه السلام) ولمع اسمه في حواضر المجتمع الإسلامي ؛ أبو نصر بشر بن الحارث بن عبدالرحمن المروزي الأصل البغدادي المسكن والذي أصبح من العرفاء الزهّاد بعد أن كان من أهل المعازف والملاهي، حيث تاب على يدي الإمام الكاظم(عليه السلام)[١] .

وقد ذكر المؤرخون في سبب توبته أن الإمام(عليه السلام) حين اجتاز على داره ببغداد سمع الملاهي وأصوات الغناء والقصب تعلو من داره، وخرجت منها جارية وبيدها قمامة فرمت بها في الطريق، فالتفت الإمام إليها قائلاً: «**يا جارية: صاحب هذه الدار حر أم عبد؟**

فأجابت: (حر).

فقال(عليه السلام): صدقت، لو كان عبداً لخاف من مولاه.

ودخلت الجارية الدار، وكان بشر على مائدة السكر، فقال لها: ما أبطأك؟ فنقلت له ما دار بينها وبين الإمام(عليه السلام) فخرج بشر مسرعاً حتى لحق الإمام(عليه السلام) فتاب على يده، واعتذر منه وبكى[٢] وبعد ذلك أخذ في تهذيب نفسه واتصل بالله عن معرفة وإيمان حتى فاق أهل عصره في الورع والزهد».

وقال فيه ابراهيم الحربي: ما أخرجت بغداد أتمّ عقلاً، ولا أحفظ لساناً، من بشر بن الحارث كان في كل شعرة منه عقل[٣].

---

(١) الكنى والألقاب: ٢/٦٧.

(٢) الكنى والالقاب : ٢ / ١٦٧.

(٣) تأريخ بغداد : ٧ / ٧٣.

نعم لقد أعرض بشر ببركة توجيه الإمام الكاظم(عليه السلام) له وتنبيهه عن غفلته حتى أعرض عن زينة الحياة الدنيا ورضي بالقناعة وقال فيها: لو لم يكن في القناعة شيء إلّا التمتع بعزّ الغناء (الغنى) لكان ذلك يجزي.

وقال: «مروءة القناعة أشرف من مروءة البذل والعطاء»[1].

وممّا رواه الخطيب البغدادي عنه أنه جعل يبكي يوماً ويضطرب ويقول: «اللهم إن كنت شهرتني في الدنيا ونوّهت باسمي ورفعتني فوق قدري على أن تفضحني في القيامة، الآن فعجّل عقوبتي وخذ منّي بقدر ما يقوىٰ عليه بدني»[2].

وروى عن حجّاج بن الشاعر انّه كان يقول لسليمان اللؤلؤي: رؤي بشر ابن الحارث في النوم فقيل له: ما فعل الله بك يا أبا نصر؟ قال: غفر لي، وقال: يا بشر: ما عبدتني على قدر ما نوّهت باسمك[3].

وإذا تتبّعنا ما أثر عن الإمام الكاظم(عليه السلام) من كلمات وجدنا نصوصاً تشير الى اهتمامه بمعالجة الفساد الأخلاقي بشتى نواحيه، فضلاً عن سيرته العطرة وسلوكه السويّ الذي كان قبلة للعارفين وأُسوة للمتقين وشمساً مضيئة للمؤمنين وقمراً متلألئاً للمسلمين.

ونختار ممّا قاله الإمام(عليه السلام) بصدد معالجة الانهيار الأخلاقي ما يلي:

١ ـ «إنّ العاقل: الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره».

٢ ـ «من سلّط ثلاثاً على ثلاث فكأنّما أعان هواه على هدم عقله».

«من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه وأطفأ

(١) تاريخ بغداد: ٧/٧٩.

(٢) تاريخ بغداد: ٧/٨١.

(٣) تاريخ بغداد: ٧/٨٣.

نور عبرته بشهوات نفسه فكأنّما أعان هواه على هدم عقله، ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه».

٣ ـ «رحم الله من استحيا من الله حقّ الحيا، فحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وذكر الموت والبِلى وعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره والنار محفوفة بالشهوات».

٤ ـ «من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس».

٥ ـ «من لم يعمل بالخطيئة أروح هماً ممّن عمل الخطيئة، وإن أخلص التوبة وأناب».

٦ ـ «إنّ صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد إبليس يحقّرها لكم ويصغّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر وتحيط بكم».

٧ ـ «إنّ الله حرّم الجنة على كلّ فاحش بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه»[١].

وللإمام الكاظم(عليه السلام) معالجة شاملة وأساسية ذات أُسس قرآنية وتأريخية عريقة سوف تجدها بالتفصيل في وصيته القيمة لهشام في فصل تراثه(عليه السلام).

الاتّجاه الثالث: الإمام الكاظم والتحدّيات الداخلية

وهنا ندرس بعض مواقف الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من جملة من التحدّيات الداخلية التي كان لها تأثير سلبي مباشر على المذهب، ومنها تحدّيات السلطة لمرجعية الإمام العلمية.

الموقف الاول: إنّ موقف الإمام الكاظم(عليه السلام) من أخيه عبد الله (الأفطح) لم يكن موقفاً عدائياً سافراً رغم أنه ادّعى الإمامة لنفسه[٢] بعد أبيه. وهذا

---

(١) تجد هذه النماذج وغيرها في فصل تراثه(عليه السلام).

(٢) بصائر الدرجات: ٢٥١، ح ٤، وأُصول الكافي: ٣٥١/١، ح ٧، واختيار معرفة الرجال: ٢٨٢ ح ٥٠٢، والارشاد: ٢٢٦/٢.

الادعاء الخطير يؤثر على الوجود الشيعي ومستقبله، فلم يكرّس(عليه السلام) كامل جهده وطاقاته لحلّ هذه المشكلة، ولم يسلك مساراً يضغط به من الخارج على الخصم، ولم يفرض على الصف الشيعي أن ينقسم الى فريقين الى أنصار وخصوم.

كما أنه(عليه السلام) لم يدخل الحرب النفسية ولا الكلامية وانما عالج هذا الشرخ الجديد بأسلوب هادئ، وكفيل بعلاج هذه الأزمة.

ويتضح ذلك مما يلي :

أوّلاً : ترك للشيعة وعلمائها الحرية في أن تكتشف بنفسها كفاءة هذا المدّعي وعلميته أو تكتشف غيرها من الطاقات فيما إذا كان يمتلكها، عن طريق الفحص المباشر، أو المقارنة بينه وبين الإمام موسى(عليه السلام) كما حدث مع مؤمن الطاق وهشام بن سالم الذين تقدم ذكرهما.

ثانياً : أبقى الإمام(عليه السلام) علاقته مع أخيه ودّية ولم يجعل من المشكلة سبباً للمقاطعة بدليل أنه دعاه للحضور في منزله كما تذكره الرواية التي سنذكرها بعد قليل.

ثالثاً : استخدم الإمام(عليه السلام) اسلوب المعجزة التي تميّزه عن عبد الله باعتباره(عليه السلام) اماماً مفترض الطاعة فقام(عليه السلام) باثبات ذلك أمام جمع من خواصّ الشيعة.

فقد قال المفضّل بن عمر: لمّا قضى الصادق(عليه السلام) كانت وصيته في الإمامة الى موسى فادّعى أخوه عبد الله الإمامة وكان أكبر ولد جعفر في وقته ذلك هو المعروف بالافطح فأمر موسى(عليه السلام) بجمع حطب كثير في وسط داره فأرسل الى أخيه عبدالله يسأله أن يصير إليه فلمّا صار عنده ومع موسى(عليه السلام) جماعة من وجوه الإمامية وجلس إليه أخوه عبدالله ، أمر موسى(عليه السلام) أن يجعل النار في ذلك الحطب كله فأحترق كله ولا يعلم الناس السبب فيه، حتى

صارالحطب كله جمراً ثم قام موسى(عليه السلام) بثيابه في وسط النار وأقبل يحدّث الناس ساعة، ثم قام فنفض ثوبه ورجع الىٰ المجلس، فقال لاخيه عبد الله : **«ان كنت تزعم انك الإمام بعد أبيك فاجلس في ذلك المجلس»**، فقالوا: رأينا عبد الله قد تغير لونه، فقام يجرّ رداءه حتى خرج من دار موسىٰ(عليه السلام)(١).

والجدير بالذكر أن الطائفة التي اتبعته قد رجع أكثرهم بعد ذلك الىٰ القول بإمامة أخيه «موسىٰ الكاظم» لمّا تبينوا ضعف دعواه وقوّة رأي أبي الحسن «موسىٰ الكاظم» ودلالة حقه، وبراهين امامته(٢).

الموقف الثاني: موقف الإمام موسىٰ(عليه السلام) من العناصر التي تصدّت للمرجعية العلمية والدينية، وأصبحت فيما بعد مرجعاً عاماً يُدعم من قبل السلطان ويحظى برعايته، ليجعل منهم أدوات طيّعة تبرّر له سلوكه وخلافته.

وانطلاقاً من ضرورة الحفاظ علىٰ الصيغ الاصيله ، ومخافة أن تتعرض الشريعة للتحريف بسبب الاتّجاهات والمناهج التي وجدت في مدرسة الخلفاء.

تصدّى الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) لتلك المناهج والاتّجاهات وحاول أن يسلبها الصيغة الشرعية الزائفة التي كان يتمتع بها أصحابها حينما جعلوا في مواقع الفتيا في الدولة.

قال يونس بن عبد الرحمن: قلت : لأبي الحسن الأول (وهو الإمام الكاظم): بِمَ أوحد الله ؟

فقال(عليه السلام) : **«يا يونس لا تكونن مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر»**(٣).

---

(١) الخرائج والجرائح: ٣٠٨/١، ح ٢ وعنه في بحار الأنوار : ٤٨ / ٦٧ و٤٧ / ٢٥١ .

(٢) الارشاد: ٢ / ٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) أصول الكافي : ١ / ٥٦ ـ ٥٨ .

وقال الإمام الكاظم في موضع آخر : «**مالكم والقياس؟! إنمّا هلك من هلك من قبلكم بالقياس**»[1].

ولم يقتصر الإمام(عليه السلام) على إدانة هذا الاتّجاه فحسب وانما حاول أن يعرّف مواقع الخطأ والانحراف بشكل تفصيلي.

فعن محمد الرافعي أنه قال: كان لي ابن عم يقال له (الحسن بن عبدالله) وكان زاهداً وكان من أعبد أهل زمانه، وكان يلقاه السلطان، وربما استقبله بالكلام الصعب يعظه ويأمر بالمعروف، وكان السلطان يحتمل له ذلك لصلاحه.

فلم يزل على هذه الحالة، حتى كان يوماً دخل أبو الحسن موسى(عليه السلام) المسجد فرآه فأدناه إليه، ثم قال له: «**يا أبا علي، ما أحبّ اليّ ما أنت فيه وأسرّني بك، إلّا انه ليست لك معرفة، فاذهب فاطلب المعرفة**.

قال : جعلت فداك وما المعرفة؟

قال: اذهب وتفقّه واطلب الحديث.

قال : عمن ؟

قال: **عن مالك بن أنس وعن فقهاء أهل المدينة، ثم اعرض الحديث عليّ**.

قال : فذهب فتكلّم معهم، ثم جاءه فقرأه عليه فأسقطه كلّه»[2].

---

(1) أُصول الكافي: 57/1، ح 16 وعنه في وسائل الشيعة: 42/27 ح 15.

(2) بصائر الدرجات : 254، و ط: 274/2، ح6، وأُصول الكافي: 352/1، ح 8 باسم محمد الواقفي، والارشاد: 223/2 باسم الرافعي وعنه في اعلام الورى: 18/2، 19، وكشف الغمة: 13/3، 14، والخرائج والجرائح: 650/2 ح 2، وفي بحار الأنوار: 52/48، ح 48 عن البصائر والارشاد والاعلام والخرائج.

الاتّجاه الرابع: الإمام الكاظم (عليه السلام) وتركيز القيادة الشرعية السياسيّة

ركّز الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) على مسألة القيادة والولاية الشرعية المتمثّلة بالإمام المعصوم والموقف من القيادة السياسية المنحرفة، وتعريف الخواص بالإمامة والقيادة الحقة عبر أساليب تربويّة.

وفي هذا الاتجاه قام الإمام (عليه السلام) تعميقاً لهذا المعنى ـ بعدة نشاطات:

النشاط الأوّل: في المجال الفكري

فقد عمق الإمام (عليه السلام) الأُسس والثوابت العقائدية والفكرية التي اسس لها الأئمة (عليهم السلام) من قبله، والتي تشكّل تحصينات وقائية تطرد بدورها الفكر المضاد والدخيل الذي تعتمده الخلافة العباسية في نظرية الحكم والتي تحاول به الخلط بين ماهو أصيل ودخيل بهدف تضليل الأُمة بعد ما رفعت شعار الدعوة الى الرضيّ من آل محمّد.

لذا أعطى الإمام (عليه السلام) مقياساً واضحاً تميّز به الأُمّة وتطبقه على كل من يدّعي القيادة والخلافة الشرعية.

فعن أبي بصير عن أبي الحسن الماضي (عليه السلام) قال: دخلت عليه فقلت له: جعلت فداك بم يعرف الإمام؟ فقال: «**بخصال: أمّا أوّلهن فشيء تقدم من أبيه فيه، وعرّفه الناس، ونصّبه لهم علماً، حتى يكون حجّة عليهم، لأن رسول الله نصّب علياً (عليه السلام) علماً وعرّفه الناس، وكذلك الأئمة يعرّفونهم الناس وينصبونهم لهم حتى يعرفوه، ويسأل فيجيب، ويسكت عنه فيبتدي، ويخبر الناس بما في غد، ويكلّم الناس بكلّ لسان**»[1].

---

(١) قرب الاسناد: ٢٦٥ ح ١٢٦٣، وأُصول الكافي: ٢٨٥/١ ح ٧، والإرشاد: ٢٢٤/٢، ودلائل الإمامة: ١٦٩ وعن الإرشاد في اعلام الورى: ٢٢/٢، وفي بحار الأنوار: ٤٧/٤٨ ح ٣٣ عن قرب الإسناد والإرشاد والاعلام والخرائج.

وجاء عن أبي خالد الزبالي أنه قال: «نزل أبو الحسن (عليه السلام) (موسى الكاظم) منزلنا في يوم شديد البرد في سنة مجدبة، ونحن لا نقدر على عود نستوقد به فقال: **يا أبا خالد ائتنا بحطب نستوقد به.**

قلت: والله ما أعرف في هذا الموضع عوداً واحداً.

فقال: **كلّا يا أبا خالد! ترى هذا الفجّ؟ خذ فيه فإنك تلقى أعرابياً معه حملان حطباً فاشترهما منه ولا تماسكه.**

قال: فركبت حماري وانطلقت نحو الفجّ الذي وصف لي فإذا اعرابي معه حملان حطباً فاشتريتهما منه وأتيته بهما، فاستوقدوا منه يومهم ذلك. وأتيته بطرف ما عندنا فطعم منه.

ثم قال: **يا أبا خالد! انظر خفاف الغلمان ونعالهم فأصلحها حتى نقدم عليك في شهر كذا وكذا.**

قال أبو خالد: فكتبت تاريخ ذلك اليوم فركبت حماري في اليوم الموعود حتى جئت الى لزق ميل[1] ونزلت فيه فإذا أنا براكب مقبل نحو القطار فقصدت إليه فإذا يهتف بي ويقول: **يا أبا خالد!**

قلت: لبيك جعلت فداك.

قال: **أتراك وفيناك بما وعدناك؟** ثم قال: **يا أبا خالد! ما فعلت بالقبتين اللتين كنا نزلنا فيهما؟**

فقلت: جعلت فداك قد هيأتهما لك. وانطلقت معه حتى نزل في القبتين اللتين كان نزل فيهما.

---

(١) اللزق بالكسر: اللصق يقال «هو بلزقي» أي بجنبي.

ثم قال: **ما حال خفاف الغلمان ونعالهم؟** قلت: قد أصلحناها فأتيته بهما.

فقال(عليه السلام): **يا أبا خالد سلني حاجتك؟**

فقلت: جعلت فداك أخبرك بما كنت فيه. كنت زيدي المذهب حتى قدمت عليّ وسألتني الحطب، وذكرت مجيئك في يوم كذا، فعلمت أنك الإمام الذي فرض الله طاعته.

فقال(عليه السلام): **يا أبا خالد من مات لا يعرف إمامه مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل في الإسلام**»[1].

النشاط الثاني: في المجال العملي

كان الإمام(عليه السلام) يحاسب شيعته واتباعه المتعاطفين مع الحكّام والولاة ولا يسمح لهم بالانخراط في دائرة الظالمين واعوان الظالمين إلّا في موارد خاصة كان هو الذي يأمر بها ويشرف على سيرها وتصرفاتها.

قال زياد بن أبي سلمة دخلت على أبي الحسن موسى(عليه السلام) فقال لي: **يا زياد، انك لتعمل عمل السلطان؟**

قال: قلت أجل: قال لي: **ولم؟!**

قلت: أنا رجل لي مروّة وعليّ عيال وليس وراء ظهري شيء.

فقال لي: **يا زياد لان أسقط من على حالق** (المكان الشاهق) **فأقطّع قطعة قطعة، أحب اليّ من أن أتولّى لاحدٍ منهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم، إلّا، لماذا؟**

قلت: لا أدري جعلت فداك.

قال: **إلّا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فكّ أسره، أو قضاء دينه.**

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣١٩/٤ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ٧٧.

يا زياد! إنّ أهون ما يصنع الله بمن تولّىٰ لهم عملاً أن يضرب عليه سرادقاً من نار الىٰ أن يفرغ من حساب الخلائق.

يا زياد! فان وليت شيئاً من أعمالهم، فأحسن الىٰ اخوانك، فواحدة بواحدة والله من وراء ذلك.

يا زياد! أيّما رجل منكم تولىٰ لاحد منهم عملاً، ثم ساوىٰ بينكم وبينهم، فقولوا له: أنت منتحل كذاب.

يازياد! اذا ذكرت مقدرتك علىٰ الناس فاذكر مقدرة الله عليك غداً ونفاذ ما أتيت اليهم عنهم، وبقاء ما أتيت اليهم عليك»[1].

ويأتي إخبار الإمام الكاظم(عليه السلام) بأُمور مستقبليّة ـ مثل إخباره بموت المنصور قبل تحقّقه وهو في أوج قدرته ـ دليلاً عمليّاً وحسيّاً آخر على مبدأ إمامته، فضلاً عن ما يفرزه هذا الإخبار بالمستقبل من آمال بانفراج الأزمة التي كانت تتمثّل في عتوّ المنصور وجبروته.

الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) يخبر بموت المنصور

وأراد أبو جعفر المنصور الذهاب الىٰ مكة ـ وذلك قبيل وفاته ـ فأخبر الإمام(عليه السلام) بعض خواص الشيعة بموته قبل أن يصل اليها. وفعلاً مات قبل الوصول اليها كما أخبر به الإمام(عليه السلام).

قال علي بن أبي حمزة: سمعت أبا الحسن موسى(عليه السلام) يقول: «**لا والله لا يرى أبو جعفر بيت الله أبداً.**

فقدمت الكوفة فأخبرت أصحابنا، فلم نلبث ان خرج فلمّا بلغ الكوفة

---

(١) الكافي: ٥ / ١٠٩ ـ ١١٠ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٧٢.

قال لي أصحابنا في ذلك فقلت: لا والله لا يرىٰ بيت الله أبداً.

فلما صار الىٰ البستان اجتمعوا أيضاً اليَّ فقالوا: بقي بعد هذا شيء؟ قلت: لا والله لا يرىٰ بيت الله أبداً.

فلما نزل بئر ميمون أتيت أبا الحسن (عليه السلام) فوجدته في المحراب قد سجد فأطال السجود ثم رفع رأسه اليَّ فقال: **اخرج فانظر ما يقول الناس.** فخرجت فسمعت الواعية علىٰ أبي جعفر فأخبرته. قال: **الله أكبر ما كان ليرى بيت الله أبداً**»[1].

وهكذا انتهت حياة المنصور العبّاسي واستولى علىٰ الحكم من بعده ابنه المهدي وذلك في سنة (١٥٨ هـ)، وبذلك بدأ عهد سياسي جديد له ملامحه وخصائصه. وسوف نرىٰ مواقف الإمام الكاظم (عليه السلام) الرساليّة في هذا العهد الجديد.

---

(١) قرب الاسناد: ٢٦٤ ح ١٢٥٩ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ٤٥.

الفصل الثالث

الإمام الكاظم (عليه السلام) وحكومة المهدي العبّاسي

ملامح عهد المهديّ العباسيّ

ويمكن أن نوجز ملامح حكومته وعهده فيما يلي :

أولاً: لم يطرأ على سياسية الخليفة العبّاسي المهدي أيّ تغيير يعول عليه، فقد التزم بالنهج العبّاسي كخطٍ ثابتٍ واستوحى منه ما يجب أن يعمله من تفصيلات قد تستحدث أثناء سلطته، وسار على ما سار عليه الخلفاء العبّاسيون من قبله، نعم طرأ بعض التغيير لصالح العلويين بعد ذلك التضييق الشديد من المنصور على العلويين فكانت مصلحة الحكم تقتضي شيئاً من المرونة، الأمر الذي دعا الإمام(عليه السلام) أن يستغل هذه المرونة التي اتّخذها المهدي العبّاسي لصالح اتباعه وتوسعة نشاطه ومحاور تحرّكه.

ثانياً: إنّ المرونة التي طرأت على سياسة المهدي العبّاسي مع العلويين كانت في بداية حكمه وتمثلت فيما أصدره من عفو عام عن جميع المسجونين وفي ردّ جميع الاموال المنقولة وغير المنقولة والتي كان قد صادرها أبوه ظلماً وعدواناً الى أهلها، فردّ على الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) ما صادره أبوه من أموال الإمام الصادق(عليه السلام).

ثالثاً : بعد أن نشط الإمام(عليه السلام) وذاع صيته خلال حكم المهدي استخدم المهدي سياسة التشدد على الإمام موسى الكاظم(عليه السلام)، فلقد استدعاه إلى بغداد وحبسه فيها ثم ردّه إلى المدينة[1].

وكان ذلك في أواخر حكم المهدي تقريباً. كما خطط في هذه المرّة لقتل الإمام عن طريق حميد بن قحطبة، حيث دعا المهدي حميد بن قحطبة نصف الليل وقال: إنّ إخلاص أبيك وأخيك فينا أظهر من الشمس، وحالك عندي موقوف.

فقال: أفديك بالمال والنفس، فقال هذا لسائر الناس.

قال: أفديك بالروح والمال والأهل والولد، فلم يجبه المهدي.

فقال أفديك بالمال والنفس والأهل والولد والدين فقال: لله درّك.

فعاهده المهديّ على ذلك وأمره بقتل الإمام الكاظم (عليه السلام) في السُحرة[2] بغتة، فنام فرأى في منامه علياً يشير اليه ويقرأ: **﴿فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الارض وتقطّعوا أرحامكم﴾**[3].

فانتبه مذعوراً، ونهى حميداً عمّا أمره، وأكرم الإمام الكاظم(عليه السلام) ووصله[4].

رابعاً : شجع المهدي الوضّاعين في زمنه فقام هؤلاء بدور اعلامي تضليلي فأحاطوا السلاطين بهالة من التقديس وأبرزوهم في المجتمع

(١) قرب الاسناد : ١٤٠، البحار : ٤٨ / ٢٢٨ ح ٣٢ واخرجه المالكي في الفصول المهمة : ٢١٦ والشبلنجي في نور الأبصار : ١٦٥.

(٢) السُحرة بالضم: السحر.

(٣) محمد (٤٧): ٢٢.

(٤) المناقب : ٤ / ٣٢٥ وعنه في بحار الأنوار : ٤٨ / ١٣٩ ح١٥، تاريخ بغداد : ١٣ / ٣٠، وعنه في تذكرة الخواص : ٣١٣ ووفيات الاعيان : ٥ / ٣٠٨.

على أنهم يمثلون ارادة الله في الارض وأن الخطأ لا يمسّهم فمثل غياث بن ابراهيم الذي عرف هوى المهدي في الحَمام وعشقه لها فحدّثه عن أبي هريرة أنه قال:

لا سبق إلّا في حافر أو نصل ـ وزاد فيه ـ أو جناح.

فأمر له المهدي عوض افتعاله للحديث بعشرة آلاف درهم، ولمّا ولّى عنه قال لجلسائه:

أشهد أنه كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما قال رسول الله ذلك ولكنه أراد أن يتقرب الي[1].

وأسرف المهدي في صرف الاموال الضخمة من أجل انتقاص العلويين والحطّ من شأنهم فتحرّك الشعراء والمنتفعون وأخذوا يلفّقون الأكاذيب في هجاء العلويين ومن جملة هؤلاء الزنديق مروان بن أبي حفصة الذي دخل على المهدي ذات يوم وأنشده قائلاً:

يا ابن الذي ورث النبي محمداً　　دون الأقارب من ذوي الأرحام

الوحي بين بني البنات وبينكم　　قطع الخصام فلات حين خصام

ما للنساء مع الرجال فريضة　　نزلت بذلك سورة الانعام

أنى يكون وليس ذاك بكائن　　لبني البنات وراثة الأعمام

فأجازه المهدي على ذلك بسبعين ألف درهم تشجيعاً له ولغيره على انتقاص أهل البيت(عليهم السلام).

ولمّا سمع الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) بقصيدة مروان تأثر أشدّ التأثر، وفي الليل سمع هاتفاً يتلو عليه أبياتاً تجيب على أبيات بشار وهي:

---

(١) تاريخ بغداد: ٢ / ١٩٣.

أنى يكون ولا يكون ولم يكن للمشركين دعائم الاسلام
لبني البنات نصيبهم من جدهم والعم متروك بغير سهام
ما للطليق وللتراث وانما سجد الطليق مخافة الصمصام
وبقي ابن نثلة واقفاً متلدداً فيه ويمنعه ذوو الأرحام
إنّ ابن فاطمة المنوه باسمه حاز التراث سوى بني الاعمام(١).

خامساً: لقد شاع اللهو وانتشر المجون وسادت الميوعة والتحلّل في حكم المهدي العباسي . وبلغ المهدي حسن صوت ابراهيم الموصلي وجودة غنائه فقرّبه اليه وأعلى من شأنه(٢).

ولقد استغرق المهدي في المجون واللهو وظن الناس به الظنون واتهموه بشتى التهم وانى ذلك أشار بشار بن برد في هجائه اياه .

خليفة يزني بعماته يلعب بالدف وبالصولجان
أبدلنا الله به غيره ودسّ موسى في حر الخيزران(٣)

سادساً: إنّ جميع ما أخذه المنصور من أبناء الأُمة ظلماً وعدواناً وجمعه في خزانته وبخل عن بذله لإعمار البلاد واصلاح حال الأُمة قد بذله المهدي على شهواته حتى أسرف في ذلك بالرغم من كل ما شاهد من البؤس والفقر التي كانت حاضرة أمام الناظرين أيّام حكومته.

وقد روي من بذخه واسرافه ما بذله لزواج ابنه هارون من زبيدة حتى قال معتز عن بدلة ليلة الزفاف: بأن هذا شيء لم يسبق اليه أكاسرة الفرس ولا قياصرة الروم ولا ملوك الغرب(٤).

---

(١) الاحتجاج للطبرسي: ٢/١٦٧، ١٦٨.
(٢) الاغاني : ٥ / ٥ .
(٣) شذرات الذهب : ١ / ٢٦٥.
(٤) راجع حياة الإمام موسى بن جعفر : ١ / ٤٣٩ ـ ٤٤٠ .

سابعاً: انّ السفّاح والمنصور لم يسمحا لنسائهما بالتدخل في شؤون الدولة ولكن المهدي لمّا استولى على الحكم بدأ سلطان المرأة ينفذ الى البلاط فزوجته الخيزران أصبحت ذات نفوذ قوي على القصر تقرب من تشاء وتبعّد من تشاء. ومن هذا العصر أخذ نفوذ المرأة يزداد ويقوى في بلاط الحكّام العباسيين حتى بلغ نهايته في أواسط العهد العباسي واستمر حتى نهاية حكمهم(١).

ثامناً: انّ انشغال المهدي باللهو من جانب وحاجته الى الاموال من جانب آخر شجّع عمّاله على نهب الاموال وسلب ثروات الأُمة حتى انتشرت الرشوة عند الموظّفين وتشدّد ولاته في أخذ الخراج. بل عمد المهدي نفسه الى الاجحاف بالناس فأمر بجباية أسواق بغداد وجعل الأجرة عليها(٢).

هذه هي بعض الظواهر التي جاء بها عصر المهدي لتضيف كاهلاً آخر للتركة التأريخية المؤلمة التي خلفها بنو العباس والأمويون من قبلهم على الأُمة.

وقد نشط الإمام الكاظم (عليه السلام) مستغلاً هذه الفرصة المحدودة فكان برنامجه يتوزّع على خطين:

١ ـ **خط التحرك العام** في دائرة الأُمة والانفتاح عليها بهدف إصلاحها ضمن صيغ وأساليب سياسية وتربوية من شأنها إعادة الأُمة إلى وعيها الإسلامي وقيمها الرسالية.

٢ ـ **خط بناء الجماعة الصالحة** وتأصيل الامتداد الشيعي فتوجّه خلال هذهِ الفترة القصيرة بكل قوة نحو هذا الخط حتى جاء دور الرشيد فضيّق على الإمام (عليه السلام) وسجنه ثم قام بتصفية نشاطه وحياته (عليه السلام).

(١) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٤٤١.
(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٩٩.

النشاط العام للإمام الكاظم (عليه السلام)

كان الغالب على حياة الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عدم الانفتاح على الأُمة في حركته العامة.

وجاءت هذه المحدودية في الانفتاح على الأُمة بسبب تشدّد الخلفاء العباسيين ومراقبة أجهزتهم التجسسية له التي كانت تشك في أيّ حركة تصدر منه(عليه السلام).

ومع ذلك فقد تنوّعت نشاطات الإمام في مجالات شتّى يمكن أن نشير إليها فيما يلي:

١ ـ المجال السياسي:

قام الإمام (عليه السلام) بتوضيح موقفه تجاه الخلفاء والخلافة للأُمة، وان كلفه الموقف ثمناً قد يؤدّي بحياته.

لقد كان هذا التحرك من الإمام(عليه السلام) لئلا يتسرّب الفهم الخاطئ للنفوس ويكون تقريراً منه للوضع الحاكم أو يُتخذ سكوته ذريعة لتبرير المواقف الانهزامية.

من هنا نجد للإمام (عليه السلام) المواقف التالية:

الموقف الأول: لقد ذكرنا بأن المهدي العباسي عند تسلّمه زمام الحكم من أبيه المنصور أبدى سياسة مرنة مع العلويين أراد بها كسبهم وحاول أن ينسب من خلالها المظالم العباسية الى العهد البائد، ويوحي من جانب قوة الخلافة وشرعيتها وعدالتها عندما أعلن اعادة حقوق العلويين لهم وأصدر عفواً عاماً للمسجونين، وأرجع أموال الإمام الصادق(عليه السلام) الى الإمام الكاظم (عليه السلام).

من هنا وجد الإمام (عليه السلام) فرصته الذهبية لاستغلال هذه البادرة فبادر بمطالبة المهدي بارجاع فدك باعتبارها تحمل قيمة سياسية ورمزاً للصراع التأريخي بين خط السقيفة وخط أهل البيت (عليهم السلام).

فدخل على المهدي فرآه مشغولاً بردّ المظالم فقال له الإمام (عليه السلام):

«ما بال مظلمتنا لا ترد؟!

فقال المهدي: وما ذاك يا أبا الحسن؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى لمّا فتح على نبيّه (صلى الله عليه وآله) فدك وماوالاها لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب فأنزل الله على نبيه (صلى الله عليه وآله): ﴿وآت ذا القربى حقه﴾[1] فلم يدر رسول الله (صلى الله عليه وآله) من هم؟ فراجع في ذلك جبرئيل وراجع جبرئيل (عليه السلام) ربّه فأوحى الله اليه: ان ادفع فدك إلى فاطمة (عليها السلام).

فدعاها رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال لها: يا فاطمة إنّ الله أمرني أن أدفع إليك فدك، فقالت: قد قبلت يا رسول الله من الله ومنك. فلم يزل وكلاؤها فيها في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلمّا ولّى أبو بكر أخرج عنها وكلاءها فأتته فسألته أن يردّها عليها فقال لها: ايتيني بأسود أو أحمر يشهد بذلك، فجاءت بأمير المؤمنين (عليه السلام) وأم أيمن فشهدا لها، فكتب لها بترك التعرّض فخرجت والكتاب معها. فلقيها عمر فقال: ماهذا معك يا بنت محمد؟ قالت: كتاب كتبه لي ابن أبي قحافة، قال: أرينيه فأبت، فانتزعه من يدها ونظر فيه ثم تفل فيه ومحاه وخرقه، فقال لها: هذا لم يوجف عليه أبوك بخيل ولا ركاب فضعي الجبال في رقابنا.

فقال له المهدي: حدّها لي.

فقال (عليه السلام): حدّ منها جبل احد، وحد منها عريش مصر، وحد منها سيف البحر، وحدّ منها دومة الجندل.

فقال المهدي: كل هذه حدود فدك؟!

---

(١) الإسراء (١٧): ٢٦.

فقال له الإمام(عليه السلام): **نعم يا أمير المؤمنين هذا كلّه، إنّ هذا كله ممّا لم يوجف أهله علىٰ رسول الله بخيل ولا ركاب.**

فتغيّر المهدي وبدا الغضب علىٰ وجهه حيث أعلن له الإمام(عليه السلام): أنّ جميع أقاليم العالم الإسلامي قد اخذت منهم، فانطلق قائلاً: هذا كثير وأنظر فيه»[1].

الموقف الثاني : في هذه المرحلة كان الإمام(عليه السلام) حريصاً علىٰ تماسك الوجود الشيعي في وسط المجتمع الإسلامي ووحدة صفه، لان الظروف الصعبة، تشكّل فرصة لنفوذ النفوس الضعيفة والحاقدة بقصد التخريب.

وظاهرة القرابة والمحسوبية كانت أهم الركائز التي اعتمد عليها بناء الحكم العبّاسي، وكانت هي الحاكمة فوق كل المقاييس.

لذا نجد موقف الإمام(عليه السلام) من خطورة هذه الظاهرة كان حاسماً، إذ نراه يعلن عن مقاطعة عمّه محمد بن عبدالله الأرقط أمام الناس تطهيراً للوجود الشيعي من أيّ عنصر مضر مهما كان نسبه قريباً من الإمام(عليه السلام)، فلم يسمح له بالتسلق وصولاً للمواقع أو استغلالاً لها.

فعن عمر بن يزيد قال: كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) فذكر محمد بن عبدالله الأرقط فقال: «**اني حلفت ان لا يظلّني وإيّاه سقف بيت.**

فقلت في نفسي: هذا يأمر بالبرّ والصلة ويقول هذا لعمّه !

قال: فنظر اليّ فقال: **هذا من البر والصلة، انّه متى يأتيني ويدخل عليّ فيقول**

(١) أصول الكافي : ١ / ٥٤٣ ح٢ ، بحار الأنوار : ٤٨ / ١٥٦. ونقل السبط في تذكرة الخواص: ٣١٤ عن ربيع الأبرار للزمخشري: أن ذلك لم يكن من المهدي بل من هارون: كان يقول لموسى الكاظم: خذ فدكاً، وهو يمتنع ويقول: إنّ حددتها لم تردها، فلمّا ألحّ عليه قال: ما أخذها إلا بحدودها، قال: وما حدودها؟ فقال... فعند ذلك استلفى أمره وعزم على قتله.

يصدّقه الناس واذا لم يدخل عليّ، لم يقبل قوله إذا قال»[١].

وزاد في رواية ابراهيم بن المفضّل بن قيس: **«فاذا علم الناس أن لا أكلّمه لم يقبلوا منه وأمسك عن ذكري فكان خيراً له»**[٢].

الموقف الثالث: هو موقف الإمام الكاظم(عليه السلام) من ثورة الحسين بن علي ابن الحسن ـ صاحب ثورة فخ ـ بن الحسن المثنى ابن الحسن المجتبى(عليه السلام).

إن الإمام الكاظم (عليه السلام) بالرغم من امتداد شيعة أبيه في أرجاء العالم الإسلامي لم يعمل في هذه المرحلة بصيغة المواجهة المسلّحة طيلة أيام حياته، حتى أعلن عن موقفه هذا من حكومة المهدي عندما حبسه المهدي ورأى الإمام علياً(عليه السلام) في عالم الرؤيا وقصّ رؤياه على الإمام(عليه السلام) وقرر إطلاق سراحه، قال له: أفتؤمنني أن تخرج عليّ أو على أحد من ولدي؟ فقال الإمام(عليه السلام): **«والله لا فعلت ذلك ولا هو من شأني»**[٣].

وهذا الموقف للإمام (عليه السلام) بقي كما هو مع حكومة موسى الهادي لأسباب موضوعية سبقت الاشارة الى بعضها إلّا أن الإمام (عليه السلام) مارس دور الاسناد والتأييد لثورة الحسين ـ صاحب فخ ـ من أجل تحريك ضمير الأمة والارادة الإسلامية ضد التنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين.

ولمّا عزم الحسين على الثورة قال له الإمام (عليه السلام): **«إنّك مقتول فأحدّ الضراب فإنّ القوم فسّاق يظهرون إيماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً فإنّا لله وإنّا إليه راجعون**

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٦٠ عن بصائر الدرجات: ٦٤ ب ١٠ ح ٥.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٥٩ عن قرب الاسناد: ٢٣٢ ح ١١٧٤.

(٣) تاريخ بغداد، وعنه في تذكرة الخواص: ٣١١ ومطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ٨٣ وعن الجنابذي في كشف الغمة: ٢/٣ ـ ٣ وعنه في بحار الأنوار: ١٤٨/٤٨ ح ٢٢.

وعند الله أحتسبكم من عُصبة»(١).

ولمّا سمع الإمام الكاظم بمقتل الحسين رضي الله عنه بكاه وأبّنه بهذه الكلمات : **«إنّا لله وإنا إليه راجعون ، مضى والله مسلماً صالحاً، صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف ، ناهياً عن المنكر، ماكان في أهل بيته مثله»**(٢).

٢ ـ المجال الاخلاقي والتربوي :

لقد أشاع الحكّام العباسيون أخلاقاً وممارسات جاهلية أصابت القيم والاخلاق الإسلامية بالاهتزاز وعرّضت المثل العليا للضياع.

وهذا المخطط كان يستهدف المسخ الحضاري للأُمة الإسلامية ولم يكن حالة عقوبة أفرزتها نزوة الخليفة فقط وانّما هي ذات رصيد تأريخي وجزء من تخطيط جاهلي هادف لتغيير معالم الحضارة والأُمة الإسلامية التي ربّاها القرآن العظيم والرسول الكريم.

من هنا واجه الإمام (عليه السلام) هذا المخطط بأسلوب أخلاقي يتناسب مع أهداف الرسالة يذكّر الأُمة بأخلاقية الرسول (صلى الله عليه وآله) ويعيد لها صوراً من مكارم أخلاقه.

هنا نشير الى نماذج من نشاطه :

النموذج الأول : عن حماد بن عثمان قال: بينا موسى بن عيسى في داره التي تشرف على المسعى، إذ رأى أبا الحسن موسى (عليه السلام) مقبلاً من المروة على بغلة فأمر ابن هيّاج ـ رجل من همدان منقطعاً اليه ـ أن يتعلّق بلجامه ويدّعي البغلة، فأتاه فتعلّق باللجام وادعى البغلة، فثنى أبو الحسن (عليه السلام) رجله فنزل عنها

(١) أُصول الكافي: ١/٣٦٦ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٦١، ح ٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٦٥ عن مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الاصفهاني.

وقال لغلمانه: خُذوا سرجها وادفعوها اليه، فقال والسرج أيضاً لي، فقال له أبو الحسن (عليه السلام): **«كذبت عندنا البيّنة بأنه سرج محمد بن علي، وأمّا البغلة فانا اشتريتها منذ قريب وأنت أعلم وما قلت»**[1].

النموذج الثاني: خرج عبد الصمد بن علي ومعه جماعة فبصر بأبي الحسن (عليه السلام) مقبلا راكباً بغلاً، فقال لمن معه: مكانكم حتى أضحككم من موسى بن جعفر، فلما دنا منه قال له: ما هذه الدابّة التي لا تدرك عليها الثأر، ولا تصلح عند النزال؟ فقال له أبو الحسن (عليه السلام): **«تطأطأت عن سموّ الخيل وتجاوزت قموء العير، وخير الأُمور أوسطها»**. فافحم عبد الصمد فما أحار جواباً[2].

النموذج الثالث: عن الحسن بن محمد: أنّ رجلاً من ولد عمر بن الخطاب كان بالمدينة يؤذي أبا الحسن (عليه السلام) فكان يسبه إذا رآه ويشتم علياً (عليه السلام).

وقد لاحظنا حسن تعامل الإمام معه وكيف أدّى ذلك الى صلاح رؤيته وتعامله مع الإمام (عليه السلام)[3].

٣ ـ المجال العلمي

١ ـ قال أبو يوسف للمهدي ـ وعنده موسى بن جعفر (عليه السلام) ـ: «تأذن لي أن أسأله عن مسائل ليس عنده فيها شيء؟ فقال له: نعم. فقال لموسى ابن جعفر (عليه السلام) أسألك ؟ قال: نعم.

قال: ما تقول في التظليل للمحرم؟ قال: لا يصلح. قال: فيضرب الخباء في الارض ويدخل البيت؟ قال: نعم.

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٤٨، ح ٢٣ عن فروع الكافي: ٨/ ٨٦.

(٢) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٥٤ / ح٢٦ عن فروع الكافي: ٦/ ٥٤٠.

(٣) راجع الفصل الثالث من الباب الأوّل، مبحث حلمه (عليه السلام) ص ٣٤ من هذا الكتاب.

قال: فماالفرق بين هذين؟ قال أبو الحسن (عليه السلام): **ما تقول في الطامث أتقضي الصلاة؟** قال: لا. قال: **فتقضي الصوم ؟** قال : نعم ، قال: **ولم؟** قال: هكذا جاء.

قال أبو الحسن(عليه السلام): **وهكذا جاء هذا.**

فقال المهدي لابي يوسف: ما أراك صنعت شيئاً ؟ ! قال: رماني بحجر دامغ»[1].

٢ ـ وكان أحمد بن حنبل يروي عن الإمام موسىٰ بن جعفر عن أبيه حتى يسنده الىٰ النبي(صلى الله عليه وآله) ثم يقول: **وهذا اسناد لو قرئ علىٰ مجنون أفاق»**[2].

٣ ـ وحجّ المهدي فصار في قبر (قصر)[3] العبادي ضجّ الناس من العطش فأمر أن يحفر بئر فلمّا بدا قريباً من القرار هبّت عليهم ريح من البئر فوقعت الدلاء ومنعت من العمل فخرجت الفعلة خوفاً علىٰ أنفسهم.

فأعطى علي بن يقطين لرجلين عطاءاً كثيراً ليحفرا فنزلا فأبطأ ثم خرجا مرعوبين قد ذهبت ألوانهما فسألهما عن الخبر. فقالا: إنا رأينا آثاراً وأثاثاً ورأينا رجالاً ونساءً فكلما أومأنا الىٰ شيء منهم صار هباءً، فصار المهدي يسأل عن ذلك ولا يعلمون.

فقال موسىٰ بن جعفر(عليه السلام): **«هؤلاء أصحاب الاحقاف غضب الله عليهم**

---

(١) عيون أخبار الرضا : ١ / ٧٨ وعنه في بحار الأنوار : ٨١ / ١٠٨. ونقله في المناقب: ٣٣٨/٤ عن الفقيه، وليس فيه لا في الحيض ولا في التظليل! وفي الكنى والألقاب: ١٨٨/١ عن الكليني. ونقل نحوه المفيد في الارشاد: ٢٣٥/٢ عن محمّد بن الحسن الشيباني بمحضر الرشيد، ورواهما في الاحتجاج: ٢ / ١٦٨.

(٢) المناقب : ٤ / ٣٤١.

(٣) قبر العبادي : منزل في طريق مكة من القادسية الى العُذيب: وفي الاحتجاج: (قصر العبادي): ٢ / ٣٣٣.

فساخت بهم ديارهم وأموالهم»[1].

٤ ـ وعن هشام بن الحكم قال موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) لأبرهة النصراني: «كيف علمك بكتابك؟

قال: أنا عالم به وبتأويله.

فابتدأ موسى (عليه السلام) يقرأ الانجيل. فقال أبرهة: والمسيح لقد كان يقرأها هكذا، وما قرأ هكذا إلّا المسيح وأنا كنت أطلبه منذ خمسين سنة، فأسلم علىٰ يديه»[2].

٥ ـ وقال الشيخ المفيد: وقد روىٰ الناس عن أبي الحسن (عليه السلام) فاكثروا، وكان أفقه أهل زمانه.. وأحفظهم لكتاب الله واحسنهم صوتاً بالقرآن[3].

٦ ـ أمر المهدي بتوسعة المسجد الحرام والجامع النبوي سنة (١٦١ هـ) فامتنع أرباب الدور المجاورين للجامعين من بيعها علىٰ الحكومة وقال فقهاء عصره بعدم جواز اجبارهم علىٰ ذلك فأشار عليه علي بن يقطين أن يسأل الإمام موسىٰ بن جعفر عن ذلك فجاء جواب الإمام ما نصه بعد البسملة: «إن كانت الكعبة هي النازلة بالناس فالناس أولى ببنائها، وإن كان الناس هم النازلون بفناء الكعبة فالكعبة أولى بفنائها»، ولمّا انتهى الجواب الىٰ المهدي أمر بهدم الدور واضافتها الىٰ ساحة المسجدين[4].

٧ ـ طلب المهدي من الإمام الكاظم(عليه السلام) أن يستدل له علىٰ تحريم الخمر من كتاب الله تعالىٰ قائلاً له: «هل الخمر محرّمة في كتاب الله؟ فان الناس

---

(١) مناقب آل أبي طالب: ٣٣٦/٤ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٠٤ وفي الاحتجاج: ١٥٩/٢ ـ ١٦١ أكثر تفصيلاً.

(٢) مناقب آل أبي طالب: ٣٣٥/٤ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٠٤.

(٣) الارشاد: ٢/ ٣٣٥ وعنه في كشف الغمة: ٢٠/٣.

(٤) حياة الإمام موسى بن جعفر: ١ / ٤٥١ ـ ٤٥٢.

إنّما يعرفونها ولا يعرفون التحريم.

فقال الإمام (عليه السلام): بل هي محرمة في كتاب الله. فقال المهدي في أي موضع هي محرّمة ؟

فقال(عليه السلام): قوله عزّ وجلّ: ﴿انما حرّم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق﴾... واستشهد على أن (الاثم) هي الخمرة بعينها بقوله تعالى: ﴿ يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس ﴾. فالاثم في كتاب الله هو الخمر والميسر واثمهما كبير، كما قال الله عزّ وجلّ».

والتفت المهدي الى علي بن يقطين قائلاً له: هذه والله فتوى هاشمية.

فقال علي بن يقطين: صدقت والله ياأمير المؤمنين. الحمد لله الذي لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت. فلذعه هذا الكلام فلم يملك صوابه فاندفع قائلاً: صدقت يا رافضي»[1].

الإمام الكاظم (عليه السلام) وبناء الجماعة الصالحة

كرّس الإمام الكاظم(عليه السلام) جهده لإكمال بناء الجماعة الصالحة التي يهدف من خلالها الى الحفاظ على الشريعة من الضياع ويطرح النموذج الصالح الذي يتولّى عملية التغيير والبناء في الأُمة، حيث مارس الإمام(عليه السلام) تحرّكاً مشهوداً في هذا المجال وقدّم للأُمة النموذج الصالح الذي صنعته مدرسة أهل البيت (عليهم السلام).

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٤٩.

أولاً: تركيز الانتماء لخط أهل البيت (عليهم السلام)

١ ـ الانتماء السياسي : ركّز الإمام(عليه السلام) على بعد الانتماء لخطّ أهل البيت(عليهم السلام) ولا سيّما الانتماء السياسي لهم وتحرك الإمام على مستوى تجويز اندساس بعض أتباعه في جهاز السلطة الحاكمة، وأبرز مثال لذلك توظيف علي بن يقطين ووصوله الى مركز الوزارة؛ وذلك لتحقيق عدّة أهداف في هذه المرحلة السياسية الحرجة وهي كما يلي :

الهدف الأول : الإحاطة بالوضع السياسي

إنّ الاقتراب من أعلى موقع سياسي، من أجل الإحاطة بالمعلومات السياسية وغيرها التي تصدر من البلاط الحاكم أمر ضروري جدّاً وذلك ليتخذ التدابير والحيطة اللازمة لئلّا يتعرّض الوجود الشيعي للإبادة أو الانهيار. والشاهد على ذلك:

أنّه لمّا عزم موسى الهادي على قتل الإمام موسى(عليه السلام) بعد ثورة الحسين ـ صاحب فخ ـ وتدخل أبو يوسف القاضي في تغيير رأي الهادي عندما قال له بأن موسى الكاظم (عليه السلام) لم يكن مذهبه الخروج ولا مذهب أحد من ولده حيث استطاع أبو يوسف أن يقنع الخليفة.

هنا كتب علي بن يقطين الى أبي الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام) بصورة الأمر[1] من أجل أن يكون الإمام على علم بنشاطاته وسترى في المرحلة التالية الدور الفاعل الذي لعبه علي بن يقطين في خلافة الرشيد لمصالح الإمام الكاظم(عليه السلام)والشيعة الموالين له.

(١) مهج الدعوات : ٢٢٩ / ح١، عوالم العلوم والمعارف والأحوال : ٣٦٦.

الهدف الثاني: قضاء حوائج المؤمنين

إنّ قضاء حوائج المؤمنين بخطّ أهل البيت والذين يعيشون في ظل دولة ظالمة تطاردهم وتريد القضاء علىٰ وجودهم يشكّل هدفاً مهمّاً يصب في رافد بقاء واستمرار وجود هذه الجماعة الصالحة.

وقد طلب علي بن يقطين من الإمام الكاظم(عليه السلام) التخلي عن منصبه أكثر من مرة، وقد نهاه الإمام (عليه السلام) قائلاً له :

«يا علي إنّ لله تعالىٰ أولياء مع أولياء الظلمة ليدفع بهم عن أوليائه وأنت منهم يا علي»[1].

وقال له في مرة أُخرىٰ : **«لا تفعل فإن لنا بك أُنساً ولإخوانك بك عزّاً وعسى الله أن يجبر بك كسيراً أو يكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه. يا علي كفارة أعمالكم الاحسان الىٰ اخوانكم .. اضمن لي واحدة أضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقىٰ أحداً من أوليائنا إلّا قضيت حاجته واكرمته أضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ولا ينالك حد السيف أبداً ولا يدخل الفقر بيتك أبداً...»**[2].

وعن علي بن طاهر الصوري: قال : ولّي علينا بعض كتاب يحيى بن خالد وكان عليّ بقايا يطالبني بها وخفت من الزامي ايّاها خروجاً عن نعمتي، وقيل لي: انه ينتحل هذا المذهب، فخفت أن أمضي اليه فلا يكون كذلك، فأقع فيما لا أُحبّ.

فاجتمع رأيي علىٰ أني هربت الى الله تعالى، وحججت ولقيت مولاي الصابر ـ يعني موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) ـ فشكوت حالي اليه فاصحبني

(١) اختيار معرفة الرجال: ٤٣٣ ح ٨١٧

(٢) خبر الضمان في اختيار معرفة الرجال: ٤٣٣ ح ٨١٨ وعنه في حياة الإمام موسى بن جعفر : ٢ / ٢٨٦ ـ ٢٨٧.

مكتوباً نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم اعلم أنّ لله تحت عرشه ظلاً لا يسكنه إلّا من أسدىٰ الىٰ أخيه معروفاً، أو نفّس عنه كربة، أو أدخل علىٰ قلبه سروراً، وهذا أخوك ، والسلام»[١].

ومن مصاديق قضاء حوائج الاخوان المؤمنين : جباية الاموال جهراً وإرجاعها إليهم سراً .

عن علي بن يقطين قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام) ما تقول في أعمال هؤلاء ؟

قال: «ان كنت لابدّ فاتق الله في أموال الشيعة».

قال الراوي: فأخبرني علي انه كان يجبيها من الشيعة علانية ويردّها عليهم في السرّ[٢].

الهدف الثالث : التأثير في السياسة العامة(للدولة)

استخدم الإمام آليات متقنة ومحكمة في نشاطه الاستخباري وتأمين الاتّصال السري مع علي بن يقطين أو غيره من الشيعة المندسين في مراكز النظام الحاكم، ولعل الهدف من هذا الاختراق ومسك مواقع متقدمة من السلطة إمّا للتأثير في السياسة العامة للسلطة أو لإنجاز أعمال سياسيّة أو فقهيّة لصالح الأُمّة من خلال قربه لهذه المواقع.

يحدّثنا اسماعيل بن سلام عن آليات هذا الارتباط وما يتضمّنه من نشاط في النصّ التالي:

---

(١) راجع تمام الخبر ومصادره في: ٣٦ ـ ٣٨ من هذا الكتاب .

(٢) الكافي : ٥ / ١١٠، ح٣، وعنه في البحار : ٤٨ / ١٥٨، ح ٣١، وفي اختيار معرفة الرجال: ٤٣٥ ح ٨٢٠ عن كاتبه أمية وغيره.

قال اسماعيل بن سلام وابن حميد : بعث الينا علي بن يقطين فقال: اشتريا راحلتين، وتجنّبا الطريق. ودفع الينا أموالاً وكتباً حتى توصلا ما معكما من المال والكتب الى أبي الحسن موسى(عليه السلام) ولا يعلم بكما أحد، قال: فأتيناالكوفة واشترينا راحلتين وتزوّدنا زاداً، وخرجنا نتجنّب الطريق حتى إذا صرنا ببطن الرّمة شدّدنا راحلتنا، ووضعنا لها العلف، وقعدنا نأكل فبينا نحن كذلك، إذ راكب قد أقبل ومعه شاكري، فلما قرب منّا فاذا هو أبوالحسن موسى(عليه السلام) فقمنا اليه وسلمنا عليه ودفعنا إليه الكتب وماكان معنا فأخرج من كمّه كتباً فناولنا ايّاها فقال: هذه جوابات كتبكم[١]...

ثانياً : التثقيف السياسي

إنّ النشاط السياسي الذي يقوم به أصحاب الإمام(عليه السلام) فيهذه المرحلة ولما يمتاز به من صعوبات كان يحتاج الى لون خاص من الوعي ودقة فيالملاحظة وعمق في الايمان، ممّا دفع بالإمام(عليه السلام) الى أن يرعى ويشجع الخواص ويعمق فينفوسهم روح التدين ويمنحهم سقفاً خاصاً من المستوى الايماني ويدفعهم الى اُفق سياسي يتحرّكون به ضد الخصوم بشكل سليم ويوفّر لهم قوة تمنحهم قدرة المواصلة وسموّ النفس.

وفي هذا المجال نلاحظ ما يلي :

١ ـ شحّذ الإمام(عليه السلام) الهمم التي آمنت بالحق موضحاً أنّ الأمر لا يتعلق بكثرة الانصار أو قلتها.

فعن سماعة بن مهران قال: قال لي العبد الصالح(عليه السلام): «ياسماعة أمنوا على

(١) اختيار معرفة الرجال: ٤٣٦ ح ٨٢١ والخرائج والجرائح: ٣٢٧/١ وعنهما في بحار الأنوار : ٤٨ / ٣٤، ح ٥.

فرشهم، وأخافوني أما والله لقد كانت الدنيا وما فيها إلّا واحد يعبد الله، ولو كان معه غيره لاضافه الله عزّ وجلّ اليه حيث يقول: ﴿إنّ ابراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين﴾[1] فصبر بذلك ماشاء الله. ثم إن الله آنسه باسماعيل واسحاق، فصاروا ثلاثة.

أمـا والله إن المـؤمن لقـليل، وإنّ أهـل البـاطل لكـثير أتـدري لم ذلك ؟ فقلت: لا أدري جعلت فـداك. فـقال: صـيّروا اُنساً للمؤمنين يبثّون اليهم ما في صدورهم، فيستريحون الى ذلك ويسكنون إليه»[2].

٢ ـ لقد سعى الإمام(عليه السلام) لتربية شيعته على أساس تقوية أواصر الاخوة والمحبة الايمانية بحيث تصبح الجماعة الصالحة قوة اجتماعية متماسكة لا يمكن زعزعتها أو تضعيفها لقوة الترابط العقائدي والروحي فيما بينها. لنقرأ النص التالي معاً:

سأل الإمام موسى (عليه السلام) يوماً أحد أصحابه قائلاً له: «ياعاصم كيف أنتم في التواصل والتبارّ ؟ فقال: على أفضل ماكان عليه أحد.

فقال (عليه السلام) : أيأتي أحدكم عند الضيقة منزل أخيه فلا يجده ، فيأمر باخراج كيسه فيخرج فيفضّ ختمه فيأخذ من ذلك حاجته، فلا ينكر عليه؟! قال: لا، قال: لستم على ما أحب من التواصل والضيقة والفقر»[3].

---

(١) النحل (١٦): ١٢٠.

(٢) الكافي : ٢ / ٢٤٣ وعنه في بحار الأنوار : ٤٧ / ٣٧٣، ح ٩٤ و ٦٧ / ١٦٢ قال المجلسي معلقاً ومفسراً على هذا الخبر: اي انّما جعل الله تعالى هؤلاء المنافقين في صورة المؤمنين مختلطين بهم لئلا يتوحش المؤمنون لقلتهم.

(٣) مكارم الأخلاق: ١٦٥ وفي ط: ١٤٤/٢ عن بصائر الدرجات، وفي بحار الأنوار : ٤٨ / ١١٩، ح٣٥ وفي وسائل الشيعة: ٣٥/٢٥.

ثالثاً: البناء العملي والانتماء الفكري:

ركّز الإمام الكاظم(عليه السلام) في تربيته للجماعة الصالحة علىٰ ضرورة الانتماء الفكري والمعرفي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وتحرك الإمام(عليه السلام) بهذا الاتّجاه مستغلاً للنهضة الفكرية التي حقّقها الإمام الصادق(عليه السلام) من قبل فقام باكمال عمل أبيه في بناء الكادر المتخصص فامتدّت قواعده من هذا النوع حتى ذكر له (٣١٩) صحابياً[١] كل منهم تلقى العلم والمعرفة من الإمام الكاظم(عليه السلام) وقد خضعت هذه الجماعة بانتمائها الفكري الىٰ برمجة متقنة يمكنها مواجهة التحديات الثقافية والفقهية والابداع في ميدانها الخاص.

وفيما يلي نشير الىٰ جانب من نشاط الإمام(عليه السلام) بهذا الاتّجاه:

قام الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) بإعداد نخبة من الفقهاء ورواة الحديث تقدّر كما ذكرنا بـ(٣١٩) شخصاً لكن قد تميز من بين أصحابه ستة بالصدق والأمانة وأجمع الرواة علىٰ تصديقهم فيما يروونه عن الأئمة (عليهم السلام) علىٰ أنه اشتهر بين المحدثين ثمانية عشر فقيهاً ومحدّثاً من أصحاب الأئمة الثلاثة: (الباقر والصادق والكاظم) وهم المعروفون بأصحاب الاجماع، ستة من أصحاب «أبي جعفر» وستة من أصحاب «أبي عبدالله» وستة من أصحاب «أبي الحسن موسى(عليه السلام)»، وهم: «يونس بن عبد الرحمن»، و«صفوان بن يحيى بياع السابري»، و«محمد بن أبي عمير»، و«عبدالله بن المغيرة»، و«الحسن ابن محبوب السرّاد»، و«أحمد بن محمد بن أبي نصر البزنطي»[٢] هذا في المجال الفقهي أما الميادين الفكرية الأُخرى مثل الكلام والقرآن، واللغة وماشا كل ذلك فلها أيضاً نخبة متخصصة فيها.

---

(١) الإمام موسى الكاظم لباقر شريف القرشي: ٢ / ٢٢٣.

(٢) انظر اختيار معرفة الرجال: ٥٥٦ ح ١٠٥٠.

اعتقال الإمام الكاظم (عليه السلام)

لقد عرفنا عداء المهدي للعلويين بشكل عام بل لمن يتولّاهم، وما كان اخراجهم من السجون إلّا لأنه أحسّ بأن حكومته لا تدوم لو استمر على سيرة أبيه المنصور في التضييق عليهم، وقد أعرب عن سياسته بقوله:

اني أرى التأديب بالصفح أبلغ منه بالعقوبة، والسلامة مع العفو أكثر منها مع العاجلة، والقلوب لا تبقى لوالٍ لا يعطف اذا استعطف ولا يعفو إذا قدر، ولا يغفر إذا ظفر، ولا يرحم اذا استرحم، من قلّت رحمته واشتدّت سطوته وجب مقته وكثر مبغضوه[1].

ولكن مع كل هذا نجد المهدي ينكّل بوزيره المحبوب عنده (يعقوب بن داود) لأنه كان ذا ميل للعلويين، وبعد أن اختبره قال له: قد حلّ لي دمك ولو آثرت اراقته لأرقته ثم أمر بسجنه مؤبداً وصادر جميع أمواله[2].

ومن هنا نستطيع أن نكتشف أن سبب أمر المهدي العباسي باعتقال الإمام موسى إنّما كان شيوع ذكر الإمام(عليه السلام) وانتشار اسمه وعلمه في الآفاق مما جعله يتصوّر أن بقاء ملكه لا يتمّ إلّا باعتقاله .

وقد عرفت أن المهدي اضطرّ الى اطلاق سراح الإمام(عليه السلام) بعد أن رأى في المنام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) متأثراً حزيناً مخاطباً إياه :

---

(١) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٣٩٩ ـ ٤٠٠ .

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر : ١ / ٤٤٧ ـ ٤٤٩ وفي تاريخ اليعقوبي: ٢/٤٠١: وكان يعقوب جميل المذهب ميمون النقيبة، محبّاً للخير، كثير الفضل، حسن الهدى، ثم سخط عليه فعزله وحبسه، فلم يزل محبوساً حتى مات المهدي. وفي مروج الذهب: ٣/٣١٢: ثم اختصّ به يعقوب بن داود السلمي فكان يصل إليه في كل وقت دون كل الناس.. ثمّ اتّهمه بشيء من أمر الطالبيين.. فبقي في حبسه إلى أيام الرشيد فأطلقه، ثم نقل فيه أقوالاً أُخرى.

«يامحمد ! ﴿فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾ » ففزع المهدي من نومه .. وأمر باحضار الإمام وقصّ عليه رؤياه وطلب منه أن لا يخرج عليه أو علىٰ أحد من ولده. ثم أعطاه ثلاثة آلاف دينار وردّه الىٰ المدينة[١].

ومات المهدي لثمان بقين من المحرم سنة (١٦٩ هـ) وهو ابن ثمان وأربعين سنة بعد أن خرج الىٰ الصيد ودخل خربة أصاب بابها عمود ظهره أو أن بعض جواريه كانت قد دسّت له السم لانها كانت تغار من جارية كان يهواها ويخلص لها[٢].

وهكذا انتهت حياته بعد أن كان قد أخذ البيعة لابنه موسىٰ وهارون بالخلافة من بعده.

الإمام الكاظم (عليه السلام) في حكومة موسى الهادي العباسي

ثم استولى علىٰ الحكم موسىٰ الهادي بعد وفاة أبيه المهدي في العشر الأخير من محرم سنة (١٦٩ هـ) وتوفي في السنة (١٧٠ هـ) وكان عمره (٢٦) سنة[٣] وبالرغم من قصر المدّة التي حكم فيها موسىٰ الهادي إلّا أنها قد تركت آثاراً سيئة علىٰ الشيعة وامتازت بحدث مهم فيالتاريخ الاسلامي وهو «واقعة فخ» التي قال عنها الإمام الجواد(عليه السلام): «**لم يكن لنا بعد الطف مصرع أعظم من فخ**»[٤] فكانت سياسة الهادي قد امتازت بنزعات شريرة ظهرت في سلوكه

---

(١) تأريخ بغداد : ١٤ / ٣٠ ـ ٣١، والمناقب : ٤ / ٣٢٥.

(٢) تأريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٠١ وحياة الإمام موسى بن جعفر . ١ / ٤٥٤.

(٣) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٠١ ـ ٤٠٦.

(٤) الإمام موسى الكاظم : ٢ / ٤٥٧ .

حتى نقم عليه القريب والبعيد وأبغضه الناس جميعاً وقد حقدت عليه اُمّه الخيزران حتى بلغ بها الغيظ له نهايته، قيل أنها هي التي قتلته(١).

ولقد نكّل بالعلويين وأذاع الخوف والرعب في صفوفهم وقطع ما أجراه لهم المهدي من الارزاق والاعطيات وكتب الىٰ جميع الآفاق في طلبهم وحملهم الىٰ بغداد(٢).

ثورة فخ

إنّ الذي فجّر الثورة علىٰ الحاكم العبّاسي هو «الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام)».

أسباب الثورة

والأسباب التي أدّت الىٰ الثورة عديدة، نذكر منها سببين:

الأوّل: الاضطهاد والإذلال الذي مارسه الخلفاء العبّاسيون ضد العلويين واستبداد موسىٰ الهادي علىٰ وجه الخصوص.

الثاني: الولاة الذين عيّنهم موسىٰ الهادي علىٰ المدينة مثل تعيينه اسحاق ابن عيسىٰ بن علي الذي استخلف عليها رجلاً من ولد عمر بن الخطاب يعرف بعبد العزيز.

وقد بالغ هذا الأثيم في اذلال العلويين وظلمهم فالزمهم بالمثول عنده كل يوم، وفرض عليهم الرقابة الشخصية فجعل كل واحد منهم يكفل صاحبه

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٧٢ عن سر السلسلة العلوية: ١٤. ونقل القول الاصفهاني في مقاتل الطالبيين وعنه في بحار الأنوار: ٤٨/١٦٥.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٠٤.

بالحضور، وقبضت شرطته على كل من الحسن بن محمد بن عبدالله بن الحسن، ومسلم بن جندب وعمر بن سلام، وادّعت الشرطة انها وجدتهم على شراب فأمر بضربهم، وجعل في أعناقهم حبالاً، وأمر أن يطاف بهم في الشوارع ليفضحهم[١].

وفي سنة (١٦٩ هـ) عزم الحسين بن علي ـ صاحب فخ ـ على الخروج وفاتح الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) بالأمر وطلب منه المبايعة فقال له الإمام (عليه السلام): **«يا ابن عم لا تكلّفني ما كلّف ابن عمك، عمك أبا عبدالله فيخرج مني ما لا أريد، كما خرج من أبي عبدالله ما لم يكن يريد»**. فقال له الحسين: إنّما عرضت عليك أمراً فان أردته دخلت فيه. وان كرهته لم أحملك عليه والله المستعان، ثم ودّعه.

فجمع الحسين أصحابه مثل يحيى، وسليمان، وادريس بن عبدالله بن الحسن، وعبد الله بن الحسن الافطس وغيرهم.

فلما أذّن المؤذن الصبح دخلوا المسجد ونادوا أحد أحد، وصعد الافطس المنارة، وأجبر المؤذّن على قول: **حيّ على خير العمل** وصلى الحسين بالناس الصبح.

فخطب بعد الصلاة وبايعه الناس، وبعد أن استولى على المدينة توجّه نحو مكة وبعد أن وصل الى (فخ) فعسكر فيه وكان معه (٣٠٠) مقاتل ولحقته الجيوش العبّاسية وبعد صراع رهيب استشهد الحسين وأصحابه وأرسلت رؤوس الأبرار الى الطاغية موسى الهادي، ومعهم الأسرى وقد قيّدوا بالحبال والسلاسل ووضعوا في أيديهم وأرجلهم الحديد، وأمر الطاغية بقتلهم فقتلوا صبراً وصلبوا على باب الحبس[٢].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٦١ عن الاصفهاني في مقاتل الطالبيين.

(٢) تاريخ الطبري: ١٠ / ٢٩ وبحار الأنوار: ٤٨ / ١٦١ ـ ١٦٥ عن مقاتل الطالبيين.

نتائج الثورة

بعد ان انتهت الثورة باستشهاد «الحسين صاحب فخ» وصحبه أخذ الهادي يتوعّد الأحياء منهم، وقد ذكر سيدهم الإمام موسىٰ قائلاً: والله ما خرج حسين إلّا عن أمره، ولا اتبع إلّا محبته، لأنه صاحب الوصية في أهل هذا البيت. قتلني الله ان أبقيت عليه(١).

وكتب علي بن يقطين الىٰ الإمام موسى(عليه السلام) بصورة الأمر فورد الكتاب، فلما أصبح أحضر أهل بيته وشيعته فاطّلعهم علىٰ ما ورد عليه من الخبر فقال: ما تشيرون في هذا ؟

فقالوا: نشير عليك ـ أصلحك الله ـ وعلينا معك أن تباعد شخصك عن هذا الجبّار وتغيّب شخصك دونه.

فتبسم الإمام موسى(عليه السلام) ثم تمثل ببيت كعب بن مالك أخي بني سلمة وهو :

زعمت سخينة أن ستغلب ربّها   فليغلبنّ مغالب الغلاب

وأقبل الإمام نحو القبلة ودعا بدعاء الجوشن الصغير المعروف الوارد عنه(عليه السلام) ثم قال(عليه السلام): «**قد ـ وحرمة هذا القبر ـ مات في يومه هذا والله ﴿وانه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾**(٢)».

قال الراوي: ثم قمنا الىٰ الصلاة وتفرّق القوم فما اجتمعوا إلّا لقراءة الكتاب الوارد بموت الهادي والبيعة للرشيد(٣).

---

(١) بحار الأنوار : ٤٨ / ١٥٠ ـ ١٥٣ عن ابن طاووس في مهج الدعوات: ٢١٧.

(٢) الذاريات (٥١) : ٢٣.

(٣) بحار الأنوار: ٢١٧/٤٨، ح ١٧ عن مهج الدعوات لابن طاووس.

تحليل ثورة فخ وموقف الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) منها

لقد استعرضنا فيما سبق نشاط الإمام لاكمال بناء الجماعة الصالحة لايصالها الى المستوى العالي من العقيدة والايمان والوعي السياسي الذي يُهيّء الأرضية لانجاز المشروع التغييري الإسلامي الكبير.

أما العامل الثاني الذي يتكامل به انجاز هذا المشروع، فهو تحريك ضمير الأُمة وتحرير اراداتها الىٰ حدّ يمنحها القوة والصلابة ويمنعها من التنازل عن كرامتها، والذوبان في سياسة الظالمين وذلك من خلال استمرار العمل الثوري ضد الحكومات الظالمة، فانطلاقاً من هذه الضرورة يمكن أن نلخّص موقف الإمام موسىٰ من واقعة (فخ) بما يلي :

١ ـ لم يكن موقف الإمام (عليه السلام) في هذه المرحلة موقفاً ثورياً ضد نظام الحكم القائم.

٢ ـ صرّح الإمام (عليه السلام) بموقفه من الثورة لزعيمها (الحسين) عندما طلب منه المبايعة وذكّره بموقف الإمام الصادق(عليه السلام) من ثورة محمد ذي النفس الزكية، وسوف يكون موقفه كأبيه فيما اذا أصرّ الحسين علىٰ ضرورة المبايعة[1].

٣ ـ عندما استولىٰ الحسين علىٰ المدينة وصلّى بالناس صلاة الصبح لم يتخلف عنه أحد من الطالبيين إلّا الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن وموسىٰ بن جعفر (عليه السلام)[2].

٤ ـ صدر من الإمام تأييد ومساندة صريحة لحركة الحسين وثورته

(١) أُصول الكافي: ٣٦٦/١ وعنه في بحار الأنوار : ٤٨ / ١٦١.

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ / ١٦٣ عن الاصفهاني في مقاتل الطالبيين.

عندما عزم عليها في قوله(عليه السلام): «إنّك مقتول فأحدّ الضراب، فان القوم فسّاق يظهرون ايماناً ويضمرون نفاقاً وشركاً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون وعند الله أحتسبكم من عصبة»[١].

٥ ـ ولمّا سمع الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) بمقتل الحسين (رض) بكاه وابّنه بهذه الكلمات: «إنّا لله وإنّا اليه راجعون، مضى والله مسلماً صالحاً صوّاماً قوّاماً، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ما كان في أهل بيته مثله»[٢].

موسى الهادي يحاول عزل الرشيد من ولاية العهد :

قال اليعقوبي: وشجرت بين موسى وأخيه الوحشة فعزم على خلعه وتصيير ابنه جعفر وليّ العهد، ودعا القوّاد الى ذلك، فتوقف عامتهم وأشاروا عليه أن لا يفعل ،وسارع بعضهم وقووا عزيمته في ذلك وأعلموه أن الملك لا يصلح إن صار إلى هارون، فكان ممن سعى في خلعه أبو هريرة محمد بن فروخ الأزدي القائد من الأزد ، وقد كان موسى وجّه به في جيش كثير يستنفر من بالجزيرة والشام ومصر والمغرب ويدعو الناس الى خلع هارون، فمن أبى جرد فيهم السيف فسار حتى صار الى الرقة فأتاه الخبر بوفاة موسى[٣].

ومات موسى الهادي لاربع عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة (١٧٠ هـ)[٤].

(١) أصول الكافي: ٣٦٦/١ وعنه في بحار الأنوار: ١٦٠/٤٨، ح ٦.

(٢) بحار الأنوار : ٤٨ / ١٦٥ عن الاصفهاني في مقاتل الطالبيين .

(٣) تأريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٠٥ .

(٤) تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٠٧ .

الباب الرابع

فيه فصول:

الفصل الأوّل:

ملامح عهد الرّشيد وسياسته مع الإمام (عليه السلام)

الفصل الثّاني:

موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من حكم الرّشيد

الفصل الثّالث:

اعتقالات الإمام الكاظم (عليه السلام) حتى استشهاده

الفصل الرّابع:

تراث الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

الفصل الأول

ملامح عهد الرشيد وسياسته مع الإمام الكاظم (عليه السلام)

تعتبر السنوات الأخيرة من عمر الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) من أعقد مراحل حياته وأشدّها صعوبة وأذىً على الإمام (عليه السلام) بالقياس الى المراحل الأُخرى التي سبقتها، وقد عاصر فيها هارون الرشيد لمدة (١٤) سنة وأشهراً[1] وكانت حافلة بالآلام والمصاعب.

وقد صبّ فيها هارون كلّ الحقد الجاهلي وما تطويه نفسه الخبيثة من لؤم ودهاء على أهل البيت (عليهم السلام) فقد صمّم سياسة ظالمة تميّز بها عن غيره من الخلفاء، حتى كان من شأنها أن شلّ حركة الإمام (عليه السلام) وعزله عن الأُمة تمهيداً لقتله فيما بعد داخل السجن، وبهذا تشكل حياة الإمام موسى لجوؤه لأساليب أُخرى من العمل مرحلة جديدة بالنسبة لحركة الأئمة (عليهم السلام) الذين سبقوه.

ويكون الحديث عن هذه المرحلة من حياة الإمام الكاظم (عليه السلام) في عدة فصول:

الأوّل: عن عهد الرشيد وعن أساليبه التي استخدمها مع الإمام (عليه السلام).

---

(١) إعلام الورى: ٢/٧ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١، ح ١.

الثاني: موقف الإمام (عليه السلام) من حكم وسياسة الرشيد ونشاط الإمام(عليه السلام) مع الأُمة.

الثالث: عن اعتقالات الإمام ودوره في داخل السجن حتى استشهاده(عليه السلام) في سنة (١٨٣ هـ).

ويقع الكلام في هذا الفصل ضمن بحثين:

البحث الأول: ملامح عهد الرشيد:

سبقت الإشارة الى الظواهر الانحرافية التي اجتاحت البلاد الإسلامية والسياسة الظالمة ضد أهل البيت (عليهم السلام) التي جاء بها العباسيون في منهجهم الجاهلي.

ولا يسعنا أن نستعرض كل الاحداث والظروف التي أحاطت بالإمام (عليه السلام) في عصر حكومة الرشيد بل نحاول أن نقف على أهم ما امتازت به المرحلة من ظواهر لعلها تكون كافية لاعطاء الصورة الواقعية وحجم المأساة التي يعانيها الإمام(عليه السلام).

اذا لاحظنا الأموال التي كانت تجبى له من أطراف البلاد لوجدناها تفوق ضخامتها ورقمها أموال كل من سبقه من الخلفاء وكانت تنفق على غير مصالح المسلمين مثل التفنن في الملذّات حتى أسرف هارون في هباته للمغنّين وأغدق عليهم الأموال الطائلة فقد أنشده أبو العتاهية هذه الأبيات:

بأبي من كان في قلبي له مرة حب قليل فسرق
يا بني العبّاس فيكم ملك شعب الاحسان منه تفترق
إنّما هارون خير كله مات كل الشر مذ يوم خلق

وغنّاه ابراهيم الموصلي بها فأعطى كل واحد منهما مائة ألف درهم ومائة ثوب(١).

وكان هارون مولعاً بالجواري حريصاً على الاستمتاع والتلذذ بهنّ حتى أفرط في ذلك وكان له قصة مع الجارية (غادر) جارية أخيه الهادي وكانت حسناء من أحسن الناس وجهاً وغناءاً وكان الهادي يحبها وشك ذات يوم بأن الرشيد سيتزوجها حال مماته فقال للرشيد أريد أن تحلف بأنك لا تتزوجها بعدي فحلف واستوفى عليه الايمان من الحج راجلاً وطلاق الزوجات وعتق المماليك وتسبيل ما يملكه، ثم أحلفها بمثل ذلك فحلفت فلم يمض على ذلك الاشهر فمات الهادي وبويع الرشيد فبعث الى (غادر) وخطبها(٢).

وكان الرشيد شديدالولع بالغناء فاشتمل قصره على مختلف الآلات الموسيقية وقد أمر المغنّين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها ثم أمرهم باختيار عشرة فاختاروها، ثم أمرهم باختيار ثلاثة ففعلوا(٣) وانقطع إبراهيم عن الغناء لأنه عاهد الهادي بعدم الغناء بعده، لكن الرشيد أمره أن يغنّي فامتنع فرماه في السجن ولم يطلق سراحه حتى غنّى في مجلسه(٤).

وكان هارون من المدمنين على شرب الخمرة، وكان يدعو خواص جواريه إذا أراد الشراب(٥).

قال حماد بن اسحاق عن أبيه: أرسل إليّ الرشيد ذات ليلة فدخلت عليه

---

(١) الاغاني: ٤ / ٧٤.

(٢) نساء الخلفاء: ٤٦.

(٣) الاغاني: ١ / ٧.

(٤) الأغاني: ١ / ١٦٢.

(٥) التاج: ٣٧.

فإذا هو جالس وبين يديه جارية عليها قميص مورّد وسراويل مورّدة ، فلما غنّت، فقال: لمن هذا اللحن؟ فقلت: لي يا أمير المؤمنين فقال: هات لحن ابن سريج فغنّيته إياه فطرب وشرب رطلاً وسقى الجارية رطلا وسقاني رطلاً[١].

وكان الرشيد شديد التعلق بلعب القمار (النرد) و (الشطرنج)[٢] وبذل الأموال الطائلة من أجل هذه الألعاب.

أمّا موقفه من العلويين فكان الرشيد شديد العداء والحقد عليهم وقد أقسم حين تولّى الخلافة على استئصالهم وقتلهم فقال: والله لاقتلنّهم ـ أي العلويين ـ ولأقتلنّ شيعتهم[٣] وفعلاً نفّذ قسمه بقتل طائفة كبيرة من أعلام العلويين هم خيرة المسلمين علماً وورعاً في الدين .

وعندما رأى جماهير غفيرة من الأُمة الإسلامية تتهافت على زيارة مرقد الحسين(عليه السلام) قام بهدم الدورالمجاورة له، واقتلاع السدرة التي كانت الى جانب القبر الشريف[٤] كما أمر بحرث أرض كربلاء ليمحو بذلك كلّ أثر للقبر المطهر، وقد انتقم الله منه فإنّه لم يدُر عليه الحول حتى هلك في خراسان [٥].

وامتدّ سلوك هذا الحاكم الفاسد الى الأمة، حيث أُشيع في البلاد الإسلامية كل أنواع الفساد، وتحوّلت بغداد عاصمة الخلافة الإسلامية في عصره الى مسرحٍ للّهو، والرقص، وحانات الخمور ودور المجون، حتى أصبحت هذه

---

(١) الاغاني : ٥ / ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٢) الأغاني : ٩ / ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(٣) الأغاني : ٥ / ٢٢٥.

(٤) المناقب : ٢ / ١٩ ، والامالي : ٢٠٦.

(٥) تأريخ كربلاء : ١٩٨.

المظاهر سمة بارزة يتميّز بها ذلك العصر، وعكس لنا الشعراء انطباعاتهم وأحاسيسهم باللهو وحبّ الجواري والتلذّذ بالخمرة، وكرّس أبو نؤاس مجهوده الفكري في وصف الأكواب والكؤوس والسقاة والخمّارين والندماء وافتتن الناس بخمرياته.

وامتاز عصر هارون بالفقر والبؤس، الذي غم الملايين فنجد جموع المسلمين تعرى وتجوع، فيما زخرت بغداد بأموال المسلمين والتي تكرّست عند طبقة خاصة من الخلفاء وأبنائهم وعشيرتهم ووزرائهم والمغنين والجواري والخمّارين والوشاة والمنتفعين من مائدة الخلافة.

وحيث ظهر الفقر والبؤس في موطن كان منشئاً للكفر. فقد ظهرت في ذلك العصر حركات إلحادية نشطت بين البسطاء.

يقول (فلهوزن) : إنّ هناك صلة وثيقة بين الدعوة العباسية والزنادقة، ويقول: إنّ العباسيين في ذلك الوقت جمعوا الزنادقة حولهم ولم ينبذوهم إلّا فيما بعد(١).

والغريب أنّ هذه الحركات الهدّامة التي انتشرت في البلاد الإسلامية مثل «المزدكية» وغيرها كانت تدعو للتحلّل من جميع القيم وهي نوع من أنواع الشيوعية، يقول الشهرستاني : إنّ مزدك أحلّ النساء وأباح الأموال وجعل الناس شركة كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء(٢).

---

(١) الدولة العربية : ٤٨٩.

(٢) الملل والنحل : ١ / ٢٢٩.

البحث الثاني: موقف الرشيد من الإمام الكاظم (عليه السلام)

كان الرشيد شديد الحساسية والحقد على الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) بالنسبة الىٰ الخلفاء العباسيين الذين سبقوه، من هنا بدأ بمحاصرة الإمام ومراقبته بغية شل حركته ونشاطه، بطرق وأساليب متعددة وملتوية ومتطوّرة تمثلت في الاستدعاءات المتعدّدة للبلاط ثم الاعتقالات المتكرّرة، ومحاولات الاغتيال بتصفية أتباع الإمام(عليه السلام) وشيعته، وزجّ البعض في السجون بعد بثّه للجواسيس بشكل مكثّف ورصد ومُتابعة كل حركة تصدر من الإمام وأصحابه وإكرام الوشاة وتشجيعهم فيما إذا جاءوا بمعلومة سرّية عن الإمام حتى انه كانت تقدم رؤوس العلويين كهدايا للرشيد باعتبارها من الأُمور الثمينة عنده.

واستخدم الرشيد سياسته هذه مع الإمام علىٰ المدىٰ البعيد وأراد فيها تطويق الإمام(عليه السلام) وعزله بشكل تام وقطع كل أواصر الارتباط مع الأُمة.

واتّسمت سياسة الرشيد العدوانية مع الإمام بأنها كانت منذ بويع للخلافة تراوحت بين السجن والاتّهام السياسي مرّة والاكرام والتعظيم نفاقاً مرة أُخرىٰ.

وسوف نستعرض مجموعة النصوص التي وردت في هذا الصدد لنقف علىٰ مجموعة الأساليب الصريحة والملتوية والمتطوّرة التي سلكها هذا الطاغية لتصفية حركة أهل البيت (عليهم السلام) وأتباعهم.

الطائفة الاولى :

تتضمّن أساليب الرشيد مع الإمام والتي تدور بين اكرام الإمام مرة

والتخطيط لقتله مرّة اخرى، والاعتراف بكونه الإمام المفترض الطاعة مرّة ثالثة.

١ ـ جاء عن الفضل أنه قال: «كنت أحجب الرشيد، فأقبل عليّ يوماً غضباناً، وبيده سيف يقلّبه. فقال لي: يا فضل بقرابتي من رسول الله(صلى الله عليه وآله) لئن لم تأتني بابن عمي لآخذن الذي فيه عيناك.

فقلت: بمن أجيئك؟ فقال: بهذا الحجازي. قلت: وأيّ الحجازيين؟ قال: موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

قال الفضل: فخفت من الله عزّ وجلّ إن جئت به إليه، ثم فكرت في النقمة، فقلت له: أفعل. فقال: ائتني بسوطين وحصارين[1] وجلّادين.

قال: فأتيته بذلك ومضيت الىٰ منزل أبي ابراهيم موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) فأتيت الىٰ خربة فيها كوخ[2] من جرائد النخل فإذا أنا بغلام أسود.

فقلت له: استأذن لي علىٰ مولاك يرحمك الله. فقال لي: لج[3] ليس له حاجب ولا بوّاب. فولجت إليه، فإذا أنا بغلام أسود بيده مقص يأخذ اللحم من جبينه وعرنين أنفه من كثرة سجوده.

فقلت له: السلام عليك يابن رسول الله، أجب الرشيد.

فقال: ما للرشيد ومالي؟ أما تشغله نعمته عنّي؟ ثم قام مسرعاً، وهو يقول: **لولا أني سمعت في خبر عن جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله): إنّ طاعة السلطان للتقية واجبة[4] إذن ما جئت.**

---

(١) آلة العصر والكبس.

(٢) بيت من قصب.

(٣) ولج البيت دخل فيه.

(٤) روى الصدوق في أماليه: ٢٧٧ / ح ٢ باسناده عن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طاعة السلطان واجبة، ومن ترك طاعة السلطان فقد ترك طاعة الله، ودخل في نهيه،ان الله عزوجل يقول: ﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾. البقرة (٢): ١٩٥».

فقلت له : استعد للعقوبة يا أبا ابراهيم رحمك الله ، فقال(عليه السلام): **أليس معي من يملك الدنيا والآخرة، ولن يقدر اليوم علىٰ سوء لي ان شاء الله.**

قال الفضل بن الربيع: فرأيته وقد أدار يده يلوح بها علىٰ رأسه ثلاث مرات .

فدخلت علىٰ الرشيد، فإذا هو كأنه امرأة ثكلىٰ قائم حيران فلمّا رآني قال لي: يا فضل. فقلت: لبيك. فقال: جئتني بابن عمّي؟ قلت: نعم. قال: لا تكون أزعجته؟ فقلت: لا. قال: لا تكون أعلمته أني عليه غضبان؟ فإني قد هيّجت علىٰ نفسي ما لم أرده، ائذن له بالدخول. فأذنت له.

فلمّا رآه وثب اليه قائماً وعانقه وقال له: مرحباً بابن عمي وأخي ووارث نعمتي ، ثم أجلسه علىٰ مخدّةٍ وقال له: ما الذي قطعك عن زيارتنا؟ فقال(عليه السلام): **سعة ملكك وحبّك للدنيا.**

فقال: ائتوني بحقة الغالية[١] فأُتي بها فغلفه بيده، ثم أمر أن يحمل بين يديه خلع وبدرتان دنانير.

قال الفضل : فتبعته(عليه السلام) فقلت له: ما الذي قلت حتى كُفيت أمر الرشيد ؟

فقال : **دعاء جدي علي بن أبي طالب (عليه السلام) كان إذا دعا به، ما برز الىٰ عسكر إلّا هزمه ولا الىٰ فارس إلّا قهره، وهو دعاء كفاية البلاء.** قلت: وما هو ؟ قال: **قل:**

اللهم بك أساور، وبك أُحاول (وبك أحاور) ، وبك أصول، وبك انتصر، وبك أموت، وبك أحيا، أسلمت نفسي اليك، وفوّضت أمري اليك، لا حول ولا قوّة إلّا

(١) الغالية : جمعها غوالٍ: اخلاط من الطيب وتغلّي: تطيّب بالغالية.

بالله العلي العظيم.

اللهم انك خلقتني ورزقتني وسترتني، وعن العباد بلطف ما خوّلتني أغنيتني، وإذا هويت رددتني، وإذا عثرت قوّمتني، وإذا مرضت شفيتني، وإذا دعوت اجبتني يا سيدي ارض عني فقد أرضيتني»[1].

٢ـ يصوّر لنا عبدالله المأمون بن الرشيد ذلك المستوىٰ من الفهم الذي يمتلكه الرشيد ازاء الإمام. والذي اعترف به من خلال الاكرام والاجلال الذي قام به الرشيد للإمام الكاظم(عليه السلام) والذي يستبطن مدى الحقد والبغض، ويكشف هذا المشهد ثقل الإمام الشعبي الذي دفع بالرشيد الىٰ أن يفتعل هذا المشهد من أجل اضلال الجماهير.

قال المأمون: لقد حججت معه (الرشيد) سنة فلما صار الىٰ المدينة تقدم الىٰ حجابه وقال: لايدخلنّ عليّ رجل من أهل المدينة ومكة من أبناء المهاجرين والانصار وبني هاشم وسائر بطون قريش إلّا نسب نفسه، فكان الرجل اذا أراد أن يدخل عليه يقول: أنا فلان ابن فلان حتىٰ ينتهي الىٰ جدّه من هاشم أو قريش وغيرهما فيدخل ويصله الرشيد بخمسة آلاف وما دونها الىٰ مائتي دينار علىٰ قدر شرفه وهجرة آبائه.

فبينما أنا ذات يوم واقف إذ دخل الفضل بن الربيع فقال: يا أمير المؤمنين علىٰ الباب رجل زعم انه موسىٰ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(عليهم السلام) فأقبل علينا ونحن قيام علىٰ رأسه والأمين والمؤتمن وسائر القوّاد، وقال احفظوا علىٰ أنفسكم.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١ / ٧٦، ح ٥ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ٢١٥، ح١٦.

ثم قال لآذنه ائذن له ولا ينزل إلّا على بساطي، فأنا كذلك إذ دخل شيخ قد انهكته العبادة كأنه شن بال قد كلم السجود وجهه وأنفه، فلما رأى الرشيد رمى بنفسه عن حمار كان يركبه فصاح الرشيد: لا والله إلّا على بساطي فمنعه الحجّاب من الترجّل، ونظرنا إليه بأجمعنا بالاجلال والاعظام، فما زال يسير على حماره حتى سار الى البساط والحجّاب والقوّاد محدقون به.

فنزل وقام اليه الرشيد واستقبله الى آخر البساط وقبّل وجهه ورأسه وأخذ بيده حتى جرّه في صدر المجلس وأجلسه معه وجعل يحدّثه ويقبل عليه ويسأله عن أحواله.

ولمّا قام الرشيد لقيامه وودّعه، ثم أقبل عليّ وعلى الأمين والمؤتمن، وقال: يا عبدالله ويا محمد ويا ابراهيم: سيروا بين يدي عمّكم وسيدكم وخذوا بركابه وسوّوا عليه ثيابه[1].

٣ـ قال المأمون: فلمّا خلا المجلس قلت: يا أمير المؤمنين من هذا الرجل الذي عظمته وأجللته، وقمت من مجلسك إليه فاستقبلته، وأقعدته في صدر المجلس، وجلست دونه، ثم أمرتنا بأخذ الركاب له ؟!

قال: هذا إمام الناس، وحجة الله على خلقه، وخليفته على عباده.

فقلت: يا أمير المؤمنين أوليست هذه الصفات كلّها لك وفيك ؟!

فقال: أنا إمام الجماعة في الظاهر والغلبة والقهر، وموسى بن جعفر إمام حق.

والله يا بنيّ انه لأحق بمقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) مني ومن الخلق جميعاً، والله

(١) عيون أخبار الرضا: ١ / ٨٨ ح ١، بحار الأنوار: ٤٨ / ١٢٩، ح ٤، وحلية الأبرار: ٢ / ١٦٩، ومدينة المعاجز: ٤٤٩ ح ٧٤، ومستدرك الوسائل: ٢ / ٥٢. إثبات الهداة: ٥ / ٥١١، ح ٢٩.

لو نازعتني هذا الأمر لأخذت الذي فيه عيناك فإن الملك عقيم[١].

ونلاحظ أن هذا التصريح من الرشيد والاعتراف بحقانية امامة الكاظم (عليه السلام) كان أمراً سرياً.

٤ ـ قال المأمون: فلما أراد الرشيد الرحيل من المدينة الىٰ مكة أمر بصرّة فيها مائتا دينار، ثم أقبل علىٰ الفضل بن الربيع فقال له: اذهب بهذه الىٰ موسىٰ ابن جعفر (عليه السلام) وقل له: يقول لك أمير المؤمنين نحن في ضيق وسيأتيك برّنا بعد هذا الوقت.

فقمت في صدره فقلت: يا أمير المؤمنين تعطي أبناء المهاجرين والأنصار وسائر قريش، وبني هاشم، ومن لا يعرف حسبه ونسبه خمسة الآف دينار الىٰ ما دونها وتعطي موسىٰ بن جعفر ـ وقد أعطيته مائتي دينار ـ أخسّ عطية أعطيتها أحداً من الناس ؟!

فقال: اسكت لا أمّ لك، فإني لو أعطيت هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بمائة الف سيف من شيعته ومواليه، وفقر هذا وأهل بيته أسلم لي ولكم من بسط أيديهم وأعينهم[٢].

الطائفة الثانية :

نختار في هذه الطائفة ما يصوّر لنا أساليب الرشيد مع الإمام والتي يبتغي من ورائها احراج الإمام مرّة والاستهانة به مرّة أُخرىٰ لعله يعجزه أمام الناس

(١) عيون أخبار الرضا : ١ / ٨٨ / ح ١١ ، وبحار الأنوار : ٤٨ / ١٢٩ / ح ٤ ، ومدينة المعاجز : ٤٩٩ / ح ٧٤، وحلية الأبرار : ٢ / ٢٦٩ ، واثبات الهداة : ٥ / ٥١١ / ح ٢٩ ، ومستدرك الوسائل : ٢ / ٥٢، ح ٥ .

(٢) عيون أخبار الرضا: ٨٨/١ ح ١١، البحار: ١٢٩/٤٨ ح ٤.

ويثبت لهم فشله وعدم جدارته.

ولنرى موقف الإمام(عليه السلام) ازاء هذه الاحراجات والاستهانات وكيف تخلّص منها منتصراً.

١ ـ من أساليب الرشيد مع الإمام (عليه السلام) التي كان يهدف منها تخويف الإمام (عليه السلام) واستضعافه، هو اتهامه بأعمال سياسية محظورة بنظر الخلافة، مثل جباية الخراج.

وعن هذا الإتّهام يحدّثنا الإمام موسى(عليه السلام) نفسه حيث يقول: «**لمّا اُدخلت على الرشيد سلّمت عليه فردّ عليّ السلام ثم قال: يا موسى بن جعفر خليفتين يُجبى اليهما الخراج ؟ !»**

فقلت: يا أمير المؤمنين أعيذك بالله أن تبوء بإثمي وإثمك، وتقبل الباطل من أعدائنا علينا، فقد علمت أنه قد كُذب علينا منذ قبض رسول الله(صلى الله عليه وآله) بما عِلمُ ذلك عندك، فإن رأيت بقرابتك من رسول الله(صلى الله عليه وآله) أن تأذن لي أحدثك بحديث أخبرني به أبي، عن آبائه، عن جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله)؟! فقال: قد أذنت لك فقلت: أخبرني أبي عن آبائه عن جدي رسول الله(صلى الله عليه وآله) أنه قال: إنّ الرحم إذا مسّت الرحم تحرّكت واضطربت.

ثم سأله الرشيد عن أفضلية أهل البيت (اولاد علي) على بني العباس فأجابه الإمام(عليه السلام) عن الأدلة على هذا التفضيل بعد أن أخذ منه الأمان. ثم أطلق سراحه»[1].

وإليك نصّ ما دار بين الإمام(عليه السلام) وبين الرشيد كما رواه الصدوق:

قال الرشيد للإمام(عليه السلام):

---

(١) عيون أخبار الرضا: ١ / ٨١ ح٩ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٢٥.

«أريد أن أسألك عن أشياء تتلجلج في صدري منذ حين، لم أسأل عنها أحداً فإن أنت أجبتني عنها خلّيت عنك، ولم أقبل قول أحد فيك، وقد بلغني أنّك لم تكذب قطّ فاصدقني عمّا أسألك ممّا في قلبي.

فقلت: ما كان علمه عندي فإنّي مُخبرك به ان أنت آمنتني؟ قال: لك الأمان ان صدقتني وتركت التقيّة التي تعرفون بها معشر بني فاطمة.

فقلت ليسأل أمير المؤمنين عمّا شاء؟ قال: أخبرني لم فضّلتم علينا ونحن وأنتم من شجرة واحدة وبنو عبد المطلب ونحن وأنتم واحد، أنّا بنو العبّاس وأنتم ولد أبي طالب، وهما عمّا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقرابتهما منه سواء؟

فقلت: نحن أقرب. قال: وكيف ذلك؟

قلت: لأن عبدالله وأبا طالب لأب وأمّ وأبوكم العبّاس ليس هو من أم عبدالله، ولا من أمّ أبي طالب قال: فلم ادّعيتم أنّكم ورثتم النبي (صلى الله عليه وآله)؟ والعمّ يحجب ابن العمّ، وقبض رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقد توفي أبو طالب قبله، والعبّاس عمه حيّ؟

فقلت له: ان رأى أمير المؤمنين أن يعفيني من هذه المسألة ويسألني عن كلّ باب سواه يريده فقال: لا أو تجيب.

فقلت: فآمنّي؟ قال: قد آمنتك قبل الكلام.

فقلت: إنّ في قول علي بن أبي طالب (عليه السلام) اذن ليس مع ولد الصّلب ذكراً كان أو أنثى لأحدٍ سهم إلّا للأبوين والزوج والزوجة، ولم يثبت للعم مع ولد الصلب ميراث، ولم ينطق به الكتاب، إلّا أنّ تيماً وعدياً وبني أمية قالوا: العم والد رأياً منهم بلا حقيقة، ولا أثر عن النبي (صلى الله عليه وآله).

ومن قال بقول علي (عليه السلام) من العلماء قضاياهم خلاف قضايا هؤلاء، هذا نوح بن درّاج يقول في هذه المسألة بقول علي (عليه السلام) وقد حكم به، وقد ولّاه أمير المؤمنين المصرين

الكوفة والبصرة، وقد قضى به فأنهي الى أمير المؤمنين فأمر باحضاره واحضار من يقول بخلاف قوله منهم سفيان الثوري، وابراهيم المدني والفضيل بن عيّاض فشهدوا أنه قول علي (عليه السلام) في هذه المسألة فقال لهم ـ فيما أبلغني بعض العلماء من أهل الحجاز ـ: فلم لا تفتون به وقد قضى به نوح بن درّاج؟ فقالوا جسر نوح وجبنا وقد أمضىٰ أمير المؤمنين قضّيته بقول قدماء العامة عن النبي (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: علي أقضاكم، وكذلك قال عمر بن الخطاب علي أقضانا، وهو إسم جامع لأن جميع ما مدح به النبي (صلى الله عليه وآله) أصحابه من القراءة والفرائض والعلم داخل في القضاء. قال: زدني يا موسىٰ.

قلت: المجالس بالأمانات وخاصّة مجلسك؟ فقال: لابأس عليك.

فقلت: إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لم يورّث من لم يُهاجر، ولا أثبت له ولاية حتّىٰ يهاجر فقال: ماحجّتك فيه؟

قلت: قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتىٰ يُهاجروا﴾[1] وإنّ عمّي العبّاس لم يُهاجر، فقال لي: أسألك ياموسىٰ هل أفتيت بذلك أحداً من أعدائنا؟ أم أخبرت أحداً من الفقهاء في هذه المسألة بشيء؟

فقلت: اللهم لا، وما سألني عنها إلّا أمير المؤمنين. ثم قال: لم جوّزتم للعامة والخاصة أن ينسبوكم الىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويقولون لكم: يا بني رسول الله، وأنتم بنو علي وانّما يُنسب المرء الىٰ أبيه وفاطمة انّما هي وعاء، والنبي (صلى الله عليه وآله) جدّكم من قبل أمكم؟

فقلت: يا أمير المؤمنين لو أن النبي (صلى الله عليه وآله) نُشر فخطب اليك كريمتك هل كنت تجيبه؟

(١) الانفال (٨): ٧٢.

فقال: سبحان الله ولم لا أجيبه ؟! بل أفتخر على العرب والعجم وقريش بذلك.

فقلت: لكنّه (صلى الله عليه وآله) لا يخطب اليّ ولا أزوجه، فقال: ولم ؟

فقلت: لأنه ولدني ولم يلدك، فقال: أحسنت يا موسىٰ. ثم قال: كيف قلتم انّا ذرية النبي، والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يعقب؟ وانّما العقب للذكر لا للانثىٰ، وأنتم ولد الابنة، ولا يكون لها عقب؟

فقلت: اسألك بحق القرابة والقبر ومن فيه إلّا ما أعفيتني عن هذه المسألة.

فقال: لا أو تخبرني بحجّتكم فيه يا ولد علي، وأنت يا موسىٰ يعسوبهم، وإمام زمانهم، كذا أُنهي الي، ولست أعفيك في كل ما أسألك عنه، حتى تأتيني فيه بحجة من كتاب الله، فأنتم تدّعون معشر ولد علي أنّه لا يسقط عنكم منه شيء (ألف ولا واو) إلّا وتأويله عندكم، واحتججتم بقوله عزّ وجلّ ﴿ما فرّطنا في الكتاب من شيء﴾[1] وقد استغنيتم عن رأي العلماء وقياسهم.

فقلت: تأذن لي في الجواب؟ قال: هات.

فقلت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين * وزكريا ويحيى وعيسى﴾[2] من أبو عيسىٰ يا أمير المؤمنين؟ فقال: ليس لعيسىٰ أب.

فقلت: انّما ألحقناه بذراري الأنبياء (عليهم السلام) من طريق مريم (عليها السلام)، وكذلك الحقنا بذراري النبي (صلى الله عليه وآله) من قبل أمّنا فاطمة (عليها السلام). أزيدك يا أمير المؤمنين ؟ قال: هات.

قلت: قول الله عزّ وجلّ ﴿فمن حاجّك فيه من بعد ما جآءك من العلم فقل تعالوا ندع

---

(١) الانعام (٦): ٣٨.

(٢) الأنعام (٦): ٨٤ ـ ٨٥.

أبناءنا وأبناءكم ونساءناونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾ (١) ولم يدّع أحد أنّه أدخل النبي (صلى الله عليه وآله) تحت الكساء عند مباهلة النصارى إلّا علي بن أبي طالب وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام) فكان تأويل قوله عزّ وجلّ أبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب.

إنّ العلماء قد أجمعوا على أنّ جبرئيل قال يوم أُحد: يا محمد إنّ هذه لهي المواساة من علي قال: لأنّه منّي وأنا منه فقال جبرئيل: وأنا منكما يا رسول الله ثمّ قال: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا علي»، فكان كما مدح الله عزّ وجلّ به خليله(عليه السلام) إذ يقول: ﴿فتى يذكرهم يقال له ابراهيم﴾ (٢) انّا معشر بني عمك نفتخر بقول جبرئيل انّه منّا. فقال: أحسنت يا موسى ارفع الينا حوائجك.

فقلت له: أوّل حاجة أن تأذن لابن عمك أن يرجع الى حرم جدّه(عليه السلام) والى عياله فقال: ننظر ان شاء الله»(٣).

٢ ـ اتّهام الإمام بانحرافات فكرية لكسر هيبة الإمام(عليه السلام) وتبرير اضطهاده.

قال هارون للإمام الكاظم(عليه السلام): «بقي مسألة تخبرني بها ولا تضجر.

فقال له الإمام(عليه السلام) سل. فقال: خبّروني أنكم تقولون أن جميع المسلمين عبيدنا، وجوارينا، وأنكم تقولون: من يكون لنا عليه حق ولا يوصله الينا فليس بمسلم.

---

(١) آل عمران (٣): ٦١.

(٢) الأنبياء (٢١): ٦٠.

(٣) عيون أخبار الرضا (عليه السلام): ١ / ٨١.

فقال له موسى(عليه السلام): كذب الذين زعموا انّا نقول ذلك، واذا كان الأمر كذلك فكيف يصح البيع والشراء عليهم ونحن نشتري عبيداً وجواري ونقعد معهم ونأكل معهم ونشتري المملوك ونقول له: يا بنيّ، وللجارية :يا بنتي ونقعدهم يأكلون معنا تقرّباً الى الله سبحانه فلو انهم عبيدنا وجوارينا ما صح البيع والشراء...»[1].

٣ ـ هناك محاولة أُخرى لإحراج الإمام(عليه السلام) والاستهانة به وكانت في مجلس هارون الرشيد حينما حضره حكيم هندي، ويبدو أن الرشيد قد قصد حضور هذا الحكيم الهندي مع الإمام وخطط لادانة الإمام عملياً. كما يبدو ذلك من خلال تعليقة الرشيد بعد استسلام الحكيم الهندي لعلم الإمام(عليه السلام).

«حضر مجلس الرشيد هندي حكيم، فدخل الإمام الكاظم(عليه السلام) فرفع الرشيد مقامه، فحسده الهندي وقال: اغتنيت بعلمك عن غيرك، فكنت كما قال تعالى: ﴿ كلّا إنَّ الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾[2].

فقال(عليه السلام) أخبرني، الصور الصدفية إذا تكاملت فيها الحرارة الكلية، وتواترت عليها الحركات الطبيعية، واستحكمت فيها القوى العنصرية، صارت اخصاصاً عقلية، أم أشباحاً وهميّة ؟

فبهت الهندي وقبّل رأس الإمام(عليه السلام) وقال: كلّمتني بكلام لاهوت، من جسم ناسوت.

فقال الرشيد: كلما أردنا ان نضع أهل هذا البيت أبى الله إلّا أن يرفعه.

فقال(عليه السلام): ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ١٤٦ .

(٢) العلق (٩٦): ٦ ـ ٧.

الكافرون﴾»[١][٢].

٤ ـ يُبرز لنا هذا المشهد احدى محاولات الاغتيال التي كان قد أعدّها الرشيد للإمام موسى (عليه السلام) وفشلها بالتسديد الإلهي.

لمّا همّ هارون الرشيد بقتل الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) دعا الفضل بن الربيع وقال له: قد وقعت لي اليك حاجة أسألك أن تقضيها ولك مائة ألف درهم.

قال: فخرّ الفضل عند ذلك ساجداً وقال، أمرٌ أم مسألة؟ قال: بل مسألة.

ثم قال: أمرت بأن تحمل الى دارك في هذه الساعة مائة ألف درهم، وأسألك أن تصير الى دار موسى بن جعفر وتأتيني برأسه.

قال الفضل: فذهبت الى ذلك البيت فرأيت فيه موسى بن جعفر وهو قائم يصلي، فجلست حتى قضى صلاته، وأقبل (عليه السلام) اليّ وتبسّم وقال: «عرفت لماذا حضرت، أمهلني حتى أصلي ركعتين».

قال: فأمهلته فقام وتوضأ فأسبغ الوضوء، وصلّى ركعتين وأتمّ الصلاة بحسن ركوعها وسجودها، وقرأ خلف صلاته بهذا الحرز فاندرس وساخ في مكانه، فلا أدري أأرض ابتلعته؟ أم السماء اختطفته؟

فذهبت الى هارون وقصصت عليه القصة. قال: فبكى هارون، ثم قال: قد أجاره الله مني[٣].

---

(١) الصف: (٦١): ٨.

(٢) عوالم العلوم: الإمام موسى بن جعفر: ٣١٤/١، عن الصراط المستقيم: ١٩٤/٢.

(٣) بحار الأنوار: ٩٤ / ٣٣٢ عن مهج الدعوات: ٣٠ ـ ٣٣، وعوالم العلوم (الإمام موسى بن جعفر): ٢٨٤.

الفصل الثاني

موقف الإمام الكاظم (عليه السلام) من حكم الرشيد

لقد استعرضنا أساليب الرشيد وسياسته الظالمة مع الإمام(عليه السلام)، والآن نريد الحديث عن موقف الإمام(عليه السلام) قبال هذه السياسة.

الإمام(عليه السلام) وسياسة الرشيد

إنّ سيرة الإمام(عليه السلام) ومواقفه من الرشيد لم تكن استسلامية بل كان الإمام(عليه السلام) صلباً في مواقفه يتحدّىٰ بها الرشيد، وإن كان في بعضها شيء من المرونة في بعض الأحيان وذلك لمعرفة الإمام(عليه السلام) به وبنواياه فكان يراعي في مواقفه المصالح العليا.

ونختار بعض المشاهد التي تعبّر عن حقيقة موقف الإمام(عليه السلام) من حكومة الرشيد.

المشهد الأوّل : عن محمد بن طلحة الأنصاري قال: كان مما قال هارون لأبي الحسن(عليه السلام) حين اُدخل عليه:

«ما هذه الدار؟

فقال(عليه السلام): هذه دار الفاسقين، قال الله تعالى: ﴿سأصرف عن آياتي الذين يتكبّرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد

لا يتخذوه سبيلاً وان يَروا سبيل الغيّ يتخذوه سبيلاً﴾(١).

فقال له هارون: فدار من هي؟ قال(عليه السلام): هي لشيعتنا فترة ولغيرهم فتنة.

قال: فما بال صاحب الدار لا يأخذها؟

فقال: «أُخذت منه عامرة ولا يأخذها إلّا معمورة».

قال: فأين شيعتك ؟ فقرأ أبو الحسن(عليه السلام): ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتىٰ تأتيهم البيّنة﴾(٢).

قال: فقال له : فنحن كفار؟ قال(عليه السلام): لا، ولكن كما قال الله ﴿الذين بدّلوا نعمة الله كفراً وأحلّوا قومهم دار البوار﴾(٣).

فغضب عند ذلك وغلظ عليه إذ قد لقيه أبو الحسن(عليه السلام) بمثل هذه المقالة، وما رهبه وهذا خلاف قول من زعم أنه هرب منه من الخوف(٤).

المشهد الثاني: عن الإمام الكاظم(عليه السلام) قال: «قال لي هارون: أتقولون أن الخمس لكم؟

قلت: نعم.

قال: انه لكثير.

قال: قلت: إنّ الذي أعطاناه علم أنه لنا غير كثير»(٥).

المشهد الثالث : إنّ هارون الرشيد كان يقول لموسىٰ بن جعفر(عليه السلام): «خُذ فدكاً حتىٰ أردّها إليك، فيأبى حتى ألحّ عليه.

---

(١) الأعراف (٧): ١٤٦.

(٢) البينة (٩٨): ١.

(٣) ابراهيم (١٤): ٢٨.

(٤) تفسير العياشي: ٢٩/٢ الاذيله وعنه في بحار الأنوار: ١٣٨/٤٨، ح ١٣ والاختصاص : ٢٥٦، بحار الأنوار : ٤٨ / ١٥٦.

(٥) بحار الأنوار : ٤٨ / ١٥٨ عن كتاب الاستدارك.

فقال(عليه السلام): **لا آخذها إلّا بحدودها.** قال: وما حدودها؟

قال(عليه السلام): **ان حددتها لم تردّها.** قال: بحق جدّك إلّا فعلت.

قال(عليه السلام): **أمّا الحد الأول فعدن.** فتغير وجه الرشيد وقال: ايهاً.

قال(عليه السلام): **والحد الثاني سمرقند.** فاربدّ وجهه.

قال(عليه السلام): **والحدّ الثالث افريقية.** فأسودّ وجهه وقال: هيه

قال(عليه السلام): **والرابع سيف البحر مما يلي الجزر وأرمينيه.** قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحوّل الى مجلسي!

قال موسى(عليه السلام): **قد أعلمتك أنني ان حددتها لم تردّها.** فعند ذلك عزم على قتله»[1].

المشهد الرابع: ولمّا دخل هارون الرشيد المدينة توجه لزيارة النبي(صلى الله عليه وآله) ومعه الناس فتقدم الرشيد الى قبر رسول الله(صلى الله عليه وآله)وقال: السلام عليك يا رسول الله يابن عمّ، مفتخراً بذلك على غيره.

فتقدم أبو الحسن(عليه السلام) فقال «**السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه» فتغير وجه الرشيد وتبيّن الغيظ فيه»**[2].

الإمام(عليه السلام) والجماعة الصالحة

بعد أن عرفنا موقف الإمام موسى(عليه السلام) من الرشيد، بقي أن نعرف نشاطه ولا سيما فيما يخصّ الجماعة الصالحة حيث كان الإمام(عليه السلام) قد قطع

(١) تاريخ بغداد: ١٣ / ٣١ وعنه في تذكرة الخواص: ٣١٣ وفي مناقب آل أبي طالب: ٣٤٦/٤ وعنه في بحار الأنوار: ١٤٤/٤٨.

(٢) كامل الزيارات: ١٨ ب ٣ وعنه في بحار الأنوار: ١٣٦/٤٨، وفي مناقب آل أبي طالب: ٣٤٥/٤.

أشواطاً في منهجه التربوي في مراحل سابقة، فلابد أن يواصل بناءه في هذه المرحلة، لتعميق ما أسس له سابقاً، ولتوجيه الطاقات باتجاه الأهداف الكبرى التي كان يسعى لها الأئمة(عليهم السلام) من تأصيل الامتداد الشيعي في وسط الأُمة، وامتلاكه القدرة على مواجهة التحدّيات والوقوف أمام عمليات الابادة التي بدأ الخلفاء بالتخطيط لها كلما شعروا بتوسيع دائرة أتباع الأئمة(عليهم السلام) وقد لاحظنا هارون يصرّح بأنه لو أعطى الإمام عطاءه اللائق به لم يأمن أن يشهر الإمام ضدّه مائة ألف سيف لازالة ملكه.

ونطالع نشاط الإمام(عليه السلام) في عدة مجالات :

المجال السياسي:

قام الإمام موسى(عليه السلام) بعدة خطوات تربوية مع شيعته في هذا المجال.

الخطوة الاولى: تأكيد الانتماء السياسي لخط أهل البيت:

إنّ خطّ أهل البيت(عليهم السلام) ومنهجهم هو خط الرفض للظلم والظالمين، ولقد تشدد(عليه السلام) على محبيه وشيعته وحرّم عليهم الانفتاح أو التعاون مع السلطات العباسية الظالمة، وأخذ يعمّق في نفوسهم النزاهة والدقة في رفض الظلم، ليمتلكوا وعياً سياسياً يحصّنهم من الانجراف مع التيار الحاكم أو الاستجابة لمخططات الاحتواء بشكل وآخر.

إنّ موقفه(عليه السلام) مع صفوان الجمّال يكشف دقّة المنهج التربوي عند الإمام مع شيعته في هذه المرحلة وتصعيد الإمام(عليه السلام) لمستوى المواجهة مع الجهاز الحاكم من جهة وحرصه على تفتيت دعائم الحكم القائم حيث أخذ الرشيد يحصي على أهل البيت(عليهم السلام) وشيعتهم أنفاسهم ويخطط لابادتهم.

دخل صفوان بن مهران الأسدي على الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) فقال له:

«**يا صفوان، كل شيء منك حسن جميل ما خلا شيئا واحداً**». قال: جعلت فداك، أي شيء هو؟

قال(عليه السلام): **اكراؤك جمالك من هذا الرجل ،يعني هارون الرشيد!**

قال: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً، ولا للصيد، ولا للهو ، ولكن لهذا الطريق -يعني طريق مكة- ولا أتولاه بنفسي ولكن أبعث معه غلماني.

قال(عليه السلام): **يا صفوان أيقع كراك عليهم؟** قال: نعم جعلت فداك.

قال(عليه السلام): **أتحب بقاءهم حتى يخرج كراك؟** قال: نعم.

قال(عليه السلام): **من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم فهو وارد للنار.**

وقام صفوان في الوقت فباع جماله وأعرض عن مهنته فبلغ ذلك هارون فأرسل خلفه، فلما مثل عنده قال له ـ وهو يتميز من الغيظ ـ : يا صفوان! بلغني أنك بعت جمالك، قال: نعم قال: ولم؟ قال: أنا شيخ كبير ، وإنّ الغلمان لا يفون بالأعمال.

قال: هيهات هيهات !! اني لاعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك موسىٰ بن جعفر.

قال: مالي ولموسىٰ بن جعفر. قال: دع عنك هذا، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك»(١).

الخطوة الثانية : التأكيد على مبدأ التقية:

ومن الخطوات التي خطاها الإمام موسىٰ(عليه السلام) مع شيعته هو التشديد علىٰ

(١) رجال النجاشي: ١٩٨ برقم ٥٢٥، وكان من موالي بني أسد بالكوفة. والخبر من اختيار معرفة الرجال: ٤٤٠ ح ٨٢٨.

أهمية الالتزام بالتقية كقيمة تحصينية، تحافظ على الوجود الشيعي وتقيه من الضربات الخارجية.

روى معمّر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن موسى (عليه السلام) عن القيام للولاة، فقال (عليه السلام): قال أبو جعفر (عليه السلام): «**التقية ديني ودين آبائي، ولا ايمان لمن لا تقية له**»[1].

وحدّث درست بن أبي منصور، قال: كنت عند أبي الحسن موسى (عليه السلام) وعنده الكميت بن زيد، فقال له الإمام (عليه السلام): «**أنت الذي تقول:**

فالآن صرت الى أمية   والامور الى مصائر

فقال الكميت: قد قلت ذلك، والله ما رجعت عن ايماني، واني لكم لموالٍ ولعدوكم لقالٍ، ولكن قد قلته على التقية فقال (عليه السلام): «**انّ التقية لتجوز على شرب الخمر**»[2].

الخطوة الثالثة: النفوذ في الجهاز الحاكم

ونشط الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) عن طريق أصحابه، بالنفوذ والاندساس في مواقع السلطة، فقد تصدّر أصحاب الإمام (عليه السلام) مواقع سياسية مهمّة في الحكومة العباسية، وكان الإمام (عليه السلام) يُثني ويثمن عمل هؤلاء، لكن كان يشترط التعاون وقضاء حوائج المؤمنين والاّ فانه ينتفي غرض المهمة.

واليك قائمة باسماء أصحاب الإمام (عليه السلام) الذين شغلوا مواقع مهمّة في السلطة العباسية، وكانوا من أعاظم العلماء وأجلائهم منهم:

١ - علي بن يقطين: نشأ يقطين بالكوفة وكان يبيع الابزار وكان يقول بالإمامة، وقد اتّصل بأبي العباس السفاح والمنصور والمهدي، ولمّا انتقل

---

(١) الوسائل: ٢٠٤/١٦ رقم ح ٢١٣٥٩ باب ٢٤ كتاب الأمر والنهي.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٤٦٥/١، ح ٣٦٤.

يقطين الى دار الحق قام ولده علي مقامه فاتّصل اتصالاً وثيقاً بالعبّاسيين، وتولّى المناصب المهمّة في الدولة وكان عوناً للمؤمنين، وقام بتزويج عدد منهم وكان يعيل قسماً كبيراً منهم.

فقد حدّث سليمان كاتبه فقال: أحصيت لعلي من يحجّ عنه في عام واحد مائة وخمسين رجلاً أقلّ من أعطاه منهم سبعمائة درهم وأكثر من أعطاه عشرة آلاف درهم وزوّج ثلاثة أو أربعة من أولاد الإمام الكاظم(عليه السلام) وانفق أموالاً ضخمة في وجوه البرّ والإحسان. وتقلّد أعلى منصب في أيام المهدي ومن بعده عيّنه هارون وزيراً له[1] وكان على اتّصال سرّي ودائم مع الإمام(عليه السلام).

٢ ـ حفص بن غياث الكوفي، ولي القضاء ببغداد الشرقية من قبل هارون ثم تولّى قضاء الكوفة وتوفي سنة (١٩٤ هـ)[2].

٣ ـ عبد الله بن سنان بن طريف، كان خازناً للمنصور والمهدي والهادي والرشيد[3].

٤ ـ الفضل بن سليمان الكاتب البغدادي، كان يكتب للمنصور والمهدي[4].

٥ ـ محمد بن اسماعيل بن بزيع من صلحاء الطائفة ومن عيونها وأحد

---

(١) اختيار معرفة الرجال: ٤٣٠ ح ٨٠٥ و ٤٣٣ ح ٨١٥ و ٤٣٤، ح ٨١٩ و ٨٢٠ و ٤٣٧، ح ٨٢٤، والفهرست لابن النديم: ٣٢٨.

(٢) رجال النجاشي: ١٣٤ برقم ٣٤٦ وفي الكشي: ٣٩٠ ح ٧٣٢ قال: هو عامّي وفي تنقيح المقال: ١ / ٣٥٥.

(٣) اختيار معرفة الرجال: ٤١١ ح ٧٧١ و في النجاشي: ٢١٤ برقم ٥٥٨ من موالي بني العباس، وجامع الرواة: ١ / ٤٨٧.

(٤) النجاشي: ٣٠٦ رقم ٨٣٧.

رواة حديث الإمام موسى(عليه السلام) كان، مولى للمنصور وأحد وزراء الدولة العباسية[١].

٦ ـ الحسن بن راشد مولى بني العبّاس: كان وزيراً للمهدي وموسىٰ الهادي وهارون الرشيد[٢].

لقد كان هؤلاء بعض أصحاب الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) ورواة حديثه.

ومن هنا نستطيع أن نقدّر مدى حنكة الإمام(عليه السلام) وتخطيطه للمحافظة علىٰ المواقع المهمة لأبناء الجماعة الصالحة في جهاز السلطة من اقرار فضلاء صحابته علىٰ قبولهم ولاية الحاكم الجائر فإنّهم أعلم بهذا الخط وشؤونه من عامة المؤمنين.

المجال التربوي :

إنّ وصايا الإمام الكاظم(عليه السلام) وتوجيهاته لشيعته تلاحظ حاجة الواقع الموجود لاكمال بناء هذه الجماعة الصالحة باتّجاه الاهداف النهائية التي رسمها أهل البيت(عليهم السلام) لها.

ومن هنا نجد الإمام(عليه السلام) يتابع شيعته ويشرف علىٰ تكامل بناء هذه الجماعة وأفرادها فيقوم بتطبيق ما يدعو اليه عملياً لتشكل خطواته نموذجاً ومناراً يهتدي به أبناء مدرسته. ولهذا المجال يمكن أن نستشهد بعدّة أمثلة:

المثال الأول : «موقفه(عليه السلام) من علي بن يقطين عندما أراد أحد المؤمنين أن يدخل علىٰ علي بن يقطين ولم يأذن له لنلاحظ تعبير الإمام (بأخيك) ليؤكد

(١) اختيار معرفة الرجال: ٥٦٤ ح ١٠٦٥ وفي رجال النجاشي: ٣٣٠ برقم ٨٩٣.

(٢) انظر ترجمته في فهرست أعلام الكشي: ٢٦ في أخبار عديدة. وفي النجاشي: ٣٨ برقم ٧٦ وفي منهج المقال: ٩٨.

أن وجودك يا علي في هذا المنصب هو لخدمة هؤلاء لا لشيء ومن هنا أذن له الإمام بالبقاء بل أمره بالبقاء عندما أراد أن يعتزل من هذا الموقع.

عن محمد بن علي الصوفي قال: استأذن ابراهيم الجمّال - رضي الله عنه - على أبي الحسن علي بن يقطين الوزير فحجبه.

فحجّ علي بن يقطين في تلك السنة فاستأذن بالمدينة على مولانا موسى ابن جعفر (عليه السلام) فحجبه.

فرآه ثاني يومه فقال علي بن يقطين: يا سيدي ما ذنبي؟ فقال (عليه السلام): **حجبتك لأنك حجبت أخاك ابراهيم الجمّال وقد أبى الله أن يشكر سعيك أو يغفر لك ابراهيم الجمّال.**

فقلت: سيدي ومولاي من لي بابراهيم الجمّال في هذا الوقت وأنا بالمدينة وهو بالكوفة؟

فقال (عليه السلام): **إذا كان الليل فامض الى البقيع وحدك من غير أن يعلم بك أحد من أصحابك وغلمانك واركب نجيباً هناك مسرّجاً.**

قال: فوافى البقيع وركب النجيب ولم يلبث أن أناخه على باب ابراهيم الجمّال بالكوفة.

فقرع الباب وقال: أنا علي بن يقطين

فقال ابراهيم الجمّال من داخل الدار: وما يعمل علي بن يقطين الوزير ببابي؟!

فقال علي بن يقطين: يا هذا إنّ أمري عظيم وآلى عليه أن يأذن له، فلمّا دخل قال: يا ابراهيم إنّ المولى (عليه السلام) أبى أن يقبلني أو تغفر لي، فقال: يغفر الله لك.

فآلى علي بن يقطين علىٰ ابراهيم الجمّال أن يطأ خدّه فامتنع ابراهيم من ذلك فآلى عليه ثانياً ففعل.

فلم يزل ابراهيم يطأ خده وعلي بن يقطين يقول: اللّهم اشهد، ثم انصرف وركب النجيب، وأناخه في ليلته بباب المولى موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) بالمدينة فأذن له ودخل عليه فقبله»[1].

المثال الثاني: حرص الإمام موسى (عليه السلام) علىٰ قضاء حوائج المؤمنين واهتم بها وهو في أحلك الظروف وأشدّها قساوة، فقد حثّ الشيعة على التمسك بهذا المبدأ الأخلاقي، بل أمر بعض الخواص بالبقاء في جهاز السلطة الظالمة لأجل قضاء حوائج المؤمنين.

من هنا ندرك مستوى اهتمامه ومدى سعيه لتحقيق هذا المبدأ في فكر وسلوك أبناء الجماعة الصالحة.

عن محمد بن سالم قال: «لمّا حمل سيدي موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) الىٰ هارون جاء إليه هشام بن ابراهيم العباسي، فقال له: يا سيدي قد كُتب لي صك الىٰ الفضل بن يونس تسأله أن يروح أمري.

قال: فركب إليه أبو الحسن (عليه السلام) فدخل عليه حاجبه فقال: يا سيدي! أبو الحسن موسىٰ بالباب فقال: فإن كنت صادقاً فأنت حرّ ولك كذا وكذا!

فخرج الفضل بن يونس حافياً يعدو حتى خرج إليه: فوقع علىٰ قدميه يُقبّلهما ثم سأله أن يدخل، فدخل فقال له: **اقض حاجة هشام بن ابراهيم**»، فقضاها[2].

---

(١) بحار الأنوار: ٤٨ / ٨٥، ح ١٠٥ عن عيون المعجزات: ٩٠.

(٢) اختيار معرفة الرجال: ٥٠٠ ح ٩٥٧ وكان الفضل من الشيعة فطلبتهم السلطة فاختفى وكتب كتاباً على مذهب الراوندية العباسية باثبات الإمامة للعباس فدته الى السلطان فآمنه واستعمله. بحار الأنوار: ٤٨ / ١٠٩.

المثال الثالث : تسديد الإمام(عليه السلام) لمهمة علي بن يقطين ودعمه له :

روي عن علي بن يقطين: «أنه كتب الى موسىٰ بن جعفر(عليه السلام): اُختلف في المسح على الرجلين، فإن رأيت أن تكتب ما يكون عملي عليه فعلت.

فكتب أبو الحسن(عليه السلام): **الذي آمرك به أن تتمضمض ثلاثاً وتستنشق ثلاثاً، وتغسل وجهك ثلاثاً، وتخلّل شعر لحيتك ثلاثاً، وتغسل يديك ثلاثاً، وتمسح ظاهر أذنيك وباطنها وتغسل رجليك ثلاثاً، ولا تخالف ذلك الى غيره، فامتثل أمره وعمل عليه.**

فقال الرشيد: أحبّ أن أستبرئ أمر علي بن يقطين، فإنهم يقولون انه رافضي، والرافضة يخففون في الوضوء. فناطه بشيء من الشغل في الدار، حتى دخل وقت الصلاة، ووقف الرشيد وراء حائط الحجرة بحيث يرى علي بن يقطين ولا يراه هو، وقد بعث اليه بالماء للوضوء فتوضّأ كما أمره موسى(عليه السلام).

فقام الرشيد وقال: كذب من زعم أنك رافضي.

فورد على علي بن يقطين كتاب موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) **توضأ من الآن كما أمر الله : اغسل وجهك مرّة فريضة، والأخرىٰ اسباغاً، فاغسل يديك من المرفقين كذلك، وامسح مقدّم رأسك، وظاهر قدميك من فضل نداوة وضوئك، فقد زال ما يخاف عليك**»[1].

وعن ابن سنان «أنّ الرشيد حمل في بعض الأيام الى علي بن يقطين ثياباً أكرمه بها وكان في جملتها دراعة خز سوداء من لباس الملوك مثقلة بالذهب.

فأنفذ علي بن يقطين جلّ تلك الثياب الى أبي الحسن موسىٰ

---

(١) الإرشاد: ٢/٢٢٧ ـ ٢٢٩ وعنه في إعلام الورى: ٢/٢١، ٢٢ وكشف الغمة: ٣/١٥ ـ ١٧ وفي الخرائج والجرائح: ١/٣٣٥ ح ٢٦ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨/١٣٦ ح ١١.

ابن جعفر(عليه السلام) وانفذ في جملتها تلك الدراعة، وأضاف اليها مالاًكان أعـدّه له على رسم له فيما يحمله اليه من خمس ماله.

فلمّا وصل ذلك الى أبي الحسن قبل المال والثياب، وردّ الدراعة على يد الرسول الى علي بن يقطين وكتب اليه: **ان احتفظ بها، ولا تخرجها عن يدك، فسيكون لك بها شأن، تحتاج اليها معه**، فارتاب علي بن يقطين بردّها عليه، ولم يدر ما سبب ذلك، فاحتفظ بالدراعة.

فلمّاكان بعد أيام تغيّر علي بن يقطين على غلام كان يختص به فصرفه عن خدمته، وكان الغلام يعرف ميل علي بـن يـقطين الى أبـي الحسـن(عليه السلام) ويقف على ما يحمله اليه في كل وقت من مال وثياب وألطاف وغير ذلك.

فسعى به الى الرشيد فقال: انه يقول بإمامة موسى بن جـعفر، ويـحمل خمس ماله في كل سنة وقد حمل اليه الدراعة التي أكرمه بها أمير المؤمنين في وقت كذا وكذا.

فاستشاط الرشيد لذلك. وغضب غضباً شديداً، وقال لاكشفنّ عن هذه الحال فإن كان الأمر كما يقول أزهقت نفسه.

وأنفذ في الوقت بإحضار علي بن يقطين فلمّا مثل بين يديه، قال له: ما فعلت بالدراعة التي كسوتك بها؟

قال: هي يا أمير المؤمنين عـندي فـي سفط مـختوم، فـيه طـيب، وقـد احتفظت بها، وقلّما أصبحت الآ وفتحت السفط، فـنظرت اليـها تـبركاً بـها، وقبّلتها ورددتها الى موضعها وكلما أمسيت صنعت مثل ذلك.

فقال: أحضرها الساعة قال: نعم يا أمـير المـؤمنين. واسـتدعى بـعض خدمه، وقال له: إمضِ الى البيت الفلاني من الدار، فخذ مفتاحه من خـزانـتي فافتحه وافتح الصندوق الفلاني، وجئني بالسفط الذي فيه بختمه.

فلم يلبث الغلام أن جاءه بالسفط مختوماً فوضع بين يدي الرشيد فأمر بكسر ختمه وفتحه.

فلمّا فتح نظر الىٰ الدراعة فيه بحالها، مطوية مدفونة في الطيب.

فسكن الرشيد من غضبه ثم قال لعلي بن يقطين: أُرددها الىٰ مكانها فلن أُصدق عليك بعدها ساعياً.

وأمر أن يتبع بجائزة سنية، وتقدم بضرب الساعي ألف سوط، فضرب نحواً من خمسمائة فمات في ذلك»[1].

المجال العلمي والفكري:

لقد كان عهد الصادقين (عليهما السلام) عهد الانفراج النسبي لمدرسة أهل البيت (عليهم السلام) حيث استطاعت أن تنشر علوم أهل البيت (عليهم السلام) وتخرج الاساتذة والعلماء المسؤولين والأُمناء على حفظ تراث هذا الخطّ الرسالي بين أبناء الأُمة الإسلامية.

ومن هنا فقد تكاملت لابناء هذه المدرسة في عهدهما الأُسس المتينة التي أرساها الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) والإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من بعده في المنهج والمحتوى والاسلوب.

وكان عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) الذي استمر ثلاثة عقود أو ما يزيد عليها قليلاً ـ استمراراً للمسيرة العلمية والثقافية التي حقّقها الصادقان (عليهما السلام) حتى تخرج في عهده (عليه السلام) عدد مهم من الفقهاء الرواة الذين أصبحوا بمستوى

(١) الإرشاد: ٢/٢٢٥ ـ ٢٢٧ وعنه في إعلام الورى: ٢/١٩ ـ ٢٠ وكشف الغمة: ٣/١٤ ـ ١٥ وفي الخرائج والجرائح: ١/٣٣٤ ح ٢٥. عن الإرشاد في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٣٨، ح ١٢.

العطاء الذي قدمه الإمام الكاظم(عليه السلام) للأُمة الإسلامية في حقلي النظرية والتطبيق معاً ـ كما سيتضح ذلك فيما سوف نراه من تبلور كثير من القواعد الاُصولية والفقهية في مجال الاجتهاد الفقهي في هذه المدرسة العملاقة.

ثمّ إنّ انتشار التشيع واتّساع حجم الولاء والانتماء لخط أهل البيت(عليهم السلام) بالمعنى الخاص الذي يتميز عن الخط العباسي بعد جهود الصادقين(عليهما السلام) كان من نصيب عهد الإمام الكاظم(عليه السلام).

واتساع القاعدة كان يتطلب توسع نشاط القيادة في رعاية شؤون الاتباع وصيانة الجماعة الصالحة من أنواع المزالق والانحرافات والعقبات.

على أن كثرة السؤال عن قضايا الشريعة أُصولاً وفروعاً لاتساع دائرة الانتماء ولتطور الزمن مع استعداد مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) للاستجابة للمستجدات، كل هذا تطلب نشاطاً أكبر وأوسع من القيادة المتمثلة في الإمام الكاظم(عليه السلام) بالرغم من حراجة الظرف بعد استشهاد الإمام الصادق(عليه السلام) وعدم التوجيه العام حول إمامة موسىٰ الكاظم(عليه السلام) لكل أبناء الطائفة...

من هنا كان الإمام(عليه السلام) بحاجة الىٰ توظيف عدد من أصحابه الاخصّاء به لادراة شؤون الجماعة الصالحة بتقبل الوكالة عن الإمام والتحرك لجمع الأموال والحقوق التي رسم لها أهل البيت نظاماً ومنهجاً خاصاً يكفل للجماعة الصالحة استمرار وجودها وتطورها واستحكام اسسها بنحو يجعلها قادرة علىٰ مواجهة التحديات المستمرة.

وهذا هو الذي كان يخشاه الخلفاء، كلٌّ بمقدار نباهته وغوره الىٰ عمق هذا الخط .. حتى أثار هذا النشاط الواسع والخط التثقيفي المعمق حفيظة هارون الرشيد تجاه شخص الإمام الكاظم(عليه السلام) حيث كان يراه الندّ الحقيقي الذي يهدد سلطانه.

وكان هارون جرئياً في الاقدام على سجن الإمام وعزله عن قواعده. ولكنّ أصحاب الإمام(عليه السلام) كانوا على اتصال مستمر به وهو في قيد السجن.

وكان هذا التخطيط يعدّ تطوراً واضحاً في التعامل مع الأحداث واستغلالاً للظروف الحرجة أحسن استغلال لاكمال المسيرة الربانية الى حيث الاهداف المبتغاة منها.

وقد تمثل العطاء العلمي والفكري للإمام الكاظم(عليه السلام) في مجالات:

١ - الرواية

٢ - التدريس

٣ - المناظرة

٤ - التأليف

كما تنوعت مجالات الرواية والتأليف والمناظرة والتدريس الى الحقول العلمية المختلفة، كما يشهد لذلك تنوع التراث الذي وصلنا عن الإمام الكاظم(عليه السلام)، ونستطيع أن نلمس ذلك بكل وضوح من خلال مطالعة مسنده الذي يبلغ ثلاثة أجزاء فيما يقرب من ألف صفحة تقريباً.

وقد اشتمل على أنواع المعرفة العقائدية والتأريخية والتربوية والأخلاقية والاحكام الشرعية والأدعية والزيارات وما يرتبط بمجال توثيق الرجال وسائر ما يرتبط ببيان عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) واحتجاجاته مع الحكام والمخالفين أوما يرتبط بمدرسته العلمية المتمثّلة في المتخرجين من طلابه والنابهين من صحابته.

وقد بلغت بعض تأليفات أصحاب الإمام حجماً هائلاً مثل ما ألّفه هشام ابن الحكم وصفوان بن يحيى بيّاع السابري والحسن بن محمد بن سماعة

الكندي حيث بلغت الكتب المؤلفة لكل منهم ثلاثين مؤلفاً .

كما ألّف علي بن الحسن الطاطري أربعة عشر كتاباً والحسن بن محبوب السراد ستة كتب وعبد الله بن جبلة سبعة كتب وعلي بن يقطين ثلاثة كتب. وهذا هو بعض النشاط العلمي لصحابة الإمام(عليه السلام)(١) .

منهج الاستنباط والتفقه في الدين :

ونلتقي في تراث الإمام الكاظم(عليه السلام) بنصوص ترتبط بحرمة القول بغير علم وحجية الظواهر وحجية خبر الواحد ونصوص ترتبط بعلاج حالات التعارض بين الأحاديث ونصوص ترتبط بالمنع من القياس ونصوص ترتبط بأصالة البراءة ووجوب الموافقة القطعية في أطراف العلم الاجمالي والاستصحاب وعدم جواز الرجوع الى الأصل قبل الفحص عن الدليل .. وهذه النصوص تشير الى أن الإمام(عليه السلام) كان بصدد ارساء قواعد ومنهج الاستنباط والتفقه في دين الله.

وإذا لاحظنا النصوص التي تقدّم لنا مجموعة مهمة من القواعد الفقهية الى جانب غيرها من النصوص التي تتضمّن الأحكام الفقهية التي أُثرت عنه(عليه السلام) فإننا نستيقن بأن الإمام(عليه السلام) كان يخطط لتكامل المدرسة الفقهية الاجتهادية ويربّي العلماء على منهجها بحيث يضمن للرسالة خلودها ولخط أهل البيت(عليهم السلام) الدوام والحضور الفاعل في ميادين الحياة رغم كل التحديات(٢).

---

(١) راجع الفهرست للشيخ الطوسي : ٩٦، ١٠٣، ١٤٦، ١٥٥، ١٥٦، ٢٥٨.

(٢) راجع : لمحات على القواعد الفقهية في الاحاديث الكاظمية في مجموعة الآثار للمؤتمر العالمي الثالث للإمام الرضا(عليه السلام) ومسند الإمام الكاظم(عليه السلام) .

المناظرات في عصر الإمام الكاظم (عليه السلام)

من الأنشطة الفكرية الواسعة الصيت في عصر الإمام الكاظم(عليه السلام) والمؤثرة في تبلور فكر الأُمة هي المناظرة العلمية، وكان الإمام الصادق(عليه السلام) ثم الإمام الكاظم(عليه السلام) من بعده قد استثمرا هذه الظاهرة وأعدّا لها نخبة من العلماء المتخصصين في هذا الميدان تعاهدوا للدفاع عن مذهب أهل البيت(عليهم السلام) وتعريفه للناس واستطاعوا رغم المنع السلطوي والحصار الفكري ضدهم أن يروّجوا للمذهب ويحققوا انتصارات مشهودة. كما قد نشطوا من جانب في دحض الشبهات والإتهامات التي كانت تثار ضد الفكر الإسلامي أو الشيعي واستطاعوا أن يقفوا بوجه الموجات الفكرية الانحرافية والحركات الالحادية.

ومن جملة أصحاب الإمامين الصادق والكاظم(عليهما السلام) البارزين في هذا الميدان هشام بن الحكم.

كان هشام بن الحكم من أفذاذ الأُمة الإسلامية ومن كبار علمائها وفي طليعة المدافعين عن خط أهل البيت(عليهم السلام).

جاهد طويلاً لنصرة الحق خصوصاً في عصر الرشيد، الذي انعدمت فيه الحريات، وكان الذاكر لفضائل أهل البيت(عليهم السلام) عرضة للانتقام والتنكيل من قبل السلطة.

كان من أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) وبعد وفاته اتّصل بالامام الكاظم(عليه السلام).

و اختص في علم الكلام فكان من كبار المتكلمين في عصره، وشهد له

بذلك ابن النديم.

ونظراً لاختصاصه في هذا الفن فقد زين يحيى بن خالد البرمكي مجلسه به وجعله قيماً لمجالس كلامه(١).

وخاض هشام مع علماء الأديان والمذاهب مستدلاً على صحة مبدأه وبطلان أفكارهم.

ونظراً لخطورة استدلاله وقوة حجته كان الرشيد يحضر من وراء الستار فيصغي اليها ويعجب بها، ولقد خاض في عدة مناظرات مع زعيم المعتزلة الروحي عمرو بن عبيد(٢).

ووجه يحيى بن خالد البرمكي سؤالاً لهشام بحضرة الرشيد من أجل احراجه قائلاً له: أخبرني عن علي والعباس لما اختصما الى أبي بكر في الميراث أيهما كان المحق من المبطل؟

فاستولت الحيرة على هشام لأنه قال في نفسه: ان قلت علياً كان مبطلاً كفرت وان قلت العباس كان مبطلاً ضرب الرشيد عنقي.

فقال هشام: لم يكن من أحدهما خطأ وكانا جميعاً محقين، ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصة داود (عليه السلام) حيث يقول الله: ﴿**وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب**﴾، الى قوله تعالى: ﴿**خصمان بغى بعضنا على بعض**﴾ فأي الملكين كان مخطئاً؟ وأيهما كان مصيباً؟ أم تقول: انهما كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي بعينه.

فقال يحيى: لست أقول : الملكين أخطآ، بل أقول انهما أصابا وذلك انهما لم يختصما في الحقيقة ولا اختلفا في الحكم وانّما أظهرا ذلك لينتبها داود

---

(١) الفهرست لابن النديم : ٢٦٣.

(٢) الكشي : ٢٢٥ ح ٤٧٥، ٢٨٠ ح ٥٠٠، والأمالي : ١ / ٥٥، ومروج الذهب : ٣ / ١٩٤ و ٤ / ٢١ ـ ٢٣.

علىٰ الخطيئة ويعرّفاه الحكم ويوقفاه عليه.

فقال هشام: كذلك علي والعباس لم يختلفا في الحكم ولا اختصما في الحقيقة وانما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر علىٰ غلطه ويوقفاه علىٰ خطيئته ويدلّاه علىٰ ظلمه في الميراث ولم يكونا في ريب من أمرهما.

فتحيّر يحيىٰ ولم يطق جواباً، واستحسن الرشيد هذا البيان الرائع الذي تخلص به هشام[1].

وله مناظرات من هذا القبيل مع العالم النظّام[2] ومع ضرار الضبي[3] فراجع مناظراته في موسوعة بحار الأنوار في ما يختص بحياة صحابة الإمام الكاظم (عليه السلام).

وهكذا استطاع أهل البيت (عليهم السلام) من خلال خيرة أصحابهم أن يحفظوا للأمة المسلمة هويّتها ويدافعوا عن شخصيتها المعنوية واستقلال كيانها الفكري والديني.

(١) الفصول المختارة: ٤٢ ووردت المناظرة باختصار في عيون اخبار الرضا: ٢ / ١٥.

(٢) الكشي: ٢٧٤ ح ٤٩٣ في الخلود في الجنة وعدمها.

(٣) كمال الدين: ٢/٣٦٢ ـ ٣٧٠ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٩٩ ح ٧.

الفصل الثالث

اعتقالات الإمام (عليه السلام) حتى استشهاده

التخطيط لسجن الإمام (عليه السلام)

لسنا الآن بصدد التعرض الى تفاصيل أسباب سجن الإمام من قبل الرشيد. لأن سلوك الإمام وتأثيره في الأُمة كما عرفت كان كافياً لأن يدفع بالرشيد الذي لا يتبنى حكمه على أُصول مشروعة ليخطط لسجن الإمام(عليه السلام) وبالتالي اغتياله، هذا فضلاً عن كون الرشيد قد قطع على نفسه بداية تسلّمه للحكم بأن سوف يستأصل الوجود العلوي فإذا كان هذا شعاره أول الأمر مع كل العلويين فكيف بزعيم العلويين وقائدهم وسيدهم.

وينبغي أن نفرق بين الاسباب الواقعية وبين الاسباب التي كان يتذرع بها الرشيد لتبرير سلوكه العدائي مع الإمام(عليه السلام).

لقد أصبح الإمام بعد عقد من حكم الرشيد وجوداً ثقيلاً على هارون لقوة تأثيره في الأُمة واتساع الامتداد الشيعي حتى وجدناه يقدر المتطوعين في جيش الإمام بمائة ألف سيف . من هنا ضاق صدره وازعجه انتشار صيت الإمام لأن الناس غدت تتناقل مآثر الإمام وعلمه وأخلاقه.

وكانت حادثة زيارة هارون لقبر الرسول(صلى الله عليه وآله) ولقاء الإمام به بحيث أغضب الرشيد حتى قال بعدها مخاطباً الرسول(صلى الله عليه وآله): «بأبي أنت وأُمي إني

أعتذر اليك من أمر عزمت عليه، انّي أُريد أن آخذ موسىٰ بن جعفر فأحبسه لأني قد خشيت أن يلقي بين أُمتك حرباً يسفك بها دماءهم»[١].

وكان للوشاة دورٌ سلبي ضد الإمام(عليه السلام) فلقد تحرك يحيىٰ بن خالد قبل ذلك ليهيئ مقدمات الاعتقال للإمام فأغرىٰ ابن أخ الإمام محمد بن اسماعيل أو علي بن اسماعيل لغرض الوشاية بالإمام.

لنلاحظ موقف الإمام السامي ازاء تصرف ابن أخيه الشنيع بعد أن استجاب محمد لاغراء يحيىٰ والتقىٰ بالطاغية في بغداد وطعن بالإمام(عليه السلام) بما يرغب به الرشيد.

عن علي بن جعفر بن محمد(عليه السلام) قال: «جاءني محمد بن اسماعيل بن جعفر[٢] يسألني أن أسأل أبا الحسن موسى(عليه السلام) أن يأذن له في الخروج الىٰ العراق وأن يرضىٰ عنه، ويوصيه بوصية.

قال: فتنحيت حتىٰ دخل المتوضأ وخرج وهو وقت يتهيأ لي أن أخلو به وأكلّمه.

قال: فلما خرج قلت له: إنّ ابن أخيك محمد بن اسماعيل سألك أن تأذن له بالخروج الىٰ العراق، وأن توصيه، فأذن له(عليه السلام).

فلمّا رجع الىٰ مجلسه قام محمد بن اسماعيل وقال: يا عمّ أحب أن توصيني.

فقال(عليه السلام): **أوصيك أن تتقي الله في دمي.**

فقال: لعن الله من يسعىٰ في دمك ثم قال: يا عم أوصني فقال(عليه السلام): **أوصيك أن تتقي الله في دمي .**

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٧٣ ح ٣ والغيبة للطوسي: ٢٨ وعن العيون في بحار الأنوار: ٢١٣/٤٨ ح ١٣.

(٢) في بعض الروايات «محمد بن اسماعيل» وفي بعضها «علي بن اسماعيل»

قال: ثمّ ناوله أبو الحسن صرة فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها محمد، ثم ناوله أُخرىٰ فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه صرة أُخرىٰ فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده.

فقلت له في ذلك، واستكثرته. فقال: هذا ليكون أوكد لحجتي إذا قطعني ووصلته.

قال: فخرج الىٰ العراق، فلما ورد حضرة هارون أتىٰ باب هارون بثياب طريقه من قبل أن ينزل، واستأذن علىٰ هارون، وقال للحاجب: قل لأمير المؤمنين انّ محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد بالباب.

فقال الحاجب: انزل أولاً وغيّر ثياب طريقك وعُد لادخلك عليه بغير إذن، فقد نام أمير المؤمنين فيهذا الوقت. فقال: أعلم أمير المؤمنين أني حضرت ولم تأذن لي.

فدخل الحاجب وأعلم هارون قول محمد بن اسماعيل، فأمر بدخوله، فدخل وقال: يا أمير المؤمنين خليفتان فيالأرض: موسىٰ بن جعفر بالمدينة يُجبىٰ له الخراج، وأنت بالعراق يُجبىٰ لك الخراج؟! فقال: والله ؟! فقال: والله!

قال: فأمر له بمائة ألف درهم فلما قبضها وحُمل الىٰ منزله، أخذته الذبحة في جوف ليلته فمات، وحوّل من الغد المال الذي حُمل اليه»[1].

هذه هي بعض الأساليب التي كان قد خطط لها يحيىٰ بايعاز من الرشيد.

وأخيراً تم اعتقال الإمام(عليه السلام) بسرعة واخفاء وتعمية علىٰ الأمة لئلا تعرف محل سجن الإمام(عليه السلام).

(١) اختيار معرفة الرجال: ٢٦٣ ح ٤٧٨ وراجع أُصول الكافي: ٨٥/١ ح ٨، واللفظ هنا له وفي الارشاد: ٢٣٧/٢ والغيبة للطوسي: ٢٧ وفيمناقب آل أبي طالب: ٣٣٢/٤ باسم علي بن اسماعيل، وفي: ٣٥٢/٤ باسم محمد بن اسماعيل. وعن الكشي في بحار الأنوار: ٢٣٩/٤٨ ح ٤٨.

اعتقال الإمام (عليه السلام)

وبعد زيارة الرشيد لقبر الرسول(صلى الله عليه وآله) ولقائه بالإمام(عليه السلام) أمر الطاغية هارون باعتقال الإمام(عليه السلام) وفعلاً أُلقي القبض علىٰ الإمام وهو قائم يصلي عند رأس جدّه النبي(صلى الله عليه وآله) ولم يمهلوه لإتمامها.

فحمل وقيد فشكىٰ الإمام لجدّه الرسول(صلى الله عليه وآله) قائلاً: «**اليك أشكو يا رسول الله**»[1] وبعد اعتقال الإمام غدت الناس تتحدث فيما بينها باستنكار هذا الحدث المهم، فتألمت الأُمة كثيراً فلم يبق قلب الاّ وتصدّع من الأسىٰ والحزن فخافت السلطات أن يكون اعتقال الإمام محفزاً للثورة عليها.فحمل جملين، واحداً الىٰ البصرة والثاني الىٰ الكوفة لغرض الايهام علىٰ الناس، أي: لئلا يعرف محل حمل الإمام في أيّهما.

الإمام(عليه السلام) في سجن البصرة :

كان المأمور بحراسة الإمام(عليه السلام) أثناء الطريق من المدينة الىٰ البصرة حسان السروي[2] وقبل أن يصل الىٰ البصرة تشرّف بالمثول بين يديه عبدالله ابن مرحوم الازدي فدفع له الإمام كتباً وأمره بايصالها الىٰ وليّ عهده الإمام الرضا وعرّفه بأنه الإمام من بعده[3] وسارت القافلة تطوي البيداء حتىٰ وصلت البصرة، وأخذ حسّان الإمام ودفعه الىٰ عيسىٰ بن أبي جعفر فحبسه في بيت من بيوت المحبس وأقفل عليه أبواب السجن فكان لا يفتحها الاّ في حالتين:

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٨٥/١ ح ١٠.

(٢) عيون أخبار الرضا: ٨٥/١ ح ١٠.

(٣) عيون أخبار الرضا: ٢٧/١ ح ١٣.

احداهما في خروجه للطهور، والأُخرىٰ لادخال الطعام له(عليه السلام)

أمّا نشاطه(عليه السلام) في داخل السجن:

فلقد انقطع(عليه السلام) الىٰ الله في عبادته فكان يصوم النهار ويقوم الليل وكان يقضي وقته في الصلاة والسجود والدعاء، ولم يضجر ولم يسأم من السجن واعتبر التفرّغ للعبادة من أعظم النعم، وكان يقول في دعائه: **«اللهم انك تعلم اني كنت اسألك ان تفرغني لعبادتك، اللهم وقد فعلت فلك الحمد»**[1].

ولمّا شاع خبر اعتقال الإمام في البصرة وعلم الناس بمكانه هبّت اليه العلماء وغيرهم لغرض الاتّصال به من طريق خفيّ فاتصل به ياسين الزيات الضرير البصري وروىٰ عنه[2].

الايعاز لعيسىٰ باغتيال الإمام(عليه السلام)

وأوعز الرشيد الىٰ عيسىٰ يطلب منه فوراً القيام باغتيال الإمام لكن لمّا وصلت أوامر الرشيد لعيسىٰ باغتيال الإمام(عليه السلام) ثقل عليه الأمر، وجمع خواصّه وثقته فعرض عليهم الأمر فأشاروا عليه بالتحذير من ارتكاب الجريمة فاستصوب رأيهم، وكتب الىٰ الرشيد رسالة يطلب فيها اعفاءه عن ذلك.

حمل الإمام(عليه السلام) الى بغداد

واستجاب الرشيد لطلب عيسىٰ وخاف من عدم تنفيذه لطلبه أن يساهم في اطلاق سراح الإمام(عليه السلام) ويخلّي سبيله، فأمره بحمله الىٰ بغداد وفرح عيسىٰ

(١) المناقب: ٤ / ٣٤٣.

(٢) النجاشي: ٤٥٣ برقم ١٢٢٧.

بذلك، ولمّا وصل الإمام الىٰ بغداد أمر الرشيد باعتقاله عند الفضل فأخذه وحبسه في بيته.

وأشرف هارون علىٰ سجن الإمام(عليه السلام) إذ كان يتوجّس في نفسه الخوف من الإمام(عليه السلام) فلم يثق بالعيون التي وضعها عليه في سجنه فكان يراقبه ويتطلّع علىٰ شؤونه خوفاً من أن يتصل به أحداً ويكون الفضل قد رفّه عليه، فأطلّ من أعلىٰ القصر علىٰ السجن فرأىٰ ثوباً مطروحاً في مكان خاص لم يتغيّر عن موضعه.

فقال للفضل : ماذاك الثوب الذي أراه كل يوم في ذلك الموضع ؟!

فقال الفضل : يا أمير المؤمنين، وما ذاك بثوب، وانّما هو موسىٰ بن جعفر له في كل يوم سجدة بعد طلوع الشمس الىٰ وقت الزوال، فانبهر هارون وقال: أما إنّ هذا من رهبان بني هاشم !

والتفت اليه الربيع بعد ما سمع منه اعترافه بعبادة وزهد الإمام قائلاً له: يا أمير المؤمنين مالك قد ضيقت عليه في الحبس ؟!! فأجابه هارون قائلاً: هيهات ، لابد من ذلك[1].

دعاء الإمام (عليه السلام) واطلاق سراحه

ولمّا طالت مدة الحبس علىٰ الإمام(عليه السلام) وهو رهين السجون، قام في غلس الليل البهيم فجدّد طهوره وصلىٰ لربه أربع ركعات وأخذ يدعو بهذا الدعاء:

«يا سيدي: نجّني من حبس هارون، وخلّصني من يده، يا مخلّص الشجر من بين رمل وطين، ويا مخلّص النار من بين الحديد والحجر، ويا مخلص اللبن من بين فرث ودم،

(١) عيون أخبار الرضا : ١ / ٩٥، وعنه في بحار الأنوار : ٤٨ / ٢٢٠.

ويامخلّص الولد من بين مشيمة ورحم، ويامخلّص الروح من بيت الاحشاء والامعاء، خلصني من يد هارون».

واستجاب الله دعاء العبد الصالح فأنقذه من سجن الطاغية هارون وأطلقه في غلس الليل[١].

لقد مكث الإمام (عليه السلام) في سجن الفضل مدة طويلة من الزمن لم يعيّنها لنا التأريخ.

وبقي (عليه السلام) بعد إطلاق سراحه في بغداد لم يخرج منها الىٰ يثرب وكان يدخل علىٰ الرشيد في كل اسبوع مرة يوم الخميس[٢].

الاعتقال الثاني للإمام (عليه السلام)

ولمّا شاع ذكر الإمام (عليه السلام) وانتشرت فضائله ومآثره في بغداد، ضاق الرشيد من ذلك ذرعاً، وخاف منه فاعتقله ثانية فاودعه في بيت الفضل بن يحيىٰ.

ولمارأى الفضل عبادة الإمام (عليه السلام) واقباله علىٰ الله وانشغاله بذكره أكبر الإمام، ولم يضيق عليه وكان في كل يوم يبعث اليه بمائدة فاخرة من الطعام، وقد رأى (عليه السلام) من السعة في سجن الفضل ما لم يرها في بقية السجون.

ولمّا أوعز الرشيد للفضل باغتيال الإمام (عليه السلام) امتنع ولم يجبه الىٰ ذلك وخاف من الله لأنه كان ممّن يذهب الىٰ الإمامة ويدين بها، وهذا هو الذي سبب تنكيل الرشيد بالفضل واتهام البرامكة بالتشيع[٣].

---

(١) عيون أخبار الرضا: ٩٤/١ ح ١٣ وراجع المناقب: ٤ / ٣٣٠.

(٢) عيون أخبار الرضا: ١ / ٩٣ ح١٣، وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ٢١٩ ح ٢٠.

(٣) راجع مقاتل الطالبيين: ٥٠٣ - ٥٠٤.

الإمام (عليه السلام) في سجن السّندي بن شاهك

وبعد سجن الفضل أمر هارون بنقل الإمام(عليه السلام) الىٰ سجن السندي بن شاهك وأمره بالتضييق عليه فاستجاب هذا الاثيم لذلك فقابل الإمام(عليه السلام) بكل جفوة وقسوة، والإمام صابر محتسب فأمره الطاغية أن يقيّد الإمام(عليه السلام) بثلاثين رطلاً من الحديد ويقفل الباب في وجهه ولا يدعه يخرج الّا للوضوء.

وامتثل السندي لذلك فقام بإرهاق الإمام(عليه السلام) وبذل جميع جهوده للتضييق عليه. ووكّل بشاراً مولاه، وكان من أشد الناس بغضاً لآل أبي طالب ولكنه لم يلبث أن تغير حاله وآب الىٰ طريق الحق؛ وذلك لما رآه من كرامات الإمام(عليه السلام) ومعاجزه، وقام ببعض الخدمات له[1].

نشاط الإمام (عليه السلام) داخل السّجن

وقام الإمام بنشاط متميز من داخل السجن، وفيما يلي نلخّص ذلك ضمن عدة نقاط:

١ ـ عبادته داخل السّجن :

أقبل الإمام كما قلنا علىٰ عبادة الله تعالىٰ فكان يصوم النهار ويقوم الليل ولا يفتر عن ذكر الله.

وهذه اُخت الجلاّد السندي بن شاهك تحدّثنا عمّا رأته من اقبال الإمام وطاعته لله والتي أثّرت في نفسها وأصبحت فيما بعد من الصالحات فكانت تعطف علىٰ الإمام(عليه السلام) وتقوم بخدمته وإذا نظرت اليه أرسلت ما في عينيها من

---

(١) اختيار معرفة الرجال : ٤٣٨ ح ٨٢٧ .

دموع وهي تقول: خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل(١).

٢ ـ اتّصال العلماء به :

واتّصل جماعة من العلماء والرواة بالإمام(عليه السلام) من طريق خفي فانتهلوا من نمير علومه فمنهم موسىٰ بن إبراهيم المروزي، وقد سمح له السندي بذلك لأنّه كان معلّماً لولده، وقد ألّف موسى بن إبراهيم كتاباً مما سمعه من الإمام(٢).

٣ ـ إرسال الاستفتاءات إليه:

وكانت بعض الأقاليم الإسلامية التي تدين بالإمامة ترسل عنها مبعوثاً خاصاً للإمام(عليه السلام) حينما كان في سجن السندي، فتزوده بالرسائل فكان (عليه السلام) يجيبهم عنها، وممن جاءه هناك علي بن سويد، فقد اتّصل بالإمام(عليه السلام) وسلّم إليه الكتب فأجابه(عليه السلام)(٣).

٤ ـ نصب الوكلاء :

وعيّن الإمام(عليه السلام) جماعة من تلامذته وأصحابه، فجعلهم وكلاء له في بعض البلاد الإسلامية، وأرجع إليهم شيعته لأخذ الأحكام الإسلامية منهم، كما وكّلهم في قبض الحقوق الشرعية، لصرفها علىٰ الفقراء والبائسين من الشيعة وانفاقها في وجوه البر والخير، فقد نصب المفضل بن عمر وكيلاً له في قبض الحقوق وأذن له في صرفها علىٰ مستحقيها(٤).

ومن هنا بدأت ظاهرة الوكالة في تخطيط أهل البيت(عليهم السلام) لإدارة

---

(١) تاريخ بغداد : ١٣ / ٣١.

(٢) النجاشي : ٤٠٧ برقم ١٠٨٢.

(٣) حياة الإمام موسىٰ الكاظم : ٢ / ٤٩٢.

(٤) حياة الإمام موسى الكاظم : ٢ / ٤٩٣.

الجماعة الصالحة وتطوّرت فيما بعد بمرور الزمن. كما سوف نلاحظ ذلك في حياة الإمام الجواد والهادي والعسكري والإمام المهدي(عليهم السلام).

٥ ـ تعيينه لولي عهده :

ونصب الإمام(عليه السلام) من بعده ولده الإمام الرضا(عليه السلام) فجعله علماً لشيعته ومرجعاً لأُمة جدّه، فقد حدّث الحسين بن المختار، قال: لمّا كان الإمام موسى(عليه السلام) في السجن خرجت لنا ألواح من عنده وقد كتب فيها «**عهدي الىٰ أكبر ولدي**»[١].

٦ ـ وصيته (عليه السلام) :

وأوصىٰ الإمام(عليه السلام) ولده الإمام الرضا(عليه السلام) وعهد إليه بالأمر من بعده علىٰ صدقاته ونيابته عنه في شؤونه الخاصة والعامة وقد أشهد عليها جماعة من المؤمنين وقبل أن يدلي بها ويسجلها أمر باحضار الشهود.

٧ ـ صلابة الإمام وشموخه أمام ضغوط الرّشيد :

وبعد ما مكث الإمام(عليه السلام) زمناً طويلاً في سجن هارون تكلّم معه جماعة من خواصّ شيعته فطلبوا منه أن يتكلم مع بعض الشخصيات المقرّبة عند الرشيد ليتوسط في اطلاق سراحه، فامتنع(عليه السلام) وترفّع عن ذلك وقال لهم: «**حدثني أبي عن آبائه أن الله عزّ وجلّ أوحى الىٰ داود، يا داود إنه ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي دوني، وعرفت ذلك منه الّا قطعت عنه أسباب السماء، وأسخت الأرض من تحته**»[٢].

---

(١) عيون أخبار الرضا : ١ / ٣٠، ومسند الإمام الكاظم : ٢ / ١٤٧ ح٣٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ٣٦١/٢، وفاة موسىٰ بن جعفر، تحقيق عبدالأمير مهنا. ط بيروت منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

الإمام الكاظم(عليه السلام) يتحدّى كبرياء هارون

لقد تنوعت ضغوط هارون على الإمام هو في السجن، ونجد الإمام(عليه السلام) وهو في أوج المحنة يتحدّى كبرياء هارون بكل صلابة وشدّة حتى فشل هارون بكل ما أُوتي من حول وقوّة ولم يجد أمامه حلاًّ ينسجم مع نزعاته إلّا سمّ الإمام(عليه السلام) واغتياله.

وإليك جملة من ضغوط هارون على الإمام الكاظم(عليه السلام) وهو في السجن:

١ ـ إرسال جارية له

«أنفذ هارون الىٰ الإمام(عليه السلام) جارية وضّاءة بارعة في الجمال والحسن، أرسلها بيد أحد خواصّه لتتولىٰ خدمة الإمام ظاناً أنه سيفتتن بها، فلما وصلت إليه قال(عليه السلام) لمبعوث هارون:

قل لهارون: **بل أنتم بهديتكم تفرحون، لا حاجة لي في هذه ولا في أمثالها.**

فرجع الرسول ومعه الجارية وأبلغ هارون قول الإمام(عليه السلام) فالتاع غضباً وقال له:

ارجع إليه، وقل له: ليس برضاك حبسناك ولا برضاك أخدمناك واترك الجارية عنده، وانصرف.

فرجع ذلك الشخص وترك الجارية عند الإمام(عليه السلام) وأبلغه بمقالته.

وأنفذ هارون خادماً له الىٰ السجن ليتفحص عن حال الجارية، فلما انتهىٰ إليها رآها ساجدة لربها لا ترفع رأسها وهي تقول في سجودها: قدوس، قدوس.

فمضى الخادم مسرعاً فأخبره بحالها فقال هارون: سحرها والله موسى ابن جعفر، عليّ بها.

فجيئ بها إليه، وهي ترتعد قد شخصت ببصرها نحو السماء وهي تذكر الله وتمجده، فقال لها هارون:

ما شأنك ؟!

قالت: شأني الشأن البديع، إني كنت عنده واقفة وهو قائم يصلّي ليله ونهاره، فلمّا انصرف من صلاته قلت له: هل لك حاجة أُعطيكها؟

فقال الإمام(عليه السلام): **وما حاجتي إليك ؟**

قلت: إني أُدخلت عليك لحوائجك .

فقال الإمام(عليه السلام): **فما بال هؤلاء** - واشار بيده الى جهة- فالتفتُّ فاذا روضة مزهرة لا أبلغ آخرها من أولها بنظري ، ولا أولها من آخرها ، فيها مجالس مفروشة بالوشي والديباج ، وعليها وصفاء ووصايف لم أر مثل وجوههنّ حسناً، ولا مثل لباسهنّ لباساً، عليهن الحرير الأخضر، والاكاليل والدر والياقوت، وفي أيديهن الاباريق والمناديل ، ومن كل الطعام، فخررت ساجدة حتى أقامني هذا الخادم، فرأيت نفسي حيث كنت .

فقال لها هارون وقد اترعت نفسه بالحقد:

يا خبيثة لعلّك سجدت، فنمت فرأيت هذا في منامك!

قالت لا والله يا سيدي، رأيت هذا قبل سجودي ، فسجدت من أجل ذلك.

فالتفت الرشيد الى خادمه ، وأمره باعتقالها واخفاء الحادث لئلا يسمعه أحد من الناس، فأخذها الخادم، واعتقلها عنده، فأقبلت على العبادة والصلاة. فاذا سئلت عن ذلك قالت: هكذا رأيت العبد الصالح»[١].

(١) الحلبي في مناقب آل أبي طالب : ٣٢٢/٤ عن العامري في كتاب الأنوار .

٢ ـ محاولة سم الإمام (عليه السلام)

ولم يتحمل الرشيد سماعه لمناقب الإمام ومآثره وانتشارها بين الناس فعزم على قتله، فدعا برطب وأخذ رطبة من ذلك الرطب المهيأ له، فوضع فيها سماً، وقال لخادمه احمله الىٰ موسىٰ بن جعفر وقل له:

إنّ أمير المؤمنين أكل من هذا الرطب ويقسم عليك بحقه لمّا أكلته عن آخره فاني اخترته لك بيدي ولا تتركه يبقي شيئاً ولا يطعم منه أحداً.

فحمل الخادم الرطب وجاء به الىٰ الإمام(عليه السلام) وأبلغه برسالة هارون فأخذ الإمام يأكل من الرطب وكانت للرشيد كلبة عزيزة عنده، فجذبت نفسها وخرجت تجرّ بسلاسلها الذهبية حتى حاذت الإمام(عليه السلام) فبادر بالخلال الىٰ الرطبة المسمومة ورمىٰ بها الىٰ الكلبة فأكلتها فلم تلبث أن ضربت بنفسها الأرض وماتت، واستوفىٰ الإمام باقي الرطب وباء مخطط الرشيد بالفشل والخيبة فلم تنجح محاولته في اغتيال الإمام(عليه السلام) فأنقذه الله منه وصرف عنه السوء[1].

٣ ـ توسط لإطلاق سراحه

واستدعىٰ الرشيد وزيره يحيىٰ بن خالد[2] فقال له :

يا أبا علي أما ترى مانحن فيه من هذه العجائب ؟ ألا تدبّر في أمر هذا الرجل تدبيراً تريحنا من غمّه ؟

فأشار عليه بالصواب وأرشده الىٰ الخير فقال له:

(١) عيون أخبار الرضا: ١/١٠١ ـ ١٠٢ وعنه في بحار الأنوار: ٤٨/٢٢٣ ح ٢٦.

(٢) أبو الفضل البرمكي مربّي الرشيد ومؤدّبه ومعلّمه، ولد سنة ١٢٠ وتوفي في سنة ١٩٠ هـ.

الذي أراه لك يا أمير المؤمنين إن تمنن عليه وتصل رحمه فقد والله أفسد علينا قلوب شيعتنا وكان يحيي يتولّاه وهارون لا يعلم ذلك.

فاستجاب الرشيد لنصحه وقال له:

انطلق إليه وأطلق عنه الحديد وأبلغه عني السلام وقل له: يقول لك ابن عمك:

إنه قد سبق مني فيك يمين أني لا أخليك حتى تقرّ لي بالإساءة وتسألني العفو عمّا سلف منك وليس عليك فياقرارك عار ولا في مسألتك إيّاي منقصة، وهذا يحيىٰ بن خالد ثقتي و وزيري وصاحب أمري فاسأله بقدر ما أخرج من يميني. وانصرف راشداً.

ولم يخف علىٰ الإمام ذلك لأنه يريد أن يأخذ من الإمام(عليه السلام) اعترافاً بالإساءة ليتخذها وسيلة الىٰ التشهير به ومبرّراً لسجنه له.

فلما مثل يحيىٰ عنده وأخبره بمقالة الرشيد.

فقال له الإمام(عليه السلام): «**أولاً سيجري عليك أنت واسرتك من زوال النعمة علىٰ يد هارون، وحذّره من بطشه**» ثم ردّ ثانياً علىٰ مقالة الرشيد قائلاً:

«**يا أبا علي، أبلغه عنّي: يقول لك موسىٰ بن جعفر: يأتيك رسولي يوم الجمعة فيخبرك بما ترىٰ -أي بموته- وستعلم غداً إذا جاثيتك بين يدي الله من الظالم والمعتدي علىٰ صاحبه والسلام**»[1].

٤ ـ رسالة الإمام موسىٰ الكاظم(عليه السلام) لهارون:

وكتب الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) رسالة من داخل السجن لهارون جواباً

---

(١) الغيبة للطوسي: ٢٤، و ٢٥ ح ٤ و ٥ عن ابن خالد البرقي عن ابن عباد المهلّبي عن ابن يحيى البرمكي. وعن الغيبة في بحار الأنوار: ٢٣١/٤٨ باب ٤٣ ح ٣٧.

منه(عليه السلام) لمحاولات هارون الفاشلة بالاغراء أو التنكيل بالإمام بأنها لا تقدم ولا تؤخر شيئاً.

عن محمد بن اسماعيل قال: بعث موسى بن جعفر(عليه السلام) الى الرشيد من الحبس رسالة كانت: **«انه لن ينقضي عني يوم من البلاء إلّا انقضى عنك معه يوم من الرخاء، حتى نقضي جميعاً الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون»**[1].

اغتيال الإمام موسى الكاظم (عليه السلام)

لقد عانى الإمام الكاظم(عليه السلام) أقسى ألوان الخطوب والتنكيل، فتكبيل بالقيود، وتضييق شديد في التعامل معه ومنعه من الاتصال بالناس، وأذى مرهق، وبعد ما صبّ الرشيد عليه جميع أنواع الأذى أقدم على قتله بشكل لم يسبق له نظير محاولاً التخلص من مسؤولية قتله وذهب أكثر المؤرخين والمترجمين للإمام الى أن الرشيد أوعز الى السندي بن شاهك الأثيم بقتل الإمام(عليه السلام) فاستجابت نفسه الخبيثة لذلك وأقدم على تنفيذ أفضع جريمة في الإسلام فاغتال حفيد النبي العظيم(صلى الله عليه وآله).

فعمد السندي الى رطب فوضع فيه سماً فاتكاً وقدّمه للإمام فأكل منه عشر رطبات فقال له السندي «زد على ذلك» فرمقه الإمام بطرفه وقال له: **«حسبك قد بلغت ما تحتاج اليه»**.

ولمّا تناول الإمام تلك الرطبات المسمومة تسمّم بدنه وأخذ يعاني آلاماً شديدة واوجاعاً قاسية، قد حفت به الشرطة القساة ولازمه السندي بن شاهك

---

(١) تاريخ بغداد: ١٣ / ٣٢ وعنه في تذكرة الخواص: ٣١٤، وكشف الغمة: ٨/٣ عن الجنابذي عن أحمد بن اسماعيل وعنه في بحار الأنوار: ٤٨ / ١٤٨، والفصول المهمة: ٢٢٢ والبداية والنهاية: ١٠ / ١٨٣، والكامل: ٦ / ١٦٤ وسير اعلام النبلاء: ٦ / ٢٨٣.

الخبيث فكان يسمعه في كل مرة أخشن الكلام وأغلظه ومنع عنه جميع الاسعافات ليعجل له النهاية المحتومة.

وفي الاثناء استدعى السندي بعض الشخصيات والوجوه المعروفة في قاعة السجن، وكانوا ثمانين شخصاً كما حدّث بذلك بعض شيوخ العامة ـ حيث يقول: أحضرنا السندي فلما حضرنا انبرى إلينا فقال:

انظروا الى هذا الرجل هل حدث به حدث ؟ فإنّ الناس يزعمون أنّه قد فُعل به مكروه، ويكثرون من ذلك ، وهذا منزله وفراشه موسّع عليه غير مضيّق، ولم يرد به أمير المؤمنين ـ يعني هارون ـ سوءاً وإنما ينتظره أن يقدم فيناظره ، وها هو ذا موسّع عليه في جميع أموره فاسألوه.

يقول الراوي: ولم يكن لنا همّ سوى مشاهدة الإمام(عليه السلام) ومقابلته فلما دنونا منه لم نر مثله قطّ في فضله ونسكه فانبرى إلينا وقال لنا:

«أما ما ذكر من التوسعة، وما أشبه ذلك، فهو على ما ذكر، غير أني أُخبركم أيها النفر أني قد سقيت السمّ في تسع تمرات، واني اصفر غداً وبعد غد أموت».

ولمّا سمع السندي ذلك انهارت قواه واضطرب مثل السعفة التي تلعب بها الرياح العاصفة[1] فقد أفسد عليه ما رامه من الحصول على البراءة من المسؤولية في قتله.

إلى الرفيق الأعلى

وبعد أكله للرطب سرى السمّ في جميع أجزاء بدن الإمام(عليه السلام) وقد علم أنّ لقاءه بربه قد حان فاستدعى السندي. «فلمّا مثل عنده أمره أن يحضر مولى

(١) روضة الواعظين: ١/ ٢٦٠.

له ينزل عند دار العباس بن محمد في مشرعة القصب ليتولى غسله، وسأله السندي أن يأذن له في تكفينه فأبى وقال(عليه السلام):

إنّا أهل بيت مهور نسائنا وحجّ صرورتنا وأكفان موتانا من طاهر أموالنا، وعندي كفني[1].

وأُحضر له السندي مولاه، وثقل حال الإمام (عليه السلام)، وأشرف على النهاية المحتومة، فأخذ يعاني آلام الموت فاستدعى المسيب بن زهرة فقال له:

إني على ما عرّفتك من الرحيل الى الله عزّ وجلّ فإذا دعوت بشربة من ماء فشربتها ورأيتني قد انتفخت، واصفرّ لوني واحمرّ واخضرّ وتلوّن ألواناً فاخبر الطاغية بوفاتي.

قال المسيب: فلم أزل أراقب وعده حتى دعا(عليه السلام) بشربة فشربها ثم استدعاني، فقال لي:

يا مسيب ، إنّ هذا الرجس السندي بن شاهك سيزعم أنه يتولى غسلي ودفني. وهيهات هيهات أن يكون ذلك أبداً.

فإذا حملت الى المقبرة المعروفة بمقابر قريش فالحدوني بها، ولا ترفعوا قبري فوق أربعة أصابع مفرّجات، ولا تأخذوا من تربتي شيئاً لتتبركوا به فإنّ كل تربة لنا محرمة إلّا تربة جدّي الحسين بن علي فإنّ الله عز وجل جعلها شفاءاً لشيعتنا وأوليائنا.

قال المسيب: ثم رأيت شخصاً أشبه الاشخاص به جالساً الى جانبه، وكان عهدي بسيدي الرضا(عليه السلام) وهو غلام، فأردت أن أسأله، فصاح بي سيدي موسى، وقال: **أليس قد نهيتك ؟**

ثمّ إنّ ذلك الشخص قد غاب عني، فجئت الى الإمام وإذا به جثة هامدة قد فارق الحياة فأنهيت الخبر الى الرشيد بوفاته».

---

(١) مقاتل الطالبيين : ٣٣٣ وعنه في الغيبة للطوسي: ٢٦ ـ ٣١ وعنه في بحار الأنوار: ٢٣٤/٤٨ ح ٣٨.

لقد لحق الإمام بالرفيق الأعلىٰ وفاضت نفسه الزكية الىٰ بارئها فأُظلمَت الدنيا لفقده وأشرقت الآخرة بقدومه، وقد خسر الإسلام والمسلمون ألمع شخصية كانت تذبّ عن كيان الإسلام، وتنافح عن كلمة التوحيد وتطالب بحقوق المسلمين وتشجب كل اعتداء غادر عليهم.

فسلام عليك يا بن رسول الله ،يوم ولدت ، ويوم استشهدت ، ويوم تبعث حياً.

والمشهور أن وفاة الإمام (عليه السلام) كانت سنة (١٨٣ هـ) لخمس بقين من شهر رجب[١] وقيل سنة (١٨٦ هـ)[٢].

وكانت وفاته في يوم الجمعة وعمره الشريف كان يوم استشهاده خمساً وخمسين سنة[٣] أو أربعاً وخمسين سنة[٤].

التحقيق في قتل الإمام (عليه السلام)

بعد قتل الإمام (عليه السلام) حاول هارون أن يتخلّى عن مسؤولية قتله للإمام وأشاع بين الناس بأن الإمام قد مات حتف أنفه ، وأنّ هارون وأجهزته لا علاقة لهما بالحادث وذلك ضمن خطوتين :

(١) عمدة الطالب : ٨٥، والطبري: ٧٠/١٠ والكامل في التاريخ: ٥٤/٦ وتاريخ بغداد: ٣٢/٣ وتاريخ أبي الفداء: ١٧/٢، ووفيات الأعيان: ١٧٣/٢ وميزان الاعتدال: ٢٠٩/٣ وتهذيب التهذيب: ٣٤٠/١٠.

(٢) مروج الذهب : ٣ / ٣٥٥.

(٣) الفصول المهمة : ٢٥٥.

(٤) المناقب : ٤ / ٣٤٩.

الخطوة الأُولىٰ :

قام السندي بن شاهك بالخطوة الأُولىٰ من مسلسل التخلي ليمهّد الأجواء لسيده هارون في أن يتخلّىٰ فيما بعد بنفسه عن مسؤولية هذه الجريمة.

يحدثنا عمربن واقد عن تحرك السندي وكيفية تنصّله عن الحادث،قال: أرسل إليَّ السندي بن شاهك في بعض الليل وأنا ببغداد يستحضرني، فخشيت أن يكون ذلك لسوء يريده بي، فأوصيت عيالي بما احتجت إليه، وقلت: إنّا لله وانّا اليه راجعون، ثم ركبت اليه.

فلما رآني مقبلاً، قال: يا أبا حفص لعلّنا أرعبناك وأفزعناك ؟

قلت : نعم قال: فليس هناك إلا خير.

قلت : فرسول تبعثه الىٰ منزلي يخبرهم خبري. فقال نعم .

ثم قال: يا أبا حفص أتدري لم أرسلت إليك ؟ فقلت: لا.

فقال: أتعرف موسىٰ بن جعفر ؟ فقلت إي والله، اني لأعرفه، وبيني وبينه صداقة منذ دهر.

فقال: من هاهنا ببغداد يعرفه ممن يُقبل قوله ؟ فسميت ، وجاء بهم كما جاء بي ، فقال : هل تعرفون قوماً يعرفون موسىٰ بن جعفر؟

فسموا له قوماً، فجاء بهم ، فاصبحنا ونحن في الدار نيفاً وخمسين رجلاً ممن يعرفون موسىٰ بن جعفر(عليه السلام) قد صحبه.

قال : ثم قام فدخل وصلينا، فاخرج كاتبه طوماراً، فكتب أسماءنا ومنازلنا وأعمالنا وحِلالنا، ثم دخل إليه السندي.

قال : فخرج السندي فضرب يده إليَّ فقال: قم يا أبا حفص فنهضت

ونهض أصحابنا ودخلنا.

فقال لي: يا أبا حفص اكشف الثوب عن وجه موسىٰ بن جعفر فكشفته فرأيته ميتاً، فبكيت واسترجعت.

ثم قال للقوم: انظروا إليه فدنا واحد بعد واحد فنظروا إليه.

ثم قال: تشهدون كلكم أنّ هذا موسىٰ بن جعفر بن محمد؟ فقلنا: نعم، نشهد أنه موسىٰ بن جعفر بن محمد.

ثم قال: يا غلام اطرح علىٰ عورته منديلاً واكشفه، قال: ففعل.

فقال: أترون به أثراً تنكرونه؟ فقلنا: لا، ما نرىٰ شيئاً ولا نراه إلّا ميتاً.

ثم سجّل شهادتهم وانصرفوا[١].

الخطوة الثّانية:

وفي الخطوة الثانية قام هارون بنفسه ليعلن أمام حشد من وجوه الشيعة بأنه بريء من جريمة قتل الإمام.

عن محمد بن صدقة العنبري، قال: لمّا توفي أبو ابراهيم موسىٰ ابن جعفر (عليه السلام) جمع هارون الرشيد شيوخ الطالبيّة وبني العباس وسائر أهل المملكة والحكّام واحضر أبا ابراهيم موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) فقال: هذا موسىٰ ابن جعفر قد مات حتف انفه، وما كان بيني وبينه ما استغفر الله منه في أمره - يعني في قتله - فانظروا إليه.

فدخل عليه سبعون رجلاً من شيعته، فنظروا الىٰ موسىٰ بن جعفر وليس به أثر جراحة ولا خنق، وكان في رجله أثر الحناء[٢].

(١) كمال الدين: ٣٧، وعيون اخبار الرضا: ١ / ٩٧ ح٣، عنهما في بحار الأنوار: ٢٢٥/٤٨ ح ٣٧.
(٢) كمال الدين: ٣٩، وعيون الأخبار: ١ / ١٠٥ح ٨، وعنهما في بحار الأنوار: ٢٢٨/٤٨ ح ٣١.

وضع الإمام على الجسر

وحسب الأوامر المعدّة سلفاً من قبل هارون كما تدل عليها القرائن، لاجل أن يتنصل عن قتله للإمام، ليس أمام الشيعة فحسب وإنما أمام الأُمة الإسلامية كلّها، وأن تكون طريقة التخلّي من مسؤولية الحادث بأن يستبطن أن المقتول ما هو إلّا رجل عادي لا وزن له، فعلام هذا التضخيم والتهويل والتشكيك بموته ؟

فتخطّىٰ السندي بن شاهك بالأُسلوب التالي : حيث وضع الإمام علىٰ جسر الرصافة وهو ميت ينظر إليه القريب والبعيد وتتفرّج عليه المارّة قد أحاطت بجثمانه المقدّس شرطة الطاغية القاتل وكشفت وجهه للناس قاصدين بذلك انتهاك حرمته(عليه السلام) والحط من كرامته والتشهير به.

وقد أمر السندي جلاوزته أن ينادوا علىٰ جثمان الإمام بذلك النداء المؤلم الذي تذهب النفوس لهوله أسىٰ وحسرة: «هذا إمام الرافضة فاعرفوه» هذا موسىٰ بن جعفر الذي تزعم الرافضة أنه لايموت فانظروا إليه ميتاً.

متى قالت الشيعة إنّ الإمام موسىٰ لا يموت ؟

نعم قالت الواقفية بذلك والشيعة منهم براء وهارون وجلاوزته أعلم من غيرهم بهذه الحقيقة. لكنه وسيلة من وسائل التشهير وإلصاق التهم بالشيعة بسبب أن الواقفية تذهب الىٰ أن الإمام موسىٰ حي لم يمت وأنه رفع الىٰ السماء كما رفع المسيح عيسىٰ بن مريم.

بهذا الأُسلوب حاولت الاجهزة الحاكمة أن تنسب هذا الرأي للشيعة ظلماً، وتبرر الإهانة والاذلال وقد لُحق النداء المذكور بهذا المقطع : ألا من

أراد أن يرىٰ الخبيث بن الخبيث موسىٰ بن جعفر فليخرج[١].

وقد حاول هارون بهذا الأُسلوب ـ بالإضافة الىٰ احتقار الشيعة واذلالهم ـ الوقوف علىٰ العناصر الفعّالة منهم والتعرف علىٰ مدىٰ نشاطها وحماسها، عن طريق هذا الاستفزاز الصارخ والاعتداء علىٰ كرامة الإمام(عليه السلام) أمامها كأسلوب ماكر للتخلّص من خطرهم ليساقوا بعد ذلك للسجون والقبور.

يقول الشيخ باقر القرشي: وأكبر الظن أنّ الشيعة قد عرفت هذا القصد، فلذا لم تقم بأيّ عمل إيجابي ضده[٢].

مبادرة سليمان

كان سليمان بن أبي جعفر المنصور رجلاً محنّكاً وذا عقل متزن. وقد رأىٰ أنّ الاعمال التي قام بها هارون ما هي إلّا لطخة سوداء في جبين العباسيين؛ فإنّ هارون لم يكتفِ باغتيال الإمام ودسّ السمّ إليه بل ارتكب جملة من الأعمال الوحشية التي تدل على أنه لا عهد له بالشرف والنبل والمعروف والإنسانية من هنا بادر سليمان ـ حين سمع نبأ اخراج جنازة الإمام الىٰ الجسر والنداء الفظيع علىٰ جثمانه الطاهر ـ وحاول أن يتلافىٰ الموقف بالتي هي أحسن.

إنّ قصر سليمان كان مطلاً علىٰ نهر دجلة وحين سمع النداء والضوضاء ورأى بغداد قد اضطربت، قال لولده وغلمانه: ما هذا؟

قالوا: السندي بن شاهك ينادي علىٰ موسىٰ بن جعفر، وأخبروه بذلك

---

(١) كمال الدين: ٣٨، عيون الاخبار: ١ / ٩٩ / ح٥، وعنهما في بحار الأنوار: ٤٨ / ٢٢٧ ح٢٩ والفصول المهمة: ٥٤.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر: ٢ / ٥٢٣.

النداء الفظيع.

فصاح بولده قائلاً: انزلوا مع غلمانكم فخذوه من أيديهم فان مانعوكم فأضربوهم، وخرقوا ما عليهم من سواد ـ وهو لباس الشرطة والجيش ـ.

وانطلق أبناء سليمان وغلمانه الىٰ الشرطة فأخذوا جثمان الإمام منهم، ولم تبد الشرطة معهم أية معارضة، فسليمان عم الخليفة وأهم شخصية لامعة في الأُسرة العبّاسية وأمره مطاع عند الجميع ، وحمل الغلمان نعش الإمام(عليه السلام) فجاءوا به الىٰ سليمان فأمر في الوقت أن ينادىٰ فيشوارع بغداد :

ألا من أراد أن يحضر جنازة الطيب بن الطيب موسىٰ بن جعفر فليحضر[1].

وأكبر الظن أن سليمان خاف من انتفاضة شعبية أو تمرّد عسكري لأن الشيعة لم تكن قلة في ذلك العصر فقد اعتنق التشيع خلق كثير من رجال الدولة وقادة الجيش وكبار الموظفين والكتّاب لذا تدارك سليمان الموقف وقام بهذه المهمّة وأنقذ حكومة هارون من الاضطراب والثورة[2].

وخرج الناس علىٰ اختلاف طبقاتهم لتشييع جثمان الإمام وخرجت الشيعة فعبّرت عن حزنها وأساها بعد هذا التشييع الكبير.

تجهيز الإمام (عليه السلام)

وقام سليمان بتجهيز الإمام فغسّله ، وكفّنه ، ولفّه بحبرة قد كتب عليها القرآن الكريم بأسره كلّفته ألفين وخمسمائة دينار[3].

وقال المسيب بن زهرة: والله لقد رأيت القوم بعيني وهم يظنون أنهم

---

(١) كمال الدين : ٣٨، عيون الاخبار : ١ / ٩٩ / ح ٥ ، وعنهما في بحار الأنوار : ٤٨ / ٢٢٧ / ح ٢٩.

(٢) حياة الإمام موسى بن جعفر : ٢ / ٥٢٦ .

(٣) كمال الدين : ٣٨ عيون الاخبار ١ : ٩٩ ح ٥.

يغسلونه فلا تصل أيديهم إليه ويظنون أنهم يحنّطونه ويكفّنونه وأراهم أنهم لا يصنعون شيئاً، ورأيت ذلك الشخص الذي حضر وفاته ـ وهو الإمام الرضا (عليه السلام) ـ هو الذي يتولّى غسله وتحنيطه وتكفينه، وهو يظهر المعاونة لهم، وهم لا يعرفونه فلما فرغ من أمره إلتفت إليَّ فقال(عليه السلام):

«يا مسيّب مهما شككت في شيء فلا تشكنّ فيّ، فإني إمامك ومولاك وحجة الله عليك بعد أبي.

يا مسيب مثلي مثل يوسف الصديق ومثلهم مثل إخوته حين دخلوا عليه وهم له منكرون[1] وبعد انتهاء الغسل حُمل الإمام الىٰ مرقده».

تشييع الإمام(عليه السلام) ودفنه

وبعد الغسل هرعت جماهير بغداد الىٰ تشييع الإمام فكان يوماً مشهوداً لم تر مثله في أيامها فقد خرج البر والفاجر لتشييع جثمان الإمام(عليه السلام) والفوز بحمل جثمانه، وسارت المواكب وهي تجوب شوارع بغداد وتردد أهازيج الحزن واللوعة، متجهة نحو باب التبن يتقدمهم سليمان حافياً حاسراً متسلّباً[2] مشقوق الجيب الىٰ مقابر قريش، وحفر له قبر فيها وأنزله سليمان بن أبي جعفر.

وبعد الفراغ من الدفن أقبلت الناس تعزّيه بالمصاب الأليم[3].

(١) عيون الاخبار : ١ / ١٠٠ ح٦ . وعنه في بحار الأنوار : ٤٨ / ٢٢٢ ح٢٩ .

(٢) أي متسلّباً من الملابس الرسمية الفاخرة لابساً لباس الحداد، كما في اللغة.

(٣) كمال الدين : ٣٨، عيون الاخبار : ١ / ٩٩ / ح٥ ، وعنهما في وبحار الأنوار : ٤٨ / ٢٢٧ ح ٢٩.

الفصل الرابع

تراث الإمام الكاظم (عليه السلام)

لقد ورث الإمام موسى الكاظم(عليه السلام) مدرسة أبيه الصادق(عليه السلام) وحظيت منه بالتوجيه والرعاية الشاملة لتلامذته وأصحابه بالرغم من قساوة الظروف وتغيّرها خلال ثلاثة عقود ونصف من العمل العلمي الدؤوب وتربية مستمرة للنابهين من صحابته وطلاب المعرفة من أتباعه وشيعته.

وقد أثرت عن الإمام الكاظم(عليه السلام) عدة مجموعات روائية مثل : مسائل علي بن جعفر ، والاشعثيات وتصدّى المعنيون بتراث أهل البيت (عليهم السلام) بجمع التراث المأثور عن أهل البيت(عليهم السلام) وتنظيمه وتبويبه من مختلف المصادر وتسميته بالمسند. وهذا عمل يشكر عليه عامله لأنه يوفر للباحثين الفرصة الكافية للغور في هذا التراث ودراسته دراسة معمّقة بالأرقام.

وفيما يخصّ الإمام موسى(عليه السلام) نلاحظ آخر ما جمع من كلامه وما يرتبط به من نصوص قد بلغ ثلاث مجلّدات يناهز مجموعها الألف صفحة مبوّبة حسب تبويب الموسوعات الحديثية مع فارق أو أكثر. فالمقدمة تشتمل على مجموعة من النصوص التي تخص نشأة الإمام وحياته وسيرته. ثم يقتسم تراثه الحديثي الى أبواب العقائد والأخلاق والأحكام والسيرة والتاريخ والرجال.

وفيما يخصّ مسند الإمام الكاظم (عليه السلام) إذا مررنا عليه مروراً عابراً وسريعاً أيضاً كفى ذلك لنقف على عظمة الدور الفكري والعطاء العلمي الذي قدّمه هذا الإمام العظيم الى الأُمة الإسلامية بشكل عام والى الجماعة الصالحة وطلّاب المعرفة المؤمنين بخط أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص، لا سيما إذا لاحظنا قساوة الظروف السياسية والاجتماعية التي مرّ بها الإمام موسى (عليه السلام) وأصحابه وشيعته خلال ثلاثة عقود ونصف تقريباً.

لقد ترجم هذا المسند (٦٣٨) شخصاً من رواة الإمام الكاظم (عليه السلام) وهو رقم كبير جداً بالنسبة للمدة الزمنية التي عرفناها والظروف التي وقفنا عليها. وقد اشتمل الفهرس على عدد نصوص كل باب من أبواب المعرفة . وتتراوح هذه النصوص بين نصوص مأثورة بواسطة الإمام الكاظم (عليه السلام) عن آبائه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وهي تكشف عن مدى اهتمامه بسيرة وحديث جدّه (صلى الله عليه وآله) وبين نصوص لا يسندها الى أحد مما يمكن أن نعتبرها من تراثه الخاص كمانلاحظ ذلك فيالرسالة الكبيرة التي أثرت عنه حول العقل ولعلها الرسالة الوحيدة الجامعة لما يخصّ العقل من شؤون فيالكتاب والسنة وهي لوحدها تراث جامع وأثر خالد يتضمّن المنهج المعرفيالقرآني والحديثي لأهل البيت (عليهم السلام) كما سوف نراها بنصّها الكامل في ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والجزء الأول من هذا المسند قد اشتمل على الأبواب التالية:
العقل والعلم في (١٠أبواب) ، التوحيد في (١٤باباً) ، تاريخ الأنبياء والأئمة في (١٤ باباً)، والنبوة والإمامة في (٢٢ باباً) والتعريف بالصحابة في (٤١ باباً) والتعريف برواة الإمام الكاظم في (٦٣٨ باباً) وأبواب الإيمان والكفر في (٤٢ باباً) والأخلاق والعِشرة في (١٥٢ باباً) .

كما تضمن الجزء الثاني: كتاب القرآن بأبوابه الـ (٥١ باباً) وكتاب الدعاء في (٥١ باباً) والاحتجاجات في (٨ أبواب) ومعظم كتب الفقه، فكتاب الطهارة في (٧٣ باباً) وكتاب الصلاة في (٤١ باباً) وكتاب الصوم في (٢٥ باباً) وكتاب الزكاة في (٢٨ باباً) وكتاب المعيشة في (٥٩ باباً) وكتاب السفر في (٨ أبواب) وكتاب الحج في (٦٨ باباً) وكتاب الزيارة في (٧ أبواب) وكتاب الجهاد في (٥ أبواب) وكتاب النكاح في (٤٠ باباً) وكتاب الطلاق في (٣٠ باباً).

وتضمن الجزء الثالث من المسند: كتاب الأولاد في (١٢ باباً) وكتاب التجمّل والزينة في (٤٣ باباً) وكتاب الرواتب في (١٢ باباً) وكتاب الأطعمة في (٦٨ باباً) وكتاب الاشربة في (١٣ باباً) وكتاب العتق في (١٢ باباً) وكتاب الايمان والنذور في (٩ أبواب) وكتاب الحدود في (١٨ باباً) وكتاب الديات في (١٦ باباً) وكتاب الوصية في (١٥ باباً) وكتاب الارث في (١١ باباً) وكتاب الجنائز في (٢٩ باباً) وكتاب الحشر والمعاد والآداب والسنن.

إنّ هذا التنوع في أبواب المعرفة التي أُثرت عنه لدليل آخر على الجانب الموسوعي في هذا التراث بالإضافة الى وضوح التكامل في المسيرة العلمية التي بدأها أهل البيت (عليهم السلام) وسهروا على إرساء قواعدها واشادة أُصولها ومعالمها والتخطيط لاثمارها والحرص على إنجاز دورها التغييري في المجتمع الإسلامي عامة وفي الجماعة الصالحة بشكل خاص.

وإليك بعض النصوص المختارة من هذا التراث العظيم في الأبواب التالية:

أصول العلم ومراتب المعرفة :

١ ـ قال الإمام موسىٰ بن جعفر (عليه السلام) : «وجدت علم الناس في أربع، أولها: أن تعرف ربك، والثانية : أن تعرف ما صنع بك، والثالثة : أن تعرف ما أراد منك، والرابعة : أن تعرف ما يخرجك من دينك»(١).

٢ ـ وقال(عليه السلام): «أولى العلم بك ما لا يصلح لك العمل إلّا به وأوجب العمل عليك ما أنت مسؤول عن العمل به، وألزم العلم لك ما دلّك علىٰ صلاح قلبك؛ وأظهر لك فساده، وأحمد العلم عاقبة ما زاد في علمك العاجل، فلا تشتغلنّ بعلم مالا يضرّك جهله، ولا تغفلنّ عن علم ما يزيد في جهلك تركه»(٢).

٣ ـ وقال(عليه السلام): «فقيه واحد ينقذ يتيماً من أيتامنا المنقطعين عنّا وعن مشاهدتنا بتعليم ما هو محتاج إليه أشد علىٰ إبليس من ألف عابد...»(٣).

مصادر المعرفة ومنهجها :

١ ـ عن سماعة، عن أبي الحسن موسى(عليه السلام)، قال: قلت له: أكلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيه (صلى الله عليه وآله) ؟ أو تقولون فيه؟ قال: «بل كلّ شيء في كتاب الله وسنّة نبيه(صلى الله عليه وآله)»(٤).

٢ ـ عن سماعة، عن العبد الصالح قال: سألته فقلت: إنّ أناساً من أصحابنا قد لقوا أباك وجدّك وسمعوا منهما الحديث فربماكان شيء يبتلي بـه بـعض

(١) كشف الغمة: ٢/٢٥٥.

(٢) بحار الأنوار : ٧٥ / ٣٣٦.

(٣) الاحتجاج : ١ / ٨.

(٤) الكافي : ١ / ٦٢.

أصحابنا وليس في ذلك عندهم شيء يفتيه وعندهم مايشبهه، يسعهم أن يأخذوا بالقياس ؟ فقال: «لا إنما هلك من كان قبلكم بالقياس»، فقلت له : لم لا يقبل ذلك ؟ فقال: «لأنه ليس من شيء إلّا وجاء في الكتاب والسنة»[١].

٣ ـ عن موسى بن بكر ، قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) : «من افتى الناس بغير علمٍ لعنته ملائكة الأرض وملائكة السماء»[٢].

٤ ـ عن عثمان بن عيسى، قال: سألت أبا الحسن موسى (عليه السلام) عن القياس فقال: «مالكم والقياس إنّ الله لا يسأل كيف أحلّ وكيف حرّم»[٣].

٥ ـ عن يونس بن عبدالرحمن، قال: قلت لابي الحسن الأول(عليه السلام) : بما أُوحّد الله ؟ فقال: «يا يونس لا تكوننّ مبتدعاً، من نظر برأيه هلك، ومن ترك أهل بيت نبيّه (صلى الله عليه وآله) ضلّ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيه كفر»[٤].

٦ ـ إنّ من غرر أحاديث الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) في مجال العقل كمصدر معرفي أساس هو وصيته الثمينة لهشام بن الحكم والتي سُمّيت برسالة العقل عند الإمام(عليه السلام)، وإليك نصّ الرسالة:

قال(عليه السلام): «إنّ الله تبارك وتعالى بشّر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿... فبشّر عبادِ* الذين يستمعونَ القولَ فيتّبعونَ أحسنهُ أولئكَ الذينَ هداهمُ الله وأولئكَ همُ أُولوا الألبابِ﴾[٥].

يا هشام بن الحكم إنّ الله عزّوجلّ أكمل للناس الحجج بالعقول وأفضى إليهم بالبيان

(١) الاختصاص : ٢٨١.
(٢) المحاسن : ١ / ٢٠٥ ، وبحار الأنوار : ٢ / ١٢٢ .
(٣) المحاسن: ٢١٤/١ .
(٤) أصول الكافي: ١ / ٥٦ .
(٥) الزمر (٣٩): ١٧ ـ ١٨.

ودلّهم على ربوبيته بالأدلاء، فقال: ﴿ وإلهكم إله واحدٌ لا إلهَ إلّا هوَ الرحمنُ الرحيمُ * انّ في خلقِ السمواتِ والارضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ ـ الى قوله ـ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ ﴾(١).

يا هشام قد جعل الله عزّ وجلّ ذلك دليلاً على معرفته بأنّ لهم مدبّراً فقال: ﴿ وسخّرَ لكمُ الليل والنهارَ والشمسَ والقمرَ والنجومُ مسخّراتٌ بأمره إنّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ ﴾(٢). وقال : ﴿ حمَ * والكتاب المبين * إنّا جعلناهُ قرآناً عربياً لعلكم تعقلونَ ﴾(٣) وقال : ﴿ ومنْ آياتهِ يريكمُ البرقَ خوفاً وطمعاً وينزّل من السماءِ ماءً فيُحيي بهِ الارضَ بعدَ موتها إنَّ في ذلكَ لآياتٍ لقومٍ يعقلونَ ﴾(٤).

يا هشام ثمّ وعظ أهل العقل ورغّبهم في الآخرة فقال: ﴿ وما الحياةُ الدنيا إلّا لعبٌ ولهوٌ وللدارُ الاخرةُ خيرٌ للذينَ يتقونَ أفلا تعقلونَ ﴾(٥). وقال : ﴿ وما أوتيتُم من شيءٍ فمتاعُ الحياةِ الدنيا وزينتها وما عندَ الله خيرٌ وأبقى أفلا تعقلونَ ﴾(٦).

يا هشام ثمّ خوّف الذين لا يعقلون عذابه فقال عزّ وجلّ: ﴿ ثمّ دمّرنا الآخرينَ وانكم لتمرونَ عليهم مصبحينَ * وبالليلِ أفلا تعقلونَ ﴾(٧).

يا هشام ثمّ بيّن أن العقل مع العلم فقال : ﴿ وتلكَ الامثالُ نضربها للناسِ وما يعقلها إلّا العالمونَ ﴾(٨).

يا هشام ثمّ ذمّ الذين لا يعقلون فقال : ﴿ وإذا قيلَ لهمُ اتّبعوا ما أنزلَ الله قالوا بلْ نتّبعُ

(١) البقرة (٢): ١٦٣ ـ ١٦٤.
(٢) النحل (١٦): ١٢.
(٣) الزخرف (٤٣): ١ ـ ٣.
(٤) الروم (٣٠): ٢٤.
(٥) الأنعام (٦): ٣٢.
(٦) القصص (٢٨): ٦٠.
(٧) الصافات (٣٧): ١٣٧ ـ ١٣٨.
(٨) العنكبوت (٢٩): ٤٣.

ما ألفينا عليهِ آباءنا أولو كانَ آباؤهم لا يعقلونَ شيئاً ولا يهتدونَ﴾(١). وقال: ﴿إنَّ شرَّ الدوابِّ عندَ اللهِ الصمُّ البكمُ الذينَ لا يعقلونَ﴾(٢). وقال: ﴿ولئن سألتهم من خلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولنَّ اللهُ قلِ الحمدُ للهِ بلْ أكثرهمْ لا يعلمون﴾(٣).

ثمّ ذم الكثرة فقال: ﴿وإن تُطع أكثرَ من في الارض يُضلّوكَ عن سبيلِ اللهِ﴾(٤) وقال: ﴿ولكنَّ أكثرهم لا يعلمونَ﴾(٥). «وأكثرهم لا يشعرون»(٦).

يا هشام ثمّ مدح القلة فقال: ﴿وقليلٌ منْ عباديَ الشّكور﴾(٧) وقال: ﴿وقليلٌ ماهُمْ﴾(٨) وقال: ﴿وما آمنَ معهُ إلّا قليلٌ﴾(٩).

يا هشام ثمّ ذكر أولي الالباب بأحسن الذكر وحلّاهم بأحسن الحلية، فقال: ﴿يُوتي الحكمةَ من يشاءُ ومنْ يُؤتَ الحكمةَ فقد أوتيَ خيراً كثيراً وما يذّكرُ إلّا أُولوا الالبابِ﴾(١٠).

يا هشام إنّ اللهَ يقول: ﴿انّ في ذلكَ لذكرى لمن كانَ لهُ قلبٌ﴾(١١) يعني العقل. وقال: ﴿ولقد آتينا لُقمانَ الحكمةَ﴾(١٢) قال: الفهم والعقلَ.

يا هشام إنّ لقمان، قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقلَ الناس». يا بنيّ إنّ الدنيا بحرٌ عميقٌ قد غرق فيه عالم كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وحشوها الإيمان وشراعها التوكل

---

(١) البقرة (٢): ١٧٠.
(٢) الأنفال (٨): ٢٢.
(٣) لقمان (٣١): ٢٥.
(٤) الأنعام (٦): ١١٦.
(٥) الأنعام (٦): ٣٧.
(٦) مضمون مأخوذ من آي القرآن.
(٧) سبأ (٣٤): ١٣.
(٨) ص (٣٨): ٢٤.
(٩) هود (١١): ٤٠.
(١٠) البقرة (٢): ٢٦٩.
(١١) ق (٥٠): ٣٧.
(١٢) لقمان (٣١): ١١.

وقيمتها العقل. ودليلها العلم وسكّانها الصبر.

يا هشام لكل شيء دليل ودليل العاقل التفكر ودليل التفكر الصمت . ولكل شيءٍ مطيّة ومطيّة العاقل التواضع وكفى بك جهلاً، أن تركب ما نُهيت عنهُ.

يا هشام لو كان في يدك جوزة وقال الناس (في يدك) لؤلؤة ما كان ينفعك وأنت تعلم أنها جوزة. ولو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس: انّها جوزة ما ضرّك وأنت تعلم أنها لؤلؤة.

يا هشام ما بعث الله أنبياءه ورسله الى عباده إلاّ ليعقلوا عن الله، فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة لله. وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً. وأعقلهم أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة.

يا هشام ما من عبدٍ إلّا وملك آخذ بناصيته، فلا يتواضع إلّا رفعه الله ولا يتعاظم إلّا وضعه الله.

يا هشام إنّ لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأمّا الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة . وأمّا الباطنة فالعقول.

ياهشام إنّ العاقل، الذي لا يشغل الحلال شكره ولا يغلب الحرام صبره.

يا هشام من سلّط ثلاثاً على ثلاثٍ فكأنّما أعانَ هواه على هدم عقله: من أظلم نور فكره بطول أمله، ومحا طرائف حكمته بفضول كلامه. وأطفأ نور عبرته بشهوات نفسه، فكأنما أعان هواه على هدم عقله. ومن هدم عقله أفسد عليه دينه ودنياه.

يا هشام كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت عقلك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك.

يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوّة العقل، فمن عقل عن الله تبارك وتعالى اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها. ورغب فيما عند ربه ـ وكان الله ـ آنسه في الوحشة وصاحبه في

الوحدة. وغناه في العيلة ومعزه في غير عشيرة[1].

يا هشام نصب الخلق لطاعة الله[2]. ولا نجاة إلّا بالطاعة. والطاعة بالعلم والعلم بالتعلم. والتعلم بالعقل يعتقد[3] ولا علم إلّا من عالمٍ رباني ومعرفة العالم بالعقل.

يا هشام قليل العمل من العاقل مقبول مضاعف. وكثير العمل من أهلِ الهوى والجهل مردود.

يا هشام إنّ العاقل رضي بالدّون من الدنيا مع الحكمة. ولم يرض بالدّون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم.

يا هشام إن كان يغنيك ما يكفيك فأدنى ما في الدنيا يكفيك. وإن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس شيء من الدنيا يغنيك.

يا هشام إنّ العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب. وترك الدنيا من الفضل وترك الذنوب من الفرض.

يا هشام إنّ العقلاء زهدوا في الدنيا ورغبوا في الآخرة لأنّهم علموا أنّ الدنيا طالبة ومطلوبة والآخرة طالبة ومطلوبة، فمن طلب الآخرة طلبته الدنيا حتّى يستوفي منها رزقه. ومن طلب الدنيا طلبته الآخرة فيأتيه الموت فيفسد عليه دنياه وآخرته.

يا هشام من أراد الغنى بلا مالٍ وراحة القلب من الحسد والسلامة في الدين فليتضرّع الى الله في مسألته بأن يُكمل عقله، فمن عقل قنع بما يكفيه ومن قنع بما يكفيه استغنى ومن لم يقنع بما يكفيه لم يُدرك الغنى أبداً.

يا هشام إنّ الله جلّ وعزّ حكى عن قومٍ صالحين، أنّهم قالوا: ﴿ربّنا لا تُزغ قلوبنا بعدَ

---

(١) العيلة: الفاقة.

(٢) نصب ـ من باب ضرب على صيغة المجهول ـ بمعنى وضع أو من باب التفعيل من نصب الامير فلاناً ولاّه منصباً.

(٣) اعتقد الشيء: تقبض حله.

اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمةً انّك أنت الوهاب﴾[١] حين علموا أنّ القلوب تزيغ وتعود الى عماها ورداها انّه لم يخف الله من لم يعقل عن الله ومن لم يعقل عن الله لم يعقد قلبه على معرفة ثابتةٍ يُبصرها ويجد حقيقتها في قلبه. ولا يكون أحدٌ كذلك إلّا من كان قوله لفعله مصدِّقاً، وسرّه لعلانيته موافقاً، لانّ الله لم يدلّ على الباطن الخفي من العقل إلّا بظاهر منه وناطق عنه.

يا هشام كان أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقول: ما من شيءٍ عبد الله به أفضل من العقل وما تمّ عقل امرءٍ حتى يكون فيه خصال شتّى، الكفر والشر منه مأمونان[٢]. والرشد والخير منه مأمولان[٣]. وفضل ماله مبذول. وفضل قوله مكفوف. نصيبه من الدنيا القوت. ولا يشبع من العلم دهره. الذلّ أحب إليه مع الله من العزّ مع غيره. والتّواضع أحبّ إليه من الشرف. يستكثر قليل المعروف من غيره ويستقل كثير المعروف من نفسه. ويرى الناس كلهم خيراً منه وأنّه شرّهم في نفسه وهو تمام الأمر[٤].

يا هشام من صدق لسانه زكى عمله. ومن حسنت نيته زيد في رزقه. ومن حسن برّه باخوانه وأهله مدّ في عمره.

يا هشام لا تمنحوا الجهّال الحكمة فتظلموها[٥]، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم.

يا هشام كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا.

يا هشام لا دين لمن لا مروّة له. ولا مُرُوّة لمن لا عقل له. وأنّ أعظم الناس قدراً الذي

---

(١) آل عمران (٣): ٧.

(٢) الكفر في الاعتقاد والشر في القول والعمل والكل ينشأ من الجهل.

(٣) الرشد في الاعتقاد والخير في القول والكل ناشئ من العقل.

(٤) أي ملاك الامر وتمامه في أن يكون الانسان كاملاً تام العقل هو كونه متصفاً بمجموعة هذه الخصال.

(٥) لا تمنحوا الجهال أي لا تعطوهم ولا تعلموهم. والمنحة: العطاء.

لا يرىٰ الدنيا لنفسه خطراً[١]، أما إنّ أبدانكم ليس لها ثمن إلّا الجنة، فلا تبيعوها بغيرها...[٢]

يا هشام انّ أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يقول: «لا يجلس في صدر المجلس إلّا رجل فيه ثلاث خصال: يجيب اذا سئل وينطق اذا عجز القوم عن الكلام، ويشير بالرأي الذي فيه صلاح أهله، فمن لم يكن فيه شيء منهنّ فجلس فهو أحمق».

وقال الحسن بن علي (عليهما السلام): «اذا طلبتم الحوائج فاطلبوها من أهلها» قيل: يا ابن رسول الله ومن أهلها؟ قال: «الذين قصّ الله في كتابه وذكرهم، فقال: ﴿إنّما يتذكّرُ اولوا الألباب﴾[٣]. قال: هم أولوا العقول».

وقال علي بن الحسين (عليهما السلام): «مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح وأدب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة العدل تمام العز واستثمار المال[٤] تمام المروة. وارشاد المستشير قضاء لحق النعمة. وكف الأذىٰ من كمال العقل وفيه راحة البدن عاجلاً وآجلاً».

يا هشام انّ العاقل لا يحدّث من يخاف تكذيبه ولا يسأل من يخاف منعه. ولا يعد مالا يقدر عليه. ولا يرجو ما يعنّف برجائه[٥] ولا يتقدم على ما يخاف العجز عنه.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يوصي أصحابه يقول: «أوصيكم بالخشية من الله

---

(١) معادلاً وموازياً في الخطر أي القدر والرفعة.

(٢) ههنا كلام نقله صاحب الوافي عن استاذه ـ رحمهما الله ـ قال: وذلك لأن الابدان في التناقص يوماً فيوماً لتوجه النفس منها الى عالم آخر فان كانت النفس سعيدة كانت غاية سعيه في هذه الدنيا وانقطاع حياتها البدنيّة الى الله سبحانه والى نعيم الجنة لكونه على منهج الهداية والاستقامة فكأنه باع بدنه بثمن الجنة معاملة مع الله تعالى ولهذا خلقه الله عز وجلّ وان كانت شقيّة كانت غاية سعيه وانقطاع أجله وعمره الى مقارنة الشيطان وعذاب النيران لكونه على طريق الضلالة فكأنه باع بدنه بثمن الشهوات الفانية واللذات الحيوانية التي ستصير نيراناً محرقة مؤلمة وهي اليوم كامنة مستورة عن حواس أهل الدنيا وستبرز يوم القيامة ﴿وبرزت الجحيم لمن يرى﴾ معاملة مع الشيطان وخسر هنالك المبطلون.

(٣) الزمر (٣٩): ١٢.

(٤) اي استنماؤه بالكسب والتجارة.

(٥) التعنيف: اللوم والتوبيخ والتقريع. والمراد انّ العاقل لا يرجو فوق مايستحقه وما لم يستعدّه.

في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والاكتساب في الفقر والغنى، وأن تصلوا من قطعكم، وتعفوا عمّن ظلمكم، وتعطفوا على من حرمكم وليكن نظركم عبراً. وصمتكم فكراً. وقولكم ذكراً وطبيعتكم السخاء، فإنه لايدخل الجنة بخيل ولايدخل النار سخي».

يا هشام رحم الله من استحيا من الله حق الحياء، فحفظ الرأس وما حوى[١] والبطن وما وعى، وذكر الموت والبلى، وعلم أنّ الجنة محفوفة بالمكاره[٢]. والنار محفوفة بالشهوات.

يا هشام من كف نفسه عن أعراض الناس أقاله الله عثرته يوم القيامة. ومن كف غضبه عن الناس كفّ الله عنه غضبه يوم القيامة.

يا هشام انّ العاقل لا يكذب وان كان فيه هواه.

يا هشام وجد في ذؤابة[٣] سيف رسول الله (صلى الله عليه وآله) : انّ أعتى الناس على الله من ضرب غير ضاربه وقتل غير قاتله. ومن تولّى غير مواليه فهو كافر بما أنزل الله على نبيّه محمد (صلى الله عليه وآله) ومن أحدث حدثاً[٤]، أو آوى محدثاً لم يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

يا هشام أفضل ما يتقرب به العبد الى الله بعد المعرفة به الصلاة، وبرّ الوالدين، وترك

---

(١) (وما حوى) أي ما حواه الرأس من الاوهام والافكار بأن يحفظها ولا يبديها ويمكن أن يكون المراد ما حواه الرأس من العين والاذن وسائر المشاعر بأن يحفظها عما يحرم عليه. وما وعى أي ما جمعه من الطعام والشراب بأن لا يكون من حرام. والبلى ـ بالكسر ـ : الاندراس والاضمحلال.

(٢) هذا الكلام مشهور معروف بين الفريقين متواتر منقول عن النبي وأهل بيته صلوات الله عليهم. والمحفوفة: المحيطة. والمكاره: جمع مكرهة ـبفتح الراء وضمهاـ: مايكرهه الانسان ويشق عليه. والمراد أن الجنة محفوفة بما يكره النفس من الاقوال والافعال فتعمل بها، فمن عمل بها دخل الجنة، والنار محفوفة بلذات النفس وشهواتها، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار.

(٣) الذؤابة من كل شيء: أعلاه. ومن السيف: علاقته. ومن السوط: طرفه. ومن الشعر: ناصيته. وعتا يعتو عتواً: وعتى يعتى عتياً بمعنى واحد اي استكبر وتجاوز الحدّ. والعتو: الطغيان والتجاوز عن الحدود والتجبر.

(٤) الحدث : الأمر الحادث الذي ليس بمعتاد ولا معروف في السنّة.

الحسد والعجب والفخر.

يا هشام أصلح أيّامك الذي هو أمامك، فانظر أي يوم هو وأعدّ له الجواب، فانك موقوف ومسؤول. وخذ موعظتك من الدهر وأهله، فانّ الدهر طويلة قصيرة فاعمل كأنك ترى ثواب عملك لتكون أطمع في ذلك. واعقل عن الله وانظر في تصرف الدّهر وأحواله، فانّ ما هو آت من الدنيا، كما ولّى منها، فاعتبر بها.

وقال علي بن الحسين (عليه السلام) : « انّ جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الارض ومغاربها بحرها وبرّها وسهلها وجبلها عند وليّ من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كفيء الظلال ـ ثم قال (عليه السلام): أَوَلا حرّ يدع (هذه) اللمّاظة لاهلها[1] ـ يعني الدنيا ـ فليس لانفسكم ثمن إلّا الجنّة فلا تبيعوها بغيرها، فإنّه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس » .

يا هشام انّ كل الناس يبصر النجوم ولكن لا يهتدي بها إلّا من يعرف مجاريها ومنازلها. وكذلك أنتم تدرسون الحكمة ولكن لا يهتدي بها منكم إلّا من عمل بها.

يا هشام انّ المسيح (عليه السلام) قال للحواريين : « يا عبيد السوء يهولكم طول النّخلة »[2] وتذكرون شوكها ومؤونة مراقيها وتنسون طيب ثمرها ومرافقها[3]. كذلك تذكرون مؤونة عمل الآخرة فيطول عليكم أمده[4] وتنسون ما تفضون اليه من نعيمها ونورها وثمرها. يا عبيد السوء نقّوا القمح وطيّبوه وأدقّوا طحنه تجدوا طعمه ويهنئكم أكله، كذلك فأخلصوا الايمان وأكملوه تجدوا حلاوته وينفعكم غبّه[5].

---

(١) اللمّاظة ـ بالضم ـ: بقية الطعام في الفم، وأيضاً بقية الشيء القليل. والمراد بها هنا الدنيا.

(٢) يهولكم أي يفزعكم وعظم عليكم.

(٣) مؤونة المراقي : شدة الارتقاء، والمرافق: المنافع وهي جمع مرفق ـ بالفتح ـ: ما انتفع به.

(٤) الامد : الغاية ومنتهى الشيء، يقال: طال عليهم الامد أي الأجل. والنور ـ بالفتح ـ: الزهرة.

(٥) الغبّ ـ بالكسر ـ: العاقبة، وأيضا بمعنى البعد.

بحقّ أقول لكم: لو وجدتم سراجاً يتوقد بالقطران[1] في ليلةٍ مظلمةٍ لاستضأتم به ولم يمنعكم منه ريح نتنه. كذلك ينبغي لكم أن تأخذوا الحكمة ممن وجدتموها معه ولا يمنعكم منه سوء رغبته فيها.

يا عبيد الدنيا بحق أقول لكم: لا تدركون شرف الآخرة إلّا بترك ما تحبون، فلا تنظروا بالتوبة غداً، فانّ دون غدٍ يوماً وليلةً وقضاء الله فيهما[2] يغدوا ويروح.

بحقّ أقول لكم: انّ من ليس عليه دين من الناس أروح وأقل همّاً ممّن عليه الدين وان أحسن القضاء، وكذلك من لم يعمل الخطيئة أروح هماً ممن عمل الخطيئة وان أخلص التوبة وأناب. وانّ صغار الذنوب ومحقراتها من مكائد ابليس، يحقّرها لكم ويصغّرها في أعينكم فتجتمع وتكثر فتحيط بكم.

بحقّ أقول لكم: انّ الناس في الحكمة رجلان: فرجلٌ أتقنها بقوله وصدّقها بفعله. ورجل أتقنها بقوله وضيّعها بسوء فعله، فشتان بينهما، فطوبىٰ للعلماء بالفعل وويل للعلماء بالقول.

يا عبيد السوء اتّخذوا مساجد ربّكم سجوناً لاجسادكم وجباهكم. واجعلوا قلوبكم بيوتاً للتقوىٰ ولا تجعلوا قلوبكم مأوىً للشهوات.

انّ أجزعكم عند البلاء لاشدّكم حبّاً للدنيا. وانّ أصبركم على البلاء لازهدكم في الدنيا.

يا عبيد السوء لا تكونوا شبيهاً بالحداء الخاطفة[3] ولا بالثعالب الخادعة ولا بالذئاب

---

(١) القطران ـ بفتح القاف وسكون الطاء وكسرها أو بكسر القاف وسكون الطاء ـ: سيّال دهني شبيه النفط، يتخذ بعض الاشجار كالصنوبر والارز فيهنأ به الابل الجربى ويسرع فيه اشعال النار. وقوله: (نتنه) أي خبث رائحته.

(٢) كناية عن الموت فإنه يأتي في الغداة والرواح.

(٣) الحداء ـ بالكسر ـ: جمع حدأة ـ كعنبه ـ: طائر من الجوارح وهو نوع من الغراب يخطف الاشياء والخاطفة من خطف الشيء يخطف كعلم يعلم ـ: استلبه بسرعة والغادرة: الخائنة والعاتي: الجبّار.

الغادرة ولا بالأُسُد العاتية كما تفعل بالفرائس[١] كذلك تفعلون بالناس، فريقاً تخطفون وفريقاً تخدعون وفريقاً تغدرون بهم.

بحقٍ أقول لكم: لا يغني عن الجسد أن يكون ظاهره صحيحاً وباطنه فاسداً. كذلك لا تغني أجسادكم التي قد أعجبتكم وقد فسدت قلوبكم. وما يغني عنكم أن تنقّوا جلودكم وقلوبكم دنسة. لا تكونوا كالمنخل[٢] يخرج منه الدقيق الطيب ويمسك النخالة. كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم ويبقى الغلّ في صدوركم.

يا عبيد الدنيا انّما مثلكم مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه.

يابني اسرائيل زاحموا العلماء في مجالسهم ولو جثوّاً على الركب[٣]، فانّ الله يحيي القلوب الميتة بنور الحكمة كما يحيي الارض الميتة بوابل المطر[٤].

يا هشام مكتوب في الإنجيل « طوبى للمتراحمين، أولئك المرحمون يوم القيامة طوبى للمصلحين بين الناس، أولئك هم المقربون يوم القيامة، طوبى للمطهّرة قلوبهم، أولئك هم المتقون يوم القيامة، طوبى للمتواضعين في الدنيا، أولئك يرتقون منابر الملك يوم القيامة ».

يا هشام قلّة المنطق حكم عظيم، فعليكم بالصمت، فانّه دعة حسنة وقلّة وزر وخفّة من الذنوب. فحصنوا باب الحلم، فانّ بابه الصبر، وانّ الله عزّوجلّ يبغض الضحّاك من غير

---

(١) الفريسة : ما يفترسه الاسد ونحوه.

(٢) المنخل ـ بضم الميم والخاء أو بفتح الخاء ـ : ما ينخل به . والنخالة ـ بالضم ـ : ما يبقى في المنخل من القشر ونحوه.

(٣) جثا يجثو وجثى يجثي : جلس على ركبتيه أو قام على أطراف الاصابع. وفي بعض النسخ (حبواً) أي زحفاً على الركب من حبا يحبو وحبى يحبي : اذا مشى على أربع.

(٤) الوابل : المطر الشديد الضخم القطر.

عجب والمشّاء الى غير أربٍ[١] ويجب على الوالي أن يكون كالراعي لا يغفل عن رعيته ولا يتكبر عليهم. فاستحيوا من الله في سرائركم، كما تستحيون من الناس في علانيتكم. واعلموا انّ الكلمة من الحكمة ضالّة المؤمن، فعليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه غيبة عالمكم بين أظهركم.

يا هشام تعلم من العلم ما جهلت. وعلّم الجاهل ممّا علّمت. عظّم العالم لعلمه ودع منازعته. وصغّر الجاهل لجهله ولا تطرده ولكن قرّبه وعلّمه.

يا هشام انّ كل نعمةٍ عجزت عن شكرها بمنزلة سيئة تؤاخذ بها. وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: «انّ لله عباداً كسرت قلوبهم خشيته فأسكتتهم عن المنطق وانّهم لفصحاء عقلاء، يستبقون الى الله بالاعمال الزكيّة، لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون لهم من أنفسهم بالقليل، يرون في أنفسهم أنهم أشرار وانّهم لاكياس وأبرار»[٢].

يا هشام الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنّة والبذاء من الجفاء[٣] والجفاء في النار.

يا هشام المتكلّمون ثلاثة: فرابح وسالم وشاجب[٤]، فأما الرابح فالذاكر لله وأمّا السالم فالساكت، وأمّا الشاجب فالذي يخوض في الباطل، انّ الله حرّم الجنة على كلّ فاحشٍ بذيء قليل الحياء لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه. وكان أبو ذرّ ـ رضي الله عنه ـ يقول: «يا مبتغي العلم انّ هذا اللسان مفتاح خيرٍ ومفتاح شرٍ، فاختم على فيك كما تختم على ذهبك وورقك».

---

(١) المشاء: الكثير المشي. وأيضا النمام والمراد هيهنا الاول. والارب ـ بفتحتين ـ: الحاجة. وفي بعض النسخ (الى غير أدب).

(٢) الاكياس: جمع كيّس ـ كسيّد ـ الفطن: الظريف، الحسن الفهم والادب.

(٣) البذاء: الفحش. والبذي ـ على فعيل ـ: السفيه والذي أفحش في منطقه.

(٤) الشاجب: الهذّاء المكثار أي كثير الهذيان وكثير الكلام. وأيضاً الهالك وهو الانسب.

يا هشام بئس العبد يكون ذا وجهين وذا لسانين، يطري أخاه إذا شاهده[١] ويأكله إذا غاب عنه، إنّ أُعطي حسده وان ابتلي خذله. انّ اسرع الخير ثواباً البرّ، وأسرع الشر عقوبة البغي. وانّ شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه. وهل يكبُّ الناس على مناخرهم في النار إلّا حصائد السنتهم. ومن حسن اسلام المرء ترك ما لا يعنيه.

يا هشام لا يكون الرجل مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً. ولا يكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو.

يا هشام قال الله جلّ وعزّ: وعزّتي وجلالي وعظمتي وقدرتي وبهائي وعلوّي في مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلّا جعلت الغنى في نفسه. وهمّه في آخرته . وكففت عليه (في) ضيعته[٢] وضمّنت السماوات والأرض رزقه وكنت له من وراء تجارة كلّ تاجرٍ.

يا هشام الغضب مفتاح الشر وأكمل المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً، وان خالطت الناس فان استطعت ان لا تخالط أحداً منهم إلّا من كانت يدك عليه العليا[٣] فافعل.

يا هشام عليك بالرفق، فانّ الرفق يُمنٌ والخرق شُؤمٌ، انّ الرفق والبرّ وحسن الخلق يعمر الدّيار ويزيد في الرزق .

يا هشام قول الله : ﴿هل جزاء الاحسان إلّا الاحسان﴾[٤] جرت في المؤمن والكافر والبرّ والفاجر. من صنع اليه معروف فعليه أن يكافئ به ، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع حتى ترى فضلك، فان صنعت كما صنع فله الفضل بالابتداء[٥].

---

(١) أي يحسن الثناء وبالغ في مدحه اذا شاهده؛ ويعيبه بالسوء ويذمه اذا غاب.

(٢) الضيعة ـ بالفتح ـ : هذا من قبيل تسمية الشيء باسم ضدّه كالمفازة للصحراء التي يخاف فيها الهلاك، فالضيعة هنا يعني موطن الإنسان كما لازال يستعمل بهذا المعنى في عامّة بلاد الشام. وكففت عليه أي رزقته الكِفاف وهو في وطنه غير مسافر في طلب الرزق.

(٣) اليد العليا: المعطية المتعلقة.

(٤) الرحمن (٥٥): ٦٠.

(٥) أي له الفضيلة بسبب ابتدائه بالاحسان، فهو أفضل منك.

يا هشام انّ مثل الدنيا مثل الحيّة مسّها ليّن وفي جوفها السمّ القاتل، يحذرها الرّجال ذوو العقول ويهوي اليها الصّبيان بأيديهم.

يا هشام اصبر على طاعة الله واصبر عن معاصي الله، فانّما الدنيا ساعة، فما مضى منها فليس تجد له سروراً ولا حزناً، وما لم يأت منها فليس تعرفه، فاصبر على تلك الساعة التي انت فيها فكأنك قد اغتبطت[1].

يا هشام مثل الدنيا مثل ماء البحر كلّما شرب منه العطشان ازداد عطشاً حتى يقتله.

يا هشام ايّاك والكبر، فانّه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبةٍ من كبرٍ. الكبر رداء الله، فمن نازعه رداءه أكبّه الله في النار على وجهه.

يا هشام ليس منا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد منه. وان عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب اليه.

يا هشام تمثلت الدنيا للمسيح (عليه السلام) في صورة امرأة زرقاء فقال لها: كم تزوجت؟ فقالت: كثيراً، قال: فكلّ طلّقك؟ قالت: لا بل كلاًّ قتلتُ. قال المسيح (عليه السلام): فويحٌ لازواجك الباقين، كيف لا يعتبرون بالماضين.

يا هشام انّ ضوء الجسد في عينه، فإن كان البصر مضيئاً استضاء الجسد كله. وإنّ ضوء الروح العقل، فإذا كان العبد عاقلاً كان عالما بربه واذا كان عالما بربه أبصر دينه. وان كان جاهلاً بربه لم يقم له دين. وكما لا يقوم الجسد إلّا بالنفس الحيّة، فكذلك لا يقوم الدين إلّا بالنيّة الصادقة، ولا تثبت النيّة الصادقة إلّا بالعقل.

يا هشام انّ الزّرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا[2]. فكذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبّر الجبّار، لانّ الله جعل التواضع آلة العقل وجعل

---

(١) اغتبط: كان في مسرة وحسن حال.

(٢) الصفا: الحجر الصلد الضخم.

التكبّر من آله الجهل، ألم تعلم أنّ من شمخ إلى السقف[١] برأسه شجّه[٢]. ومن خفض رأسه استظلّ تحته وأكنّه. وكذلك من لم يتواضع لله خفضه الله ومن تواضع لله رفعه.

يا هشام ما أقبح الفقر بعد الغنى، وأقبح الخطيئة بعد النسك، وأقبح من ذلك العابد لله ثم يترك عبادته.

يا هشام لا خير في العيش الا لرجلين: لمستمع واع، وعالم ناطق.

يا هشام ما قسّم بين العباد أفضل من العقل، نوم العاقل أفضل من سهر الجاهل وما بعث الله نبياً إلّا عاقلاً حتى يكون عقله أفضل من جميع جهد المجتهدين وما أدّى العبد فريضة من فرائض الله حتى عقل عنه[٣].

يا هشام قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « اذا رأيتم المؤمن صموتاً فادنوا منه، فإنه يلقي الحكمة. والمؤمن قليل الكلام كثير العمل والمنافق كثير الكلام قليل العمل ».

يا هشام أوحى الله تعالى إلى داود (عليه السلام) قل لعبادي: لا يجعلوا بيني وبينهم عالماً مفتوناً بالدنيا فيصدهم عن ذكري وعن طريق محبتي ومناجاتي، أولئك قطاع الطريق من عبادي، انّ أدنى ما أنا صانع بهم أن انزع حلاوة محبتي ومناجاتي من قلوبهم.

يا هشام من تعظّم في نفسه لعنته ملائكة السماء وملائكة الارض. ومن تكبّر على اخوانه واستطال عليهم فقد ضاد الله[٤] ومن ادعى ما ليس له فهو [أ] عني لغير رشده[٥].

يا هشام أوحى الله تعالى الى داود (عليه السلام) يا داود حذّر، وأنذر أصحابك عن حبّ الشهوات، فإنّ المعلقة قلوبهم بشهوات الدنيا قلوبهم محجوبة عنّي.

---

(١) شمخ ـ من باب منع ـ: علا ورفع.

(٢) أي كسره وجرحه.

(٣) أي عرفه إلى حدّ التعقل.

(٤) استطال عليهم: أي تفضل عليهم.

(٥) عني ـ بصيغة المجهول أو المعلوم ـ بالأمر كلّف ما يشقّ عليه. وفي بعض النسخ (أعنى لغيره) أي يدخل غيره في العناء والتعب. هذا ويحتمل أن يكون الأصل (فهو لغيّ لغير رشدة) فصحف.

يا هشام ايّاك والكبر على أوليائي والاستطالة بعلمك فيمقتك الله، فلا تنفعك بعد مقته دنياك ولا آخرتك. وكن في الدنيا كساكن دار ليست له، انّما ينتظر الرحيل.

يا هشام مجالسة أهل الدين شرف الدنيا والآخرة. ومشاورة العاقل الناصح يُمنٌ وبركة ورشد وتوفيق من الله، فإذا أشار عليك العاقل الناصح فإيّاك والخلاف فإنّ في ذلك العطب[1].

يا هشام ايّاك ومخالطة الناس والانس بهم إلّا أن تجد منهم عاقلاً ومأموناً فآنس به واهرب من سايرهم كهربك من السباع الضارية[2]. وينبغي للعاقل اذا عمل عملاً أن يستحيي من الله. واذا تفردّ له بالنعم ان يشارك في عمله أحداً غيره[3]. واذا مرّ بك أمران لا تدري أيهما خيرٌ وأصوب، فانظر أيهما أقرب الى هواك فخالفه، فانّ كثير الصواب في مخالفة هواك. وايّاك أن تغلب الحكمة وتضعها في أهل الجهالة[4] قال هشام: فقلت له: فان وجدت رجلاً طالباً له غير أن عقله لا يتّسع لضبط ما القي اليه؟

قال (عليه السلام): فتلطّف له بالنصيحة، فإن ضاق قلبه [فـ] لا تعرضنّ نفسك للفتنة، واحذر ردّ المتكبرين، فانّ العلم يُذلُّ على أن يملىٰ على من لا يفيق[5] قلت: فان لم أجد من يعقل السؤال عنها؟ قال (عليه السلام): فاغتنم جهله عن السؤال حتى تسلم من فتنة القول وعظيم فتنة الردّ. واعلم انّ الله لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن رفعهم بقدر عظمته ومجده. ولم يؤمنّ الخائفين بقدر خوفهم ولكن آمنهم بقدر كرمه وجوده. ولم يفرّح

---

(١) العطب: الهلاك.

(٢) الضاري: الحيوان السبع، من ضرّ الكلب بالصيد يضرو: تعوّده وأولع به. وأيضا: تطعّم بلحمه ودمه.

(٣) أي إذا اختص العاقل بنعمة ينبغي له أن يشارك غيره في هذه النعمة بأن يعطيه منها.

(٤) قال المجلسي (رحمه الله) كأنّ فيه حذفاً وايصالاً أي تغلب على الحكمة أي يأخذها منك قهراً من لا يستحقها بأن يقرأ على صيغة المجهول أو على المعلوم أي تغلب على الحكمة فانها تأبى عمّن لا يستحقها. ويحتمل أن يكون بالفاء والتاء من الانفلات بمعنى الاطلاق فانهم يقولون: انفلت مني كلام أي صدر بغير رويّة.

(٥) الافاقة: الرجوع عن الكسر والاغماء والغفلة الى حال الاستقامة.

المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته، فما ظنك بالرؤوف الرحيم الذي يتودّد الى من يؤذيه بأوليائه فكيف بمن يؤذى فيه، وما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتوب على من يعاديه، فكيف بمن يترضاه[1] ويختار عداوة الخلق فيه.

يا هشام من أحبّ الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه وما أوتي عبدٌ علماً فازداد للدنيا حباً إلّا ازداد من الله بعداً وازداد الله عليه غضباً.

يا هشام انّ العاقل اللّبيب من ترك ما لا طاقة له به، وأكثر الصواب في خلاف الهوى. ومن طال أمله ساء عمله.

يا هشام لو رأيت مسير الأجل لالهاك عن الأمل.

يا هشام ايّاك والطمع، وعليك باليأس مما في أيدي الناس. وأمت الطمع من المخلوقين، فانّ الطمع مفتاح للذل واختلاس العقل واخلاق المروات[2]. وتدنيس العرض، والذهاب بالعلم، وعليك بالاعتصام بربّك والتوكل عليه. وجاهد نفسك لتردّها عن هواها، فإنّه واجب عليك كجهاد عدوّك.

قال هشام: فقلت له فأيّ الاعداء أوجبهم مجاهدة؟ قال (عليه السلام): أقربهم اليك وأعداهم لك وأضرّهم بك وأعظمهم لك عداوة وأخفاهم لك شخصاً مع دنوه منك، ومن يحرّض أعداءك عليك وهو ابليس الموكّل بوسواس القلوب فله فلتشتد عداوتك ولا يكونن أصبر على مجاهدته لهلكتك منك على صبرك لمجاهدته، فإنّه أضعف منك ركناً في قوّته[3] وأقلّ منك ضرراً في كثرة شرّه. إذا أنت اعتصمت بالله فقد هديت الى صراط مستقيم.

---

(١) يترضاه: أي يطلب رضاه.

(٢) الاختلاق: الافتراء. وفي بعض النسخ (واخلاق) والظاهر أنه جمع خلق ـ بالتحريك ـ أي البالي. والعرض، النفس والخليقة المحمودة ـ وأيضاً: ما يفتخر الانسان من حسب وشرف.

(٣) الركن: العزّ والمنعة. وأيضاً: ما يقوى به. والأمر العظيم. أي لا يكن صبره في المجاهدة أقوى منك. فانك إذا كنت على الاستقامة في مخالفته يكون مع قوّته أضعف منك ركناً وضرراً.

يا هشام من أكرمه الله بثلاث فقد لطف به: عقل يكفيه مؤونة هواه وعلم يكفيه مؤونة جهله وغنى يكفيه مخافة الفقر.

يا هشام احذر هذه الدنيا واحذر أهلها، فانّ الناس فيها على أربعة أصناف: رجل متردّ معانق لهواه. ومتعلم متقرّى كلما ازداد علماً ازداد كبراً، يستعلي بقراءته وعلمه على من هو دونه، وعابدٍ جاهلٍ يستصغر من هو دونه في عبادته يحبّ أن يعظّم ويوقّر. وذي بصيرة عالمٍ عارفٍ بطريق الحق يحب القيام به، فهو عاجزٌ أو مغلوب ولا يقدر على القيام بما يعرف [ـه] فهو محزون مغموم بذلك، فهو أمثل أهل زمانه[1] وأوجههم عقلاً.

يا هشام اعرف العقل وجنده، والجهل وجنده تكن من المهتدين، قال هشام: فقلت: جعلت فداك لا نعرف إلّا ما عرّفتنا.

يا هشام انّ الله خلق العقل وهو أوّل خلق خلقه الله من الروحانيين[2] عن يمين العرش من نوره فقال له: أدبر، فأدبر ثم قال له: أقبل فأقبل. فقال الله جلّ وعزّ: خلقتك خلقاً (عظيماً) وكرّمتك على جميع خلقي، ثم خلق الجهل من البحر الأجاج الظلماني، فقال له: أدبر، فأدبر ثم قال له: أقبل ،فلم يقبل فقال له: استكبرت فلعنه، ثم جعل للعقل خمسة وسبعين جنداً، فلمّا رأى الجهل ماكرّم الله به العقل وما أعطاه أضمر له العداوة، فقال الجهل: يا ربّ هذا خلق مثلي خلقته وكرّمته وقوّيته وأنا ضده ولا قوّة لي به أعطني من الجند مثل ما أعطيته فقال تبارك وتعالى، نعم ، فان عصيتني بعد ذلك أخرجتك وجندك من جواري ومن رحمتي، فقال: قد رضيت. فأعطاه الله خمسة وسبعين جنداً فكان مما أعطى العقل من الخمسة والسبعين جنداً: الخير وهو وزير العقل وجعل ضدّه الشر وهو وزير الجهل.

---

(١) الامثل : الافضل.

(٢) أي هو أول مخلوق من المنسوبين الى الروح في مدينة بنية الانسان المتمركزين بأمر الربّ والسلطان في مقرّ الحكومة العقلية. فهو أولها ورأسها ثم يوجد بعده وبسببه جنداً فجنداً إلى أن يكمل للانسان جودة العقل.

الإيمان، الكفر. التصديق، التكذيب. الاخلاص، النفاق.
الرجاء، القنوط. العدل، الجور. الرضى، السخط.
الشكر، الكفران. اليأس، الطمع. التوكل، الحرص.
الرأفة، الغلظة. العلم، الجهل. العفة، التهتك.
الزهد، الرغبة. الرفق، الخرق. الرهبة، الجرأة.
التواضع، الكبر. التؤدة، العجلة. الحلم، السفه.
الصمت، الهذر. الاستسلام، الاستكبار. التسليم، التجبر.
العفو، الحقد. الرحمة، القسوة. اليقين، الشك.
الصبر، الجزع. الصفح، الانتقام. الغنى، الفقر.
التفكّر، السهو. الحفظ، النسيان. التواصل، القطيعة.
القناعة، الشره. المؤاساة، المنع. المودة، العداوة.
الوفاء، الغدر. الطاعة، المعصية. الخضوع، التطاول.
السلامة، البلاء. الفهم، الغباوة. المعرفة، الانكار.
المداراة، المكاشفة. سلامة الغيب، المماكرة. الكتمان، الافشاء.
البرّ، العقوق. الحقيقة، التسويف. المعروف، المنكر.
التقية، الاذاعة. الانصاف، الظلم. التقى، الحسد.
النظافة، القذر. الحياء، القحة. القصد، الاسراف.
الراحة، التعب. السهولة، الصعوبة. العافية، البلوى.
القوام، المكاثرة. الحكمة، الهوى. الوقار، الخفة.
السعادة، الشقاء. التوبة، الاصرار. المحافظة، التهاون.
الدعاء، الاستنكاف. النشاط، الكسل. الفرح، الحزن.
الالفة، الفرقة. السخاء، البخل. الخشوع، العجب.
صون الحديث النميمة. الاستغفار، الاغترار. الكياسة، الحمق.

يا هشام لا تُجمعُ هذه الخصال إلّا لنبيّ أو وصيّ أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان . وأما ساير ذلك من المؤمنين فإنّ أحدهم لا يخلو من أن يكون فيه بعض هذه الجنود من أجناد العقل حتى يستكمل العقل ويتخلص من جنود الجهل. فعند ذلك يكون في الدرجة العليا مع الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وفّقنا الله وإيّاكم لطاعته[1].

التوحيد وأسس التدبير الإلهي :

١ ـ عن محمد بن أبي عمير، قال: دخلت على سيدي موسى ابن جعفر (عليه السلام)، فقلت له: يا ابن رسول الله علّمني التوحيد فقال: «يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك.

واعلم أن الله تعالى واحد، أحدٌ، صمدٌ، لم يلد فيورث، ولم يولد فيشارك، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكاً، وانه الحي الذي لا يموت ، والقادر الذي لا يعجز، والقاهر الذي لا يغلب، والحليم الذي لا يعجل ، والدائم الذي لا يبيد، والباقي الذي لا يفنى، والثابت الذي لا يزول، والغني الذي لا يفتقر، والعزيز الذي لا يذل. والعالم الذي لا يجهل، والعدل الذي لا يجور، والجواد الذي لا يبخل، وانه لا تقدره العقول، ولا تقع عليه الأوهام، ولا تحيط به الاقطار، ولا يحويه مكان، ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلّا هو رابعهم ولا خمسة إلّا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلّا هو معهم اينما كانوا﴾ وهو الأوّل الذي لا شيء قبله ، والآخر الذي لا شيء بعده ، وهو القديم وما سواه مخلوق محدث ، تعالى عن صفات المخلوقين علوّاً كبيراً»[2].

٢ ـ عن زكريا بن عمران، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، قال:

---

(١) بحار الأنوار : ٧٥ / ٢٩٦ ـ ٣١٩.

(٢) بحار الأنوار: ٧٥/٢٩٦ ـ ٣١٩، التوحيد : ٧٦.

«لا يكون شيء في السماوات ولا في الأرض إلّا بسبع: بقضاء وقدر وإرادة ومشيئة وكتاب وأجل وإذن، فمن زعم غير هذا فقد كذب على الله أو ردّ على الله عزّ وجلّ»(١).

٣ـ عن محمد بن حكيم قال: كتب أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) الى أبي : «أن الله أعلا وأجل وأعظم من أن يبلغ كنه صفته. فصفوه بما وصف به نفسه، وكفّوا عما سوى ذلك»(٢).

٤ ـ وقال(عليه السلام): «إنّ الله تعالى لا يشبهه شيء، أي فحش أو خنى أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقة أو بتحديد وأعضاء، تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً»(٣).

من سيرة الرّسول (صلى الله عليه وآله) وتاريخ حياته:

١ ـ روى ابن طاووس في كتاب الطرف نقلاً من كتاب الوصية للشيخ عيسى بن المستفاد الضرير عن موسى بن جعفر، عن أبيه(عليه السلام) قال: «لمّا حضرت رسول الله(صلى الله عليه وآله) الوفاة دعا الأنصار وقال: يا معشر الأنصار! قد حان الفراق، وقد دعيت وأنا مجيب الداعي، وقد جاورتم فأحسنتم الجوار، ونصرتم فأحسنتم النصرة، وواسيتم في الأموال، ووسعتم في المسلمين، وبذلتم لله مهج النفوس والله يجزيكم بما فعلتم الجزاء الأوفى، وقد بقيت واحدة وهي تمام الأمر وخاتمة العمل العمل معها مقرون إني أرى أن لا أفترق بينهما جميعاً لو قيس بينهما بشعرة ما انقاست، من أتى بواحدة وترك الأُخرى كان جاحداً للأُولى ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً قالوا: يا رسول الله فأين لنا بمعرفتها، فلا تمسك عنها فنضل ونرتد عن الإسلام، والنعمة من الله ومن

(١) أُصول الكافي : ١ / ١٤٩ والخصال : ٣٥٩.
(٢) أُصول الكافي : ١ / ١٠٢.
(٣) أُصول الكافي : ١ / ١٠٥.

رسوله علينا، فقد أنقذنا الله بك من الهلكة يا رسول الله، وقد بلّغت ونصحت وأديت وكنت بنا رؤوفاً رحيماً شفيقاً.

فقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «كتاب الله وأهل بيتي فإن الكتاب هو القرآن وفيه الحجّة والنور والبرهان، كلام الله جديد غض طري شاهد ومحكم عادل ولنا قائد بحلاله وحرامه وأحكامه يقوم غداً فيحاج أقواماً فيزل الله به أقدامهم عن الصراط، واحفظوني معاشر الأنصار في أهل بيتي، فإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، ألا وان الإسلام سقف تحته دعامة، لا يقوم السقف إلّا بها.

فلو أن أحدكم أتى بذلك السقف ممدوداً لا دعامة تحته فأوشك أن يخرّ عليه سقفه فيهوي في النار، أيها الناس! الدعامة: دعامة الإسلام، وذلك قوله تعالى: ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾ فالعمل الصالح طاعة الإمام وليّ الأمر والتمسّك بحبله، أيّها الناس! أفهمتم؟ الله الله في أهل بيتي! مصابيح الظلم، ومعادن العلم، وينابيع الحكم، ومستقر الملائكة.

منهم وصيّي وأميني ووارثي، وهو مني بمنزلة هارون من موسى ألا هل بلغت معاشر الأنصار؟ ألا فاسمعوا ومن حضر، ألا إنّ فاطمة بابها بابي وبيتها بيتي، فمن هتكه فقد هتك حجاب الله.

قال عيسى: فبكى أبو الحسن(عليه السلام) طويلاً، وقطع بقية كلامه، وقال: هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله، هتك والله حجاب الله...

ثم قال(عليه السلام): أخبرني أبي، عن جدي محمد بن علي قال: قد جمع رسول الله(صلى الله عليه وآله) المهاجرين فقال لهم: « أيها الناس إني قد دعيت، وإني مجيب دعوة الداعي، قد اشتقت الى لقاء ربي واللحوق باخواني من الأنبياء وإني أعلمكم أني قد أوصيت الى وصيي، ولم أهملكم إهمال البهائم، ولم أترك من أموركم شيئاً » فقام إليه عمر بن الخطاب فقال: يارسول الله! أوصيت بماأوصى به الأنبياء من قبلك؟

قال: نعم، فقال له: فبأمر من الله أوصيت أم بأمرك؟!

قال له: «اجلس يا عمر، أوصيت بأمر الله ،وأمره طاعته، وأوصيت بأمري وأمري طاعة الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى وصيّي فقد عصاني، ومن أطاع وصيّي فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله لا ما تريد أنت وصاحبك» ثم التفت الى الناس وهو مغضب فقال: «أيها الناس! اسمعوا وصيّتي، من آمن بي وصدّقني بالنبوة وأني رسول الله فأوصيه بولاية علي بن أبي طالب وطاعته والتصديق له. فإن ولايته ولايتي، وولاية ربّي، قد أبلغتكم فليبلغ الشاهد الغائب إن علي بن أبي طالب هو العلم، فمن قصّر دون العلم فقد ضلّ، ومن تقدّمه تقدّم الى النار، ومن تأخّر عن العلم يميناً هلك، ومن أخذ يساراً غوى وما توفيقي إلّا بالله، فهل سمعتم ؟» قالوا : نعم .

٢ ـ وعن الإمام الكاظم(عليه السلام) أنه قال : «قال رسول الله(صلى الله عليه وآله) لعلي(عليه السلام) حين دفع إليه الوصية : اتخذ لها جواباً غداً بين يدي الله تبارك وتعالى ربّ العرش. فاني محاجّك يوم القيامة بكتاب الله حلاله وحرامه، ومحكمه ومتشابهه على ما أنزل الله، وعلى ما أمرتك، وعلى فرائض الله كما أنزلت وعلى الاحكام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتنابه، مع اقامة حدود الله وشروطه، والأمور كلها ، واقام الصلاة لوقتها، وايتاء الزكاة لأهلها، وحجّ البيت، والجهاد في سبيل الله، فما أنت قائل يا علي ؟

فقال علي(عليه السلام): بأبي أنت وأمي أرجو بكرامة الله لك ومنزلتك عنده ونعمته عليك أن يعينني ربّي، ويثبتني فلا ألقاك بين يدي الله مقصراً ولا متوانياً ولا مفرطاً، ولا أمعز وجهك وقاه وجهي ووجوه آبائي وأمهاتي بل تجدني بأبي أنت وأمي مستمراً متّبعاً لوصيتك ومنهاجك وطريقك مادمت حياً حتى أقدم بها عليك، ثم الأول فالأول من ولدي لا مقصرين ولا مفرطين.

قال علي(عليه السلام): ثم انكببت على وجهه وعلى صدره وأنا أقول: واوحشتاه بعدك،

بأبي أنت وأمي، ووحشة ابنتك وبنيك بل واطول غمّي بعدك يا أخي، انقطعت من منزلي أخبار السماء، وفقدت بعدك جبرئيل وميكائيل، فلا أحسّ أثراً ولا أسمع حسّاً، فأغمي عليه طويلاً ثم أفاق(صلى الله عليه وآله).

قال أبو الحسن(عليه السلام) فقلت لأبي: فما كان بعد افاقته ؟ قال: دخل عليه النساء يبكين وارتفعت الأصوات وضجّ الناس بالباب من المهاجرين والأنصار، فبيناهم كذلك اذ نودي: أين علي؟ فأقبل حتى دخل عليه، قال علي(عليه السلام): فانكببت عليه فقال: يا أخي افهم فهمك الله وسدّدك وأرشدك ووفقك وأعانك وغفر ذنبك ورفع ذكرك.

اعلم يا أخي أنّ القوم سيشغلهم عنّي ما يشغلهم، فإنّما مثلك في الأُمة مثل الكعبة، نصبها الله للناس علماً، وإنما تؤتىٰ من كلّ فجّ عميق، ونأي سحيق ولا تأتي، وإنما أنت علم الهدى، ونور الدين، وهو نور الله يا أخي، والذي بعثني بالحق لقد قدمت إليهم بالوعيد بعد أن أخبرتهم رجلاً رجلاً ما افترض الله عليهم من حقك، وألزمهم من طاعتك، وكلّ أجاب وسلم إليك الأمر، وإنّي لأعلم خلاف قولهم.

فإذا قبضت وفرغت من جميع ما أوصيك به وغيبتني في قبري فالزم بيتك، واجمع القرآن علىٰ تأليفه، والفرائض والأحكام علىٰ تنزيله ثم امضِ علىٰ غير لائمة علىٰ ما أمرتك به، وعليك بالصبر علىٰ ما ينزل بك منهم حتى تقدم عليّ»[1].

٣ ـ قال عيسى الضرير: ... فسألت موسى [يعني الكاظم(عليه السلام)] وقلت: إنّ الناس قد أكثروا في أن النبي(صلى الله عليه وآله) أمر أبا بكر أن يصلي بالناس، ثم عمر،

(١) خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٧٢، ٧٣ وعنه في الطُرف لابن طاووس: ٢٥ ـ ٢٧ وعنه في بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٨٢ ـ ٤٨٤ والخبر كالسابق عن رسالة الوصية لعيسى بن المستفاد أبي موسى الضرير البجلي البغدادي المضعّف في النجاشي: ٢٩٧ برقم ٨٠٩.

فأطرق عني طويلاً، ثم قال: «ليس كما ذكروا، ولكنك يا عيسى كثير البحث عن الأمور، ولا ترضى عنها إلّا بكشفها، فقلت: بأبي أنت وأمي إنما أسأل عما أنتفع به في ديني وأتفقّه مخافة أن أضل، وأنا لا أدري، ولكن متى أجد مثلك يكشفها لي.

فقال(عليه السلام): إنّ النبي(صلى الله عليه وآله) لمّا ثقل في مرضه دعا علياً فوضع رأسه في حجره، وأغمي عليه وحضرت الصلاة فأوذن بها، فخرجت عائشة، فقالت: يا عمر اخرج فصلّ بالناس فقال: أبوك أولى بها، فقالت: صدقت، ولكنه رجل ليّن، وأكره أن يواثبه القوم فصلّ أنت .

فقال لها عمر: بل يصلي هو وأنا أكفيه إن وثب واثب أو تحرك متحرك، مع أن محمداً(صلى الله عليه وآله) مغمى عليه لا أراه يفيق منها، والرجل مشغول به لا يقدر أن يفارقه، يريد علياً(عليه السلام) فبادره بالصلاة قبل أن يفيق، فإنه إن أفاق خفت أن يأمر علياً بالصلاة، فقد سمعت مناجاته منذ الليلة، وفي آخر كلامه: الصلاة الصلاة قال: فخرج أبو بكر ليصلي بالناس فأنكرالقوم ذلك.

ثم ظنوا أنه بأمر رسول الله(صلى الله عليه وآله) فلم يكبر حتى أفاق(صلى الله عليه وآله) وقال: ادعوالي العباس، فدعي فحمله هو وعلي، فأخرجاه حتى صلّى بالناس، وإنه لقاعد، ثم حمل فوضع على منبره، فلم يجلس بعد ذلك على المنبر، واجتمع له جميع أهل المدينة من المهاجرين والانصار حتى برزت العواتق من خدورهنّ، فبين باكٍ وصائح وصارخ ومسترجع والنبي(صلى الله عليه وآله) يخطب ساعة، ويسكت ساعة، وكان مما ذكر في خطبته أن قال:

يا معشر المهاجرين والأنصار ومن حضرني في يومي هذا وفي ساعتي هذه من الجن والإنس فليبلغ شاهدكم الغائب، ألا قد خلّفت فيكم كتاب الله، فيه النور والهدى والبيان، ما فرّط الله فيه من شيء، حجة الله لي عليكم، وخلّفت فيكم العلم الأكبر علم الدين ونور الهدى وصيي علي بن أبي طالب، ألا هو حبل الله فاعتصموا به جميعاً ولا تفرّقوا عنه،

واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخواناً.

أيها الناس هذا علي بن أبي طالب كنز الله اليوم وما بعد اليوم، من أحبه وتولاه اليوم وما بعد اليوم فقد أوفى بما عاهد عليه الله، وأدى ما وجب عليه، ومن عاداه اليوم وما بعد اليوم جاء يوم القيامة أعمى وأصم، لا حجة له عند الله، أيّها الناس لا تأتوني غداً بالدنيا تزفونها زفاً،ويأتي أهل بيتي شعثاً غبراً مقهورين مظلومين، تسيل دماؤهم أمامكم وبيعات الضلالة والشورى للجهالة.

ألا وإن هذا الأمر له أصحاب وآيات قد سمّاهم الله في كتابه، وعرّفتكم وبلّغتكم ما أُرسلت به إليكم ولكني أراكم قوماً تجهلون، لاترجعنّ بعدي كفاراً مرتدين متأولين للكتاب على غير معرفة، وتبتدعون السنة بالهوى، لأن كلّ سنّة وحدث وكلام خالف القرآن فهو ردّ وباطل.

القرآن إمام هدى، وله قائد يهدي إليه ويدعو إليه بالحكمة والموعظة الحسنة وليّ الأمر بعدي وليه، ووارث علمي وحكمتي وسري وعلانيتي، وما ورثه النبيّون من قبلي، وأنا وارث وموّرث فلا تكذبنكم أنفسكم، أيها الناس! الله الله في أهل بيتي، فإنهم أركان الدين، ومصابيح الظلم، ومعدن العلم، عليّ أخي ووارثي، ووزيري وأميني والقائم بأمري والموفي بعهدي على سنتي.

أول الناس بي ايماناً، وآخرهم عهداً عند الموت، وأوسطهم لي لقاء يوم القيامة، فليبلغ شاهدكم غائبكم، ألا ومن أمّ قوماً امامة عمياء وفي الأُمّة من هو أعلم منه فقد كفر، أيّها الناس ومن كانت له قبلي تبعة فها أنا، ومن كانت له عدة فليأت فيها علي ابن أبي طالب، فانه ضامن لذلك كله حتى لا يبقى لاحد عليّ تباعة»[1].

---

(١) خصائص الأئمة للشريف الرضي: ٧٣ ـ ٧٥ وعنه في الطُرف: ٢٩ ـ ٣٤ وعنه في بحار الأنوار: ٢٢ / ٤٨٤ ـ ٤٨٧. والخبر كسابقه عن رسالة الوصية لعيسى بن المستفاد أبي موسى الضرير البجلي البغدادي المضعّف في النجاشي: ٢٩٧ برقم ٨٠٩.

الإمامة والأئمة:

١ ـ عن داود الرقي، عن العبد الصالح(عليه السلام) قال: «**إنّ الحجة لا تقوم لله على خلقه إلّا بإمام حيّ يُعرف**»[١].

٢ ـ عن أبي علي بن راشد، قال: قال أبو الحسن(عليه السلام): «**إنّ الأرض لا تخلو من حجّة وأنا والله ذلك الحجّة**»[٢].

٣ ـ عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن(عليه السلام)، قال: قال لي: «**نحن في العلم والشجاعة سواء وفي العطايا على قدر ما نؤمر**»[٣].

٤ ـ عن هارون بن خارجة، قال: قال لي أبو الحسن(عليه السلام): «**نحن المثاني التي أُريها رسول الله(صلى الله عليه وآله) ونحن وجه الله نتقلب بين أظهركم، فمن عرفنا عرفنا ومن لم يعرفنا فأمامه اليقين**»[٤].

٥ ـ عن أبي الحسن موسى الكاظم(عليه السلام) في قول الله تبارك وتعالى: ﴿**أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله**﴾ قال: «**نحن المحسودون**»[٥].

٦ ـ عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن(عليه السلام) في قوله: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً**﴾ قال: «**هم الأوصياء**»[٦].

٧ ـ عن سيف بن عميرة، قال: سمعت العبد الصالح أبا الحسن(عليه السلام) ينعى

---

(١) الاختصاص: ٢٦٩.
(٢) أُصول الكافي: ١ / ١٧٩.
(٣) أُصول الكافي: ١ / ٢٧٥.
(٤) البصائر: ٦٦.
(٥) أُصول الكافي: ١ / ٢٠٦.
(٦) أُصول الكافي: ١ / ٤٢٥.

الى رجل نفسه فقلت في نفسي وانه ليعلم متى يموت الرجل من شيعته فقال ـ شبه المغضب ـ: «يا اسحاق قد كان رشيد الهجري يعلم علم المنايا والبلايا فالإمام أولى بذلك»(١).

٨ ـ عن معاوية عن اسحاق قال: كنت عند أبي الحسن (عليه السلام) ودخل عليه رجل فقال له أبو الحسن (عليه السلام): «يا فلان انك تموت الى شهر قال: فاضمرت في نفسي كانه يعلم آجال شيعته فقال (عليه السلام): يا اسحاق وما تنكرون من ذلك وقد كان رشيد الهجري مستضعفاً وكان يعلم علم المنايا والبلايا فالإمام أولى بذلك. ثم قال (عليه السلام): يا اسحاق تموت الى سنتين ويشتّت أهلك وولدك وعيالك وأهل بيتك ويفلسون افلاساً شديداً»(٢).

٩ ـ عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وبئر معطلة وقصر مشيد﴾ قال: «البئر المعطلة الإمام الصامت والقصر المشيد الإمام الناطق»(٣).

١٠ ـ حدثنا يعقوب بن جعفر، قال: كنت مع أبي الحسن (عليه السلام) بمكة فقال له رجل: انك لتفسر من كتاب الله ما لم نسمع به.

فقال أبو الحسن (عليه السلام): «علينا نزل قبل الناس ولنا فسر قبل أن يفسّر في الناس فنحن نعرف حلاله وحرامه وناسخه ومنسوخه وسفريه وحضريه وفي أي ليلة نزلت كم من آية وفيمن نزلت وفيما نزلت فنحن حكماء الله في أرضه وشهداؤه على خلقه وهو قول الله تبارك وتعالى ستكتب شهادتهم ويسألون فالشهادة لنا والمسألة للمشهود عليه فهذا علم ما قد انهيته إليك وأديته إليك ما لزمني فإن قبلت فاشكر وإن تركت فإنّ الله على كل شيء

(١) بصائر الدرجات: ٢٦٤.

(٢) بصائر الدرجات: ٢٦٥.

(٣) أصول الكافي: ١ / ٤٢٧، والمناقب: ٣ / ١٠٧ ومعه نحوه عن أبيه الصادق عن النبي (صلى الله عليه وآله) في علي (عليه السلام).

شهيد »(١).

١١ ـ عن محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن(عليه السلام) قال: «ولاية عليّ(عليه السلام) مكتوبة في جميع صحف الانبياء ولن يبعث الله رسولاً إلّا بنبوّة محمّد(صلى الله عليه وآله) ووصيّة علي (عليه السلام)»(٢).

١٢ ـ عن علي بن سويد السابي قال: كتب اليّ أبو الحسن الأول(عليه السلام) في كتاب: «أن أوّل ما أنعى إليك نفسي في ليالي هذه غير جازع ولا نادم ولا شاك فيما هو كائن مما قضى الله وحتم فاستمسك بعروة الدين آل محمد ـ صلوات الله عليه وعليهم ـ والعروة الوثقى الوصي بعد الوصي والمسالمة والرضا بما قالوا»(٣).

١٣ ـ عن سعيد بن (ابي) سعيد البلخي قال: سمعت أبا الحسن(عليه السلام) يقول: « إن لله عزّ وجلّ في وقت كل صلاة يصليها هذا الخلق لعنة قال: قلت: جعلت فداك ولم ذاك؟ قال لجحودهم حقنا وتكذيبهم إيانا »(٤).

١٤ ـ عن صفوان بن يحيى، عن أبي الحسن الأول ـ يعني موسى ابن جعفر(عليه السلام) ـ قال: «ماترك الله عزّ وجلّ الأرض بغير إمام قطّ منذ قبض آدم(عليه السلام) يهتدى به الى الله عز وجل وهو الحجّة على العباد من تركه ضلّ ومن لزمه نجا حقاً على الله عزّوجلّ»(٥).

١٥ ـ حدثنا عبدالله بن قدامة الترمذي، عن أبي الحسن(عليه السلام)، قال: «من شكّ في أربعة فقد كفر بجميع ما أنزل الله تبارك وتعالى أحدها: معرفة الإمام في كل زمان

(١) بصائر الدرجات : ١٩٨.

(٢) الكافي : ١ / ٤٣٧.

(٣) قرب الاسناد : ١٤٢.

(٤) علل الشرائع : ٢ / ٢٨٩ ، وعقاب الأعمال : ٢٤٨.

(٥) كمال الدين : ٢٢٠ .

وأوان بشخصه ونعته[١].

١٦ ـ عن عمر بن يزيد، عن أبي الحسن الأول(عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «من مات بغير إمام مات ميتة جاهلية، إمام حي يعرفه . فقلت: لم أسمع أباك يذكر هذا ـ يعني إماماً حياً ـ فقال: قد والله قال ذاك رسول الله(صلى الله عليه وآله) قال: وقال رسول الله(صلى الله عليه وآله): من مات وليس له إمام يسمع له ويطيع مات ميتة جاهلية»[٢].

١٧ ـ عن داود الرقي، عن العبد الصالح(عليه السلام)، قال: «إنّ الحجّة لا تقوم لله على خلقه إلّا بامام حي يعرف»[٣].

١٨ ـ عن محمد بن حكيم، قال: سألت أبا الحسن(عليه السلام) عن الإمام هل يسئل عن شيء من الحلال والحرام والذي يحتاج الناس ولا يكون فيه شيء، قال: «لا ولكن يكون عنده ولا يجيب ذاك إليه إن شاء أجاب وإن شاء لم يجب»[٤].

١٩ ـ عن صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام) يكون الإمام في حال يسئل عن الحلال والحرام والذي يحتاج الناس إليه فلا يكون عنده شيء، قال: «لا ولكن قد يكون عنده ولا يجيب»[٥].

٢٠ ـ عن علي السائي عن أبي الحسن الأول موسى (عليه السلام)، قال: قال: «مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه: ماض وغابر وحادث فأمّا الماضي فمفسر، وأما الغابر فمزبور وأما الحادث فقذف في القلوب، ونقرٌ في الاسماع وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبينا»[٦].

---

(١) كمال الدين: ٤١٣ .

(٢) الاختصاص : ٢٦٨.

(٣) الاختصاص : ٢٦٩ .

(٤) البصائر : ٤٤.

(٥) البصائر: ٤٤ .

(٦) أُصول الكافي : ١ / ٢٦٤.

٢١ ـ عن محمد بن علي بن خالد الجواز. قال: دخلت على أبي الحسن(عليه السلام) وهو في عرصة داره وهو يومئذ بالرملية فلما نظرت إليه قلت: بابي أنت وأمي يا سيدي مظلوم مغصوب مضطهد في نفسي ثم دنوت منه فقبّلت بين عينيه وجلست بين يديه فالتفت إليّ فقال: «يابن خالد نحن أعلم بهذا الأمر فلا تتصور هذا في نفسك».

قال: قلت جعلت فداك والله ما أردت بهذا شيئاً، قال: فقال: «نحن أعلم بهذا الأمر من غيرنا لو أردنا اذن إلينا وأن لهؤلاء القوم مدّة وغاية لابدّ من الانتهاء إليها قال: فقلت لا أعود واصيّر في نفسي شيئاً أبداً قال: فقال: لا تعد أبداً»(١).

٢٢ ـ عن محمد بن حكيم عن أبي الحسن(عليه السلام) قال: «انما هلك من كان قبلكم بالقياس إنّ الله تبارك وتعالى لم يقبض نبيّه حتى أكمل له جميع دينه في حلاله وحرامه فجاءكم مما تحتاجون اليه في حياته وتستغيثون به وباهل بيته بعد موته وانها مصحف عند اهل بيته حتى ان فيه لأرش خدش الكف ثم قال: ان ابا حنيفة لعنه الله ممن يقول: قال علي وانا قلت»(٢).

٢٣ ـ عن عبد الله بن جندب انه كتب اليه أبو الحسن(عليه السلام): «إنا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وبحقيقة النفاق»(٣).

٢٤ ـ عن الحسين بن علي بن يقطين عن أبيه. قال: سألت أبا الحسن(عليه السلام) عن شيء من أمر العالم فقال: «نكت في القلب ونقر في الاسماع وقد يكونان معاً»(٤).

---

(١) بصائر الدرجات . ١٢٦.

(٢) البصائر : ١٤٧.

(٣) البصائر : ٢٨٨.

(٤) البصائر : ٣١٦.

الوصيّ بعد الإمام الكاظم (عليه السلام):

١ ـ عن الحسين بن نعيم الصحّاف قال: كنت أنا وهشام بن الحكم وعلي بن يقطين ببغداد، فقال علي بن يقطين: كنت عند العبد الصالح جالساً فدخل عليه ابنه علي، فقال لي: «**يا علي بن يقطين هذا علي سيد ولدي. أما إني قد نحلته كنيتي**». فضرب هشام بن الحكم براحة جبهته، ثم قال: ويحك كيف قلت؟ فقال علي بن يقطين: سمعت والله منه كما قلت. فقال هشام: أخبرك أنّ الأمر فيه من بعده[1].

٢ ـ عن نعيم القابوسي عن أبي الحسن، أنه قال: «**إنّ ابني علياً أكبر ولدي وأبرّهم عندي وأحبّهم اليّ وهو ينظر معي في الجفر ولم ينظر فيه إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ**»[2].

٣ ـ عن داود الرقي، قال: قلت لأبي ابراهيم (عليه السلام): جعلت فداك إني قد كبر سنّي فخذ بيدي من النار، قال: فأشار الى ابنه أبي الحسن (عليه السلام) فقال: «**هذا صاحبكم من بعدي**»[3].

٤ ـ عن محمد بن اسحاق بن عمار قال: قلت لأبي الحسن الأوّل (عليه السلام): ألا تدلّني الى من آخذ عنه ديني؟ فقال: «**هذا ابني علي. إنّ أبي قد أخذني فأدخلني الى قبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا بني إنّ الله عزّوجلّ، قال: ﴿اني جاعل في الارض خليفة﴾ وان الله عزّ وجلّ إذا قال قولاً وفى به**»[4].

٥ ـ عن دواد الرقي قال: قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام): إني قد كبرت

(١) أصول الكافي: ١ / ٣١١.

(٢) أصول الكافي: ١ / ٣١٢.

(٣) أصول الكافي: ١ / ٣١٢.

(٤) أصول الكافي: ١ / ٣١٢.

سني ودق عظمي واني سألت أباك(عليه السلام) فأخبرني بك، فأخبرني من بعدك ؟ فقال: «هذا أبو الحسن الرضا»(١).

٦ ـ عن زياد بن مروان القندي وكان من الواقفة قال: دخلت علىٰ أبي إبراهيم وعنده ابنه أبو الحسن(عليه السلام) فقال لي: «يا زياد هذ ابني فلان، كتابه كتابي وكلامه كلامي ورسوله رسولي وما قال فالقول قوله»(٢).

٧ ـ عن محمد بن الفضيل قال: حدثني المخزومي وكانت اُمه من ولد جعفر بن أبي طالب(عليه السلام) قال: «بعث الينا أبو الحسن موسى(عليه السلام) فجمعنا، ثم قال لنا: أتدرون لم دعوتكم؟ فقلنا: لا ، فقال: اشهدوا أنّ ابني هذا وصيي والقيّم بأمري وخليفتي من بعدي، من كان له عندي دين فليأخذه من ابني هذا، ومن كانت له عندي عدة فليتنجزها منه ومن لم يكن له بدّ من لقائي فلا يلقني إلّا بكتابه»(٣).

٨ ـ عن الحسين بن المختار، قال: خرج إلينا من أبي الحسن(عليه السلام) بالبصرة ألواح مكتوب فيها بالعرض: «عهدي الىٰ أكبر ولدي، يعطي فلان كذا، وفلان كذا، وفلان كذا، وفلان لا يعطي حتى أجيء أو يقضي الله عز وجلّ عليّ الموت، إنّ الله يفعل ما يشاء»(٤).

٩ ـ عن داود بن زربي، قال: جئت الىٰ أبي ابراهيم(عليه السلام) بمال، فأخذ بعضه وترك بعضه، فقلت: أصلحك الله لاي شيء تركته عندي ؟ قال: «إنّ صاحب هذا الأمر يطلبه منك».

فلما جاءنا نعيه بعث اليّ أبو الحسن(عليه السلام) ابنه، فسألني ذلك،

(١) أُصول الكافي: ٣١٢/١.
(٢) أُصول الكافي: ١ / ٣١٢.
(٣) أُصول الكافي: ١ / ٣١٢.
(٤) أُصول الكافي : ١ / ٣١٣.

فدفعته إليه[١].

١٠ ـ عن سليمان بن حفص المروزي قال: دخلت علىٰ أبي الحسن موسىٰ بن جعفر (عليهما السلام) وأنا أريد أن أسأله عن الحجة علىٰ الناس بعده، فلمّا نظر إليّ ابتدأني وقال: «**يا سليمان إنّ علياً ابني ووصيي والحجة على الناس بعدي، وهذا أفضل ولدي فإن بقيت بعدي فاشهد له بذلك عند شيعتي وأهل ولايتي المستخبرين عن خليفتي من بعدي**»[٢].

الإمام المهدي المنتظر (عجّل الله فرجه):

١ ـ عن علي بن موسى، عن أبيه موسىٰ بن جعفر بن محمّد (عليهم السلام)، قال: «**لا يكون القائم إلّا إمام ابن إمام ووصي ابن وصي**»[٣].

٢ ـ عن محمد بن علي بن جعفر عن أخيه موسىٰ بن جعفر (عليه السلام)، قال: «**إذا فقد الخامس من ولد السابع فالله الله في أديانكم لا يزيلكم أحد عنها يا بني انه لابد لصاحب هذا الأمر من غيبة حتى يرجع عن هذا الأمر من كان يقول به انما هي محنة من الله عزّ وجلّ امتحن بها خلقه ولو علم آباؤكم واجدادكم ديناً أصح من هذا لاتبعوه. فقلت: يا سيدي من الخامس من ولد السابع؟ قال: يا بني عقولكم تصغر عن هذا وأحلامكم تضيق عن حمله ولكن إن تعيشوا فسوف تدركوه**»[٤].

٣ ـ عن علي بن أبي حمزة، عن أبي عبدالله وأبي الحسن (عليهما السلام)، قالا: «**لو قد قام القائم لحكم بثلاث لم يحكم بها أحد قبله، يقتل الشيخ الزاني، ويقتل مانع الزكاة،**

(١) أصول الكافي: ١/٣١٣.

(٢) عيون الأخبار: ١ / ٢٦.

(٣) عيون الأخبار: ٢ / ١٣١.

(٤) علل الشرايع: ١ / ٢٣٣، والكافي: ١ / ٣٣٦، وغيبة النعماني: ١٥٤.

ويورّث الاخ أخاه في الاظلة»[١].

٤ ـ عن العباس بن عامر القصباني، قال: سمعت أبا الحسن موسى ابن جعفر (عليه السلام) يقول: «صاحب هذا الأمر، من يقول الناس لم يولد بعد»[٢].

٥ ـ عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام)، قال: قلت: ما تأويل قول الله عزّ وجلّ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً فمن يأتكم بماء معين﴾ فقال: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فماذا تصنعون»[٣].

٦ ـ عن داود بن كثير الرقي قال: سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن صاحب هذا الأمر قال: «هو الطريد الوحيد الغريب الغائب عن أهله، الموتور بأبيه» (عليه السلام)[٤].

٧ ـ عن يونس بن عبد الرحمن، قال: دخلت على موسى بن جعفر (عليه السلام) فقلت له: يا ابن رسول الله أنت القائم بالحق؟ فقال: «أنا القائم بالحق ولكن القائم الذي يطهّر الارض من أعداء الله عزّ وجلّ ويملأها عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً هو الخامس من ولدي له غيبة يطول أمدها خوفاً على نفسه، يرتد فيها أقوام ويثبت فيها آخرون. ثم قال (عليه السلام): طوبى لشيعتنا، المتمسكين بحبلنا في غيبة قائمنا، الثابتين على موالاتنا والبراءة من أعدائنا، أولئك منّا ونحن منهم، قد رضوا بنا أئمة، ورضينا بهم شيعة، فطوبى لهم، ثم طوبى لهم، وهم والله معنا في درجاتنا يوم القيامة»[٥].

٨ ـ عن أبي أحمد محمد بن زياد الازدي، قال: سألت سيدي موسى

(١) الخصال: ١٦٩.
(٢) كمال الدين: ٣٦٠.
(٣) كمال الدين: ٣٦٠.
(٤) كمال الدين: ٣٦١.
(٥) كمال الدين: ٣٦١.

ابن جعفر (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿واسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة﴾ فقال (عليه السلام): «النعمة الظاهرة الإمام الظاهر، الباطنة الإمام الغائب، فقلت له: ويكون في الأئمة من يغيب؟ قال: نعم يغيب عن أبصار الناس شخصه، ولا يغيب عن قلوب المؤمنين ذكره، وهو الثاني عشر منّا، يسهّل الله له كلّ عسير، ويذلل له كلّ صعب، ويظهر له كنوز الأرض، ويقرّب له كلّ بعيد، ويبير به كل جبّار عنيد ويهلك على يده كل شيطان مريد، ذلك ابن سيدة الاماء الذي تخفى على الناس ولادته، ولا يحلّ لهم تسميته حتى يظهره الله عزّ وجلّ فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلما»[1].

صحابة الرسول (صلى الله عليه وآله) والأئمة (عليهم السلام)

عن أسباط بن سالم، قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليهما السلام): «إذا كان يوم القيامة نادى مناد: أين حواري محمد بن عبدالله رسول الله الذين لم ينقضوا العهد ومضوا عليه؟ فيقوم سلمان والمقداد وأبو ذر.

ثم ينادي مناد: أين حواري علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصي محمد بن عبدالله رسول الله (صلى الله عليه وآله) فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر وميثم بن يحيى التمار مولى بني أسد وأويس القرني.

قال: ثم ينادي المنادي: أين حواري الحسن بن علي (عليه السلام) ابن فاطمة بنت محمد بن عبد الله رسول الله؟ فيقوم سفيان بن أبي ليلى الهمداني وحذيفة بن اسيد الغفاري. قال: ثم ينادي المنادي أين حواري الحسين بن علي (عليهما السلام)؟ فيقوم كل من استشهد معه ولم يتخلف عنه.

قال: ثم ينادي المنادي أين حواري علي بن الحسين (عليهما السلام) ؟ فيقوم جبير بن مطعم

(١) كمال الدين: ٣٦٨.

ويحيى ابن أُم الطويل وأبو خالد الكابلي وسعيد بن المسيب.

ثم ينادي المنادي أين حواري محمد ابن علي وحواري جعفر بن محمد؟ فيقوم عبدالله بن شريك العامري وزرارة بن أعين وبريد ابن معاوية العجلي ومحمد بن مسلم وابو بصير ليث بن البختري المرادي وعبد الله بن أبي يعفور وعامر بن عبدالله بن جذاعة وحجر بن زائدة وحمران بن أعين.

ثم ينادي: أين سائر الشيعة مع سائر الأئمة (عليهم السلام) يوم القيامة فهؤلاء المتحورة أول السابقين وأول المقربين وأول المتحورين من التابعين»[1].

الإيمان والكفر والشّك

١ ـ عن حماد بن عمرو النصيبي، قال: سأل رجل العالم (عليه السلام) فقال: أيها العالم أخبرني أي الاعمال أفضل عند الله؟ قال: «مالا يقبل عمل إلّا به، فقال: وما ذلك؟ قال: الإيمان بالله، الذي هو أعلى الأعمال درجة وأسناها حظاً وأشرفها منزلة، قلت: أخبرني عن الإيمان أقولٌ وعمل أمْ قولٌ بلا عمل؟ قال: الإيمان عمل كله، والقول بعض ذلك العمل بفرض من الله بيّنة في كتابه، واضح نوره، ثابتة حجته، يشهد به الكتاب ويدعو إليه، قلت: صف لي ذلك حتى أفهمه.

فقال: إنّ الايمان حالات ودرجات وطبقات ومنازل فمنه التام المنتهي تمامه ومنه الناقص المنتهي نقصانه ومنه الزائد الراجح زيادته، قلت: وإن الإيمان ليتم ويزيد وينقص؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: إنّ الله تبارك وتعالى فرض الإيمان على جوارح بني آدم وقسّمه عليها وفرّقه عليها فليس من جوارحهم جارحة إلّا وهي موكّلة من الإيمان بغير ما وكّلت به أختها.

---

(١) رجال الكشي: ١٥.

فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا تورد الجوارح ولا تصدر الاّ عن رأيه وأمره، ومنها يداه اللتان يبطش بهما ورجلاه اللتان يمشي بهما وفرجه الذي الباه من قبله ولسانه الذي ينطق به الكتاب ويشهد به عليها؛ وعيناه اللتان يبصر بهما؛ وأذناه اللتان يسمع بهما وفرض على القلب غير ما فرض على اللسان وفرض على اللسان غير ما فرض على العينين وفرض على العينين غير ما فرض على السمع.

وفرض على السمع غير ما فرض على اليدين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الرجلين غير ما فرض على الفرج وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه، فأمّا ما فرض على القلب من الإيمان فالاقرار والمعرفة والتصديق والتسليم والعقد والرضا بأن لا اله إلّا الله وحده لا شريك له، أحداً، صمداً، لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً وأن محمداً(صلى الله عليه وآله) عبده ورسوله[1].

٢ ـ عن موسىٰ بن جعفر، عن آبائه(عليهم السلام)، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «ما من شيء أحب الى الله تعالى من الإيمان به، والعمل الصالح، وترك ما أمر به أن يتركه»[2].

٣ ـ عن الفضيل، قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام): أي شيء أفضل ما يتقرب به العباد الى الله فيما افترض عليهم؟ فقال: «أفضل ما يتقرب به العباد الى الله طاعة الله وطاعة رسوله، وحب الله وحب رسوله(صلى الله عليه وآله) وأولي الأمر، وكان أبو جعفر(عليه السلام) يقول: حبّنا إيمان وبغضنا كفر»[3].

٤ ـ إبراهيم بن أبي بكر قال: سمعت أبا الحسن موسىٰ (عليه السلام) يقول: «إنّ

(١) أُصول الكافي: ٢ / ٣٨.
(٢) بحار الأنوار: ٧٦ / ٢٠٨.
(٣) المحاسن: ١٥٠.

علياً(عليه السلام) بابٌ من أبواب الهدى، فمن دخل من باب علي كان مؤمناً ومن خرج منه كـان كافراً ومن لم يدخل فيه ولم يخرج منه كان في الطبقة الذين لله فيهم المشيئة»[١].

٥ ـ عن بكر بن موسى الواسطي، قال: سألت أبا الحسن موسى(عليه السلام) عن الكفر والشرك أيهما أقدم؟ فقال: «ما عهدي بك تخاصم الناس، قلت: أمرني هشام بن الحكم أن أسألك عن ذلك فقال لي: الكفر أقدم وهو الجحود قال لابليس: ﴿أبى واستكبر وكان من الكافرين﴾»[٢].

٦ ـ عن الحسين بن الحكم، قال: «كتبت الى العبد الصالح(عليه السلام) أخبره أني شاك وقد قال إبراهيم(عليه السلام): ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ واني أحب أن تريني شيئاً، فكتب(عليه السلام): إن إبراهيم كان مؤمناً وأحب أن يزداد إيماناً وأنت شاك والشاك لا خير فيه، وكتب: انما الشك ما لم يأت اليقين فإذا جاء اليقين لم يجز الشك، وكتب: انّ الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين﴾، قال: نزلت في الشاك»[٣].

٧ ـ عن محمد بن سنان، عن أبي خديجة، قال: دخلت على أبي الحسن(عليه السلام) فقال لي: «إنّ الله تبارك وتعالى أيّد المؤمن بروح منه تحضره في كل وقت يُحسن فيه ويتقي، وتغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي. فهي معه تهتز سروراً عند احسانه وتسيخ في الثرى عند اساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه باصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرئً همّ بخير فعمله أو همّ بشر فارتدع عنه، ثمّ قال: نحن نؤيّد الروح بالطاعة لله والعمل له»[٤].

(١) أُصول الكافي: ٢ / ٣٨٨.
(٢) تفسير العياشي: ١ / ٣٤.
(٣) أُصول الكافي: ٢ / ٣٩٩.
(٤) أُصول الكافي: ٢ / ٢٦٨.

الذنـــوب

١ ـ عن أبي الحسن(عليه السلام) قال: «حق على الله أن لا يعصى في دار إلّا أضحاها للشمس حتى تطهرها»(١).

٢ ـ عن ابن عرفة عن أبي الحسن(عليه السلام)، قال: «إنّ لله عزّ وجلّ في كل يوم وليلة منادياً ينادي مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله، فلولا بهائم رتع ، وصبيةٌ رضع، وشيوخ ركّع، لصبّ عليكم العذاب صباً، ترضّون به رضّاً»(٢).

٣ ـ عن ابن محبوب، قال: كتب معي بعض أصحابنا الى أبي الحسن(عليه السلام) يسأله عن الكبائر كم هي وما هي؟ فكتب: «من اجتنب ما وعد الله عليه النار كفّر عنه سيئاته اذا كان مؤمناً والسبع الموجبات قتل النفس الحرام وعقوق الوالدين وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة ، وقذف المحصنات، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»(٣).

٤ ـ عن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام): الكبائر تخرج من الايمان؟ فقال: «نعم وما دون الكبائر، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «لا يزني الزاني وهو مؤمن ولا يسرق السارق وهو مؤمن»(٤).

٥ ـ عن سماعة، قال: سمعت أبا الحسن(عليه السلام) يقول: «لا تستكثروا كثير الخير ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب يجتمع حتى يكون كثيراً وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف»(٥).

٦ ـ عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام)، قال:

(١) أصول الكافي : ٢ / ٢٧٢.
(٢) أصول الكافي : ٢ / ٢٧٦.
(٣) أصول الكافي : ٢ / ٢٧٦.
(٤) بحار الأنوار : ٧٤ / ٢٣٣.
(٥) أصول الكافي : ٧٤ / ٢٣٥.

«حرّمت الجنة على ثلاثة النمام، ومدمن الخمر، والديوث وهو الفاجر»[١].

حفظ اللسان

١ ـ عن عثمان بن عيسى، عن أبي الحسن صلوات الله عليه، قال: «إن كان في يدك هذه شيء فإن استطعت أن لا تعلم هذه فافعل؛ قال: وكان عنده إنسان فتذاكروا الإذاعة، فقال: احفظ لسانك تعزّ، ولا تمكّن الناس من قياد رقبتك فتذلّ»[٢].

وقال: حضرتُ أبا الحسن صلوات الله عليه وقال له رجل: أوصني فقال له: «احفظ لسانك تعزّ ولا تمكّن الناس من قيادك فتذلّ رقبتك»[٣].

٢ ـ عن موسى بن اسماعيل بن موسى بن جعفر، عن أبيه عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رحم الله عبداً قال خيراً فغنم، أو سكت عن سوء فسلم»[٤].

٣ ـ وعنه: بهذا الإسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الرجل الصالح يجيء بخبر صالح، والرجل السوء يجيء بخبر سوء»[٥].

٤ ـ عن أبان، عن يحيى الأزرق، قال: قال لي أبو الحسن صلوات الله عليه: «من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»[٦].

٥ ـ قال عبد المؤمن الأنصاري: دخلت على موسى بن جعفر (عليهما السلام) وعنده محمد بن عبد الله الجعفري، فتبسّمت إليه فقال: «أتحبه؟ فقلت: نعم، وما أحببته الاّ لكم، فقال (عليه السلام): هو أخوك والمؤمن أخو المؤمن لأُمّه ولأبيه، وان لم

(١) معاني الأخبار: ٢٤٣.
(٢) أُصول الكافي: ٢ / ٢٢٥.
(٣) أُصول الكافي: ٢ / ١١٣.
(٤) بحار الأنوار: ٧١ / ٢٩٣.
(٥) بحار الأنوار: ٧١ / ٢٩٣.
(٦) أُصول الكافي: ٢ / ٣٥٨.

يلده أبوه، ملعون من اتهم أخاه، ملعون من غش أخاه، ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون من اغتاب أخاه، وقال الصادق (عليه السلام): اياك والغيبة فإنّها إدام كلاب النار»[١].

٦ ـ عن عبد الله بن عبد الرحمن عن أبي الحسن أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «اركبوا وارموا وإن ترموا أحب إليّ من أن تركبوا، ثم قال: كل أمر للمؤمن باطل إلّا في ثلاث في تأديبه الفرس ورميه عن قوسه وملاعبته امرأته، فانهن حق إنّ الله ليدخل بالسهم الواحد الثلاثة الجنة: عامل الخشب والمقوي به في سبيل الله والرامي به في سبيل الله»[٢].

الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر

١ ـ عن محمد بن عمر بن عرفة، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «لتأمرنّ بالمعروف ولتنهنّ عن المنكر أو ليستعملنّ عليكم شراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم»[٣].

٢ ـ عن موسى بن جعفر (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلّا من كان فيه ثلاث خصال، رفيق بما يأمر به، رفيق فيما ينهى عنه، عدل فيما يأمر به، عدل فيما ينهى عنه، عالم بما يأمر به، عالم بما ينهى عنه»[٤].

٣ ـ عنه، بهذا الإسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من يشفع شفاعة حسنة أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر أو دلّ على خير أو أشار به فهو شريك، ومن أمر بسوء أو دلّ عليه أو أشار به فهو شريك»[٥].

(١) بحار الأنوار: ٧٥ / ٢٦٢.
(٢) التهذيب: ٦ / ١٧٥.
(٣) أصول الكافي: ٥ / ٥٦، والتهذيب: ٦ / ١٧٦.
(٤) بحار الأنوار: ١٠٠ / ٨٧.
(٥) بحار الأنوار: ١٠٠ / ٨٧.

الشّهيد والمجاهد في سبيل الله

١ ـ عن موسى بن جعفر، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ فوق كلّ بر برّاً حتى يقتل الرجل شهيداً في سبيل الله، وفوق كلّ عقوق عقوقاً حتى يقتل الرجل أحد والديه»[١].

٢ ـ قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خيول الغزاة في الدنيا هي خيولهم في الجنة»[٢].

٣ ـ وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «حملة القرآن عرفاء أهل الجنة، والمجاهدون في الله تعالى قوّاد أهل الجنة، والرسل سادات أهل الجنة»[٣].

٤ ـ وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «دعا موسى وأمّن هارون وأمّنت الملائكة فقال الله سبحانه استقيما فقد أجيبت دعوتكما، ومن غزا في سبيلي استجبت له الى يوم القيامة»[٤].

٥ ـ وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كلّ نعيم مسؤول عنه يوم القيامة إلّا ما كان في سبيل الله تعالى»[٥].

٦ ـ وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنّ أبخل الناس من بخل بالسّلام، وأجود الناس من جاد بنفسه وماله في سبيل الله»[٦].

٧ ـ وقال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أوصي أمّتي بخمس: بالسمع والطاعة والهجرة والجهاد والجماعة، ومن دعا بدعاء الجاهليّة فله حثوة من حثي جهنّم»[٧].

---

(١) بحار الأنوار: ١٠٠ / ١٥.
(٢) بحار الأنوار ١٠٠ / ١٥.
(٣) بحار الأنوار ١٠٠ / ١٥.
(٤) بحار الأنوار ١٠٠ / ١٥.
(٥) بحار الأنوار ١٠٠ / ١٥.
(٦) بحار الأنوار ١٠٠ / ١٥.
(٧) بحار الأنوار ١٠٠ / ١٥

الغنائم

١ ـ عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «يؤخذ الخمس من الغنائم فيجعل لمن جعله الله عز وجل ويقسّم أربعة أخماس بين من قاتل عليه وولي ذلك، قال: وللإمام صفو المال أن يأخذ الجارية الفارهة والدابّة الفارهة والثوب والمتاع ممّا يحب ويشتهي فذلك له قبل قسمة المال وقبل اخراج الخمس، قال: وليس لمن قاتل شيء من الأرضين ولا ما غلبوا عليه الاّ ما احتوى عليه العسكر وليس للأعراب من الغنيمة شيء وإن قاتلوا مع الإمام لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) صالح الأعراب أن يدعهم في ديارهم ولا يهاجروا على أنه إن دهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عدوّه دهم أن يستفزّهم فيقاتل بهم وليس لهم في الغنيمة نصيب وسنّة جارية فيهم وفي غيرهم والأرض التي أخذت عنوة بخيل أو ركاب فهي موقوفة متروكة في يدي من يعمرها ويحييها ويقوم عليها على ما يصالحهم الوالي على قدر طاقتهم من الحق النصف والثلث والثلثين، على قدر ما يكون لهم صالحاً ولا يضرهم»[١].

العمل والمعيشة :

١ ـ عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: «رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت له: جعلت فداك أين الرجال؟ فقال: يا علي قد عمل باليد من هو خير منّي في أرضه ومن أبي، فقلت له: ومن هو؟ فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين وآبائي (عليهم السلام) كلّهم كانوا قد عملوا بأيديهم وهو من عمل النبيّين والمرسلين والأوصياء والصالحين»[٢].

٢ ـ عن موسى بن بكر، قال: قال لي أبو الحسن (عليه السلام): «من طلب هذا الرزق

(١) أُصول الكافي: ٥ / ٤٤.

(٢) أُصول الكافي: ٥ / ٧٥، والفقيه: ٣ / ١٦٢.

من حلّه ليعود به على عياله ونفسه كان كالمجاهد في سبيل الله عز وجل، فإن غلب عليه ذلك، فليستدن على الله عزّ وجلّ وعلى رسوله ما يقوت به عياله.

فإن مات ولم يقضه كان على الإمام قضاؤه، فإن لم يقضه كان عليه وزره إنّ الله تعالى يقول: ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب﴾ فهو فقير مسكين مغرم»(١).

٣ ـ قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «طوبى لمن أسلم وكان عيشه كفافاً وقوله سداداً»(٢).

٤ ـ قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «اللهمّ ارزق محمداً وآل محمد ومن أحبّ محمداً وآل محمد العفاف والكفاف، وارزق من أبغض محمداً وآل محمد كثرة المال والولد»(٣).

٥ ـ عن موسى بن جعفر، عن آبائه(عليهم السلام)، قال: قال رسول الله(صلى الله عليه وآله): «أربع من سعادة المرء: الخلطاء الصالحون، والولد البارّ، والمرأة المؤاتية، وأن تكون معيشته في بلده»(٤).

٦ ـ قال الكاظم(عليه السلام): «من ولده الفقر أبطره الغنا»(٥).

٧ ـ قال رجل لأبي الحسن موسى بن جعفر(عليه السلام): عدني قال: كيف اعدك؟ وأنا لما لا أرجوا أجى مني لما أرجو»(٦).

٨ ـ عن يحيى الحذّاء، قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام): ربّما اشتريت الشيء بحضرة أبي فأرى منه ما أغتمّ به فقال: «تنكّبه ولا تشتر بحضرته فإذا كان لك على

(١) التهذيب: ٦ / ١٨٤.
(٢) بحار الأنوار: ٧٢ / ٦٧.
(٣) بحار الأنوار: ٧٢ / ٦٧.
(٤) بحار الأنوار: ١٠٣ / ٨٦.
(٥) بحار الأنوار: ١٠٣ / ٨٦.
(٦) الفقيه: ٣ / ١٦٥.

رجل حقّ فقل له: فليكتب وكتب فلان بن فلان بخطّه وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيداً فإنه يقضي في حياته أو بعد وفاته»(١).

الدّعاء والزّيارة:

١ ـ عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) قال: «عليكم بالدعاء؛ فإن الدعاء والطلب الى الله عز وجل يردّ البلاء وقد قدر وقضى فلم يبق إلّا إمضاؤه، فإنه إذا دعا الله وسأله صرف البلاء صرفاً»(٢).

٢ ـ وقال: «لكل داء دواء فسئل عن ذلك؟ فقال: لكل داء دعاء، فإذا أُلهم المريض الدعاء فقد أذن الله في شفائه. وقال: أفضل الدعاء الصلاة على محمد وآل محمد (صلى الله عليه وآله) ـ صلى الله عليهم ـ ثم الدعاء للاخوان ثم الدعاء لنفسك فيما أحببت، وأقرب ما يكون العبد من الله سبحانه إذا سجد».

وقال: الدعاء أفضل من قراءة القرآن؛ لانّ الله عز وجل يقول: ﴿قل ما يعبأ بكم ربّي لولا دعاؤكم﴾ وإنّ الله عز وجل ليؤخر إجابة المؤمن شوقاً الى دعائه ويقول: صوت أحب أن اسمعه، ويعجّل إجابة المنافق ويقول: صوت أكره سماعه»(٣).

٣ ـ عمر بن يزيد، عن أبي ابراهيم (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «إنّ الدعاء يردّ ما قدر وما لم يقدّر قال: قلت: جعلت فداك هذا ما قدّر قد عرفناه أفرأيت ما لم يقدّر؟ قال: حتى لا يقدّر»(٤).

٤ ـ قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): «أدنى ما يثاب به زائر

---

(١) أصول الكافي: ٥ / ٣١٨.

(٢) مكارم الاخلاق: ٣١٦.

(٣) مكارم الأخلاق: ٤٤٨.

(٤) بحار الأنوار: ٩٣ / ٢٩٧.

أبي عبدالله(عليه السلام) بشطّ الفرات إذا عرف حقّه وحرمته وولايته أن يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر»(١).

٥ ـ عن الحسن بن الجهم قال: قلت لأبي الحسن(عليه السلام): ما تقول في زيارة قبر الحسين(عليه السلام)؟ فقال لي: «ما تقول أنت فيه؟ فقلت: بعضنا يقول: حجّة وبعضنا يقول: عمرة، فقال: هي عمرة مبرورة (مقبولة)»(٢).

٦ ـ روى أحمد بن جعفر البلدي عن محمد بن يزيد البكري، عن منصور بن نصر المدائني، عن عبدالرحمن بن مسلم، قال: دخلت على الكاظم(عليه السلام) فقلت له: أيّما أفضل زيارة الحسين بن علي أو أمير المؤمنين(عليهما السلام) أو لفلان وفلان ـ وسميت الأئمة واحداً واحداً ـ فقال لي:

«يا عبدالرحمن من زار أولنا فقد زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أولنا، ومن تولّى أولنا فقد تولّى آخرنا، ومن تولّى آخرنا فقد تولّى أولنا ومن قضى حاجة لأحد من أوليائنا فكأنّما قضاها لأجمعنا.

يا عبدالرحمن احبنا واحبب من يحبّنا واحبّ فينا واحبب لنا وتولنا وتولّ من يتولانا وابغض من يبغضنا ألا وإنّ الرادّ علينا كالراد على رسول الله جدّنا ومن ردّ على رسول الله(صلى الله عليه وآله) فقد ردّ على الله ألا يا عبد الرحمن ومن أبغضنا فقد ابغض محمداً ومن أبغض محمداً فقد أبغض الله ومن أبغض الله عزّ وجلّ وكان حقاً على الله ان يصليه النار وماله من نصير»(٣).

٧ ـ عن عمرو بن عثمان الرازي، قال: سمعت أبا الحسن الاول(عليه السلام) يقول: «من لم يقدره أن يزورنا فليزر صالحي موالينا يكتب له ثواب زيارتنا ومن لم يقدر

---

(١) ثواب الأعمال: ١١١ ـ ١١٢.
(٢) ثواب الأعمال: ١١١ ـ ١١٢.
(٣) كامل الزيارات: ٣٣٥.

على صلتنا فليصل صالحي موالينا يكتب له ثواب صلتنا»[١].

٨ـ عن اسحاق بن عمار عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قلت له: المؤمن يعلم بمن يزور قبره، قال: «نعم ولا يزال مستأنساً به ما زال عنده فإذا قام وانصرف من قبره دخله من انصرافه عن قبره وحشة»[٢].

٩ ـ عن علي بن عثمان الرازي، قال: سمعت أبا الحسن الاول (عليه السلام) يقول: «من لم يقدر على زيارتنا فليزر صالح اخوانه يكتب له ثواب زيارتنا، ومن لم يقدر أن يصلنا فليصل صالح اخوانه يكتب له ثواب صلتنا»[٣].

من مواعظ وحكم الإمام الكاظم (عليه السلام):

روي عن الكاظم (عليه السلام) أنه قال: «صلاة النوافل قربانٌ الى الله لكل مؤمن».

والحج جهاد كل ضعيف.

ولكل شيء زكاة، وزكاة الجسد صيام النوافل.

وأفضل العبادة بعد المعرفة انتظار الفرج.

ومن دعا قبل الثناء على الله والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله) كان كمن رمى بسهم بلا وتر.

ومن أيقن بالخلف جاد بالعطية، وما عال امرؤٌ اقتصد.

والتدبير نصف العيش.

والتودّد الى الناس نصف العقل.

وكثرة الهم يورث الهرم، والعجلة هي الخرق.

وقلة العيال أحد اليسارين.

(١) كامل الزيارات: ٣١٩.

(٢) كامل الزيارات: ٣٢١.

(٣) التهذيب: ٦ / ١٠٤.

ومن أحزن والديه فقد عقّهما.

ومن ضرب بيده على فخذه، أو ضرب بيده الواحدة على الأُخرى عند المصيبة فقد حبط أجره، والمصيبة لا تكون مصيبة يستوجب صاحبها أجرها إلّا بالصبر والاسترجاع عند الصدمة.

والصنيعة لا تكون صنيعة إلاّ عند ذي دين أو حسب.

والله ينزل المعونة على قدر المؤونة، وينزل الصبر على قدر المصيبة.

ومن اقتصد وقنع بقيت عليه النعمة، ومن بذر وأسرف زالت عنه النعمة.

وأداء الأمانة والصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق.

واذا أراد الله بالذرة شراً أنبت لها جناحين فطارت فأكلها الطير.

والصنيعة لا تتم صنيعة عند المؤمن لصاحبها إلّا بثلاثة أشياء: تصغيرها وسترها وتعجيلها، فمن صغّر الصنيعة عند المؤمن فقد عظّم أخاه، ومن عظّم الصنيعة عنده فقد صغّر أخاه، ومن كتم ما أولاه من صنيعة فقد كرم فعاله.

«ومن عجّل ما وعد فقد هنئ العطيّة»[١].

قال أبو الحسن الماضي(عليه السلام): «قل الحقّ وان كان فيه هلاكك فان فيه نجاتك ودع الباطل وان كان فيه نجاتك فانّ فيه هلاكك»[٢].

قال(عليه السلام): «ينبغي لمن عقل عن الله أن لا يستبطئه[٣] في رزقه ولا يتّهمه في قضائه».

وقال رجل: سألته عن اليقين؟ فقال(عليه السلام): «يتوكّل على الله، ويسلّم لله، ويرضى بقضاء الله، ويفوّض الى الله».

---

(١) تحف العقول: ٤٠٣.

(٢) الاختصاص: ٣٢.

(٣) أي لا يجده بطيئاً.

وقال عبد الله بن يحيى[١]: كتبت إليه في دعاء «الحمد لله منتهى علمه» فكتب (عليه السلام): «لا تقولنّ منتهى علمه، فانه ليس لعلمه منتهى. ولكن قل: منتهى رضاه»[٢].

وسأله رجل عن الجواد؟ فقال (عليه السلام): «إنّ لكلامك وجهين، فإن كنت تسأل عن المخلوقين، فإن الجواد الذي يؤدّي ما افترض الله عليه، والبخيل من بخل بما افترض الله، وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى ، وهو الجواد إن منع، لأنّه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك وإن منعك منعك ماليس لك».

وقال لبعض شيعته: «أي فلان ! اتق الله وقل الحق وان كان فيه هلاكك فإنّ فيه نجاتك، أي فلان! اتّق الله ودع الباطل وإن كان فيه نجاتك، فإنّ فيه هلاكك».

وقال له وكيله: والله ما خنتك فقال (عليه السلام) له: «خيانتك وتضييعك عليّ مالي سواء والخيانة شرّهما عليك».

وقال (عليه السلام): «إيّاك أن تمنع في طاعة الله، فتنفق مثله في معصية الله».

وقال (عليه السلام) : «المؤمن مثل كفّتي الميزان كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه».

وقال (عليه السلام) : عند قبرٍ حضره: «ان شيئاً هذا آخره لحقيقٌ أن يزهد في أوله. وانّ شيئاً هذا أوّله لحقيق أن يخاف آخره».

وقال (عليه السلام) : «من تكلّم في الله هلك، ومن طلب الرئاسة هلك. ومن دخله العجبُ هلك».

وقال (عليه السلام) : «اشتدت مؤونة الدنيا والدين: فأمّا مؤونة الدنيا فإنّك لا تمدّ يداك الى شيء منها إلّا وجدت فاجراً قد سبقك إليه. وأمّا مؤونة الآخرة فإنّك لا تجد أعواناً

---

(١) رواه الصدوق (رحمه الله) في التوحيد، باب العلم، باسناده عن الكاهلي عن موسى بن جعفر (عليه السلام). وعبدالله ابن يحيى الكاهلي الاسدي الكوفي: أخو اسحاق بن يحيى من وجوه أصحاب الصادق والكاظم (عليهما السلام) وله كتاب.

(٢) بحار الأنوار: ٣٦٩/٧٥.

يعينونك عليه».

وقال (عليه السلام) : «أربعة من الوسواس: أكلُ الطين وفتّ الطين. وتقليم الأظفار بالأسنان، وأكل اللّحية. وثلاث يجلين البصر: النظر الى الخضرة والنظر الى الماء الجاري والنظر الى الوجه الحسن».

وقال (عليه السلام) : «ليس حسن الجوار كفّ الاذىٰ ولكن حسنُ الجوار الصبر على الأذى».

وقال (عليه السلام) : «لا تُذهب الحشمة بينك وبين أخيك[1]. وأبق منها، فانّ ذهابها ذهاب الحياء».

وقال (عليه السلام) : لبعض ولده: «يا بنيّ إيّاك أن يراك الله في معصية نهاك عنها. وإيّاك أن يفقدك الله عند طاعةٍ أمرك بها. وعليك بالجد. ولا تخرجنّ نفسك من التقصير في عبادة الله وطاعته، فإن الله لا يُعبد حق عبادته. وإيّاك والمزاح؛ فإنّه يذهب بنور إيمانك ويستخفّ مروّتك. وإيّاك والضّجر والكسل، فإنّهما يمنعان حظّك من الدنيا والآخرة».

وقال (عليه السلام) : «اذا كان الجور أغلب من الحق لم يحلّ لاحدٍ أن يظنّ بأحد خيراً حتى يعرف ذلك منه».

وقال (عليه السلام) : «ليس القبلة على الفم إلّا للزوجة والولد الصغير».

وقال (عليه السلام) : «اجتهدوا في أن يكون زمانكم أربع ساعات: ساعةً لمناجاة الله. وساعةً لأمر المعاش. وساعةً لمعاشرة الاخوان والثقات الذين يعرّفونكم عيوبكم ويخلصون لكم في الباطن. وساعةً تخلون فيه للذاتكم في غير محرّمٍ وبهذه الساعة تقدرون على الثلاث ساعات. لا تحدّثوا أنفسكم بفقرٍ ولا بطول عمرٍ، فإنّه من حدّث نفسه بالفقر بخل. ومن حدّثها بطول العمر يحرص. اجعلوا لأنفسكم حظّاً من الدنيا باعطائها ما تشتهي

(١) الحشمة: الانقباض والاستحياء.

من الحلال وما لا يثلم المروّة وما لا سرف فيه. واستعينوا بذلك على أمور الدين، فإنّه روي: ليس منّا من ترك دنياه لدينه أو ترك دينه لدنياه».

وقال (عليه السلام): «تفقّهوا في دين الله فإنّ الفقه مفتاح البصيرة وتمام العبادة والسبب الى المنازل الرفيعة والرتب الجليلة في الدين والدنيا. وفضل الفقيه على العابد كفضل الشمس على الكواكب. ومن لم يتفقّه في دينه لم يرض الله له عملاً».

وقال (عليه السلام) لعلي بن يقطين: «كفّارة عمل السلطان الاحسان الى الاخوان».

وقال (عليه السلام): «كلّما أحدث الناس من الذنوب مالم يكونوا يعملون أحدث الله لهم من البلاء مالم يكونوا يعدّون».

وقال (عليه السلام): «إذا كان الإمام عادلاً كان له الأجر وعليك الشكر وإذا كان جائراً كان عليه الوزر وعليك الصبر»[1].

ورأى رجلين يتسابّان فقال (عليه السلام): «البادي أظلم ووزره ووزر صاحبه عليه مالم يعتد المظلوم».

وقال (عليه السلام): «ينادي منادٍ يوم القيامة: ألا من كان له على الله أجر فليقم، فلا يقوم إلّا من عفا وأصلح فأجره على الله».

وقال (عليه السلام): السخي الحسن الخلق في كنف الله، لا يتخلّى الله عنه حتّى يدخلهُ الجنة. وما بعث الله نبيّاً إلّا سخيّاً. وما زال أبي يوصيني بالسخاء وحسن الخلق حتّى مضى».

وقال السنديّ بن شاهك ـ وكان الذي وكّله الرشيد بحبس موسى (عليه السلام) ـ لمّا حضرته الوفاة: دعني أكفّنك. فقال (عليه السلام): «انّا أهل بيتٍ، حجّ صرورتنا[2] ومهور نسائنا وأكفاننا من طهور أموالنا».

---

(١) تحف العقول: ٤٠٨ ـ ٤١١.

(٢) الصرور ـ بالصاد المهملة ـ الذي لم يتزوّج أو لم يحج.

وقال (عليه السلام) لفضل بن يونس: **«أبلغ خيراً وقل خيراً ولا تكن امّعة** [١] قلت: وما الامّعة؟ قال: **لا تقل: أنا مع الناس وأنا كواحدٍ من الناس. أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: يا أيها الناس إنّما هما نجدان نجد خيرٍ ونجد شرٍ فلا يكن نجد الشرّ أحبّ إليكم من نجد الخير** [٢].

وروي أنه مرّ برجلٍ من أهل السواد دميم المنظر [٣]، فسلّم عليه ونزل عنده وحادثه طويلاً، ثم عرض (عليه السلام) عليه نفسه في القيام بحاجةٍ إن عرضت له، فقيل له: يا ابن رسول الله أتنزل الى هذا ثم تسأله عن حوائجك وهو إليك أحوج؟ فقال (عليه السلام): **«عبد من عبيد الله وأخ في كتاب الله وجارٌ في بلاد الله، يجمعنا وإيّاه خير الآباء آدم (عليه السلام) وأفضل الأديان الإسلام ولعلّ الدهر يردّ من حاجاتنا إليه، فيرانا ـ بعد الزهو عليه** [٤] **ـ متواضعين بين يديه. ثم قال (عليه السلام):**

نواصل من لا يستحق وصالنا مخافة أن نبقى بغير صديق [٥]

والى هنا نكتفي بهذه الجولة السريعة في تراث الإمام الكاظم (عليه السلام) راجين من الله التوفيق للسير على هدي أهل البيت (عليهم السلام) الذي يمثل النبع الصافي والهديَ الرباني السليم في ظلمات الهوى والوهم.

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين

---

(١) الامّع والامّعة ـ بالكسر فالتشديد ـ قيل: أصله (أني معك).

(٢) النجد: الطريق الواضح المرتفع. وقوله (عليه السلام): «إنما هما نجدان» فالظاهر اشارة الى قوله تعالى في سورة البلد آية ١٠: ﴿وهديناه النجدين﴾.

(٣) دميم المنظر أي قبيح المنظر من دمّ دمامة: كان حقيراً وقبح منظره.

(٤) الزهو: الفخر والكبر قال الشاعر:

لا تهين الفقير علّك أن تركع يوماً والدهر قد رفعه.

(٥) تحف العقول: ٤١٢ ـ ٤١٣.

الفهرس التفصيلي

الباب الثالث